تهذيب
شرح العقيدة الطحاوية

تهذيب وتعليق
عبد المنعم مصطفى حليمة
" أبو بصير الطرطوسي "

Π

(إنَّ اللـهَ لايغفـرُ أن يُشـرَك بـه ويَغفـرُ مــادون ذلـك لمـن يشــاءُ)

سورة النساء:

المقدمـــــة :

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ باللــه من شرور أنفُسِنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللـه فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له.

وأشـهدُ أن لا إلـه إلا اللــه وحـده لاشـريك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبـدُه ورسُوله.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللـه حقَّ تقاته ولاتموتنَّ إلا وأنتم مسلمون)
آل عمران:

كله يعود للخواء العقدي والإيماني الذي يعاني منه الناس، ولجهلهم الكبير بمتطلبات ولوازم شهادة التوحيد " أن لا إله إلا اللـه، محمداً رسُول اللـه ".

والمسلم بعقيدته وإيمانه - والإيمان تصديق وقول وعمل، يزيد بالطاعات، وينقص بالذنوب والمعاصي وارتكاب الموبقات - فإن كمل إيمانه اجتمع له كمال الخير في الدنيا والآخرة، وإن شابه نَقْصٌ تحقق له من الذل والشرود عن الحق بقدر ما تحقق من ثلمٍ ونقصٍ في عقيدته وتوحيده.

وثَمَّةَ أمرٍ أيضاً لابد من الاتفاق عليه والتسليم به، وهو أن العقيدة الإسلامية حتى تحقق ثمارها المرجوة، يجب أن تُدَرَّس الناسَ بلغة سهلة بسيطةٍ، وباسلوب بعيد عن تعقيدات أهل الكلام وتعبيراتهم، ليتمكَّن الجميع من دراستها وفهمها من غير صعوبة أو حرج. كما يجب أن تكون هذه العقيدة مستمدةً من نصوص الكتاب والسنة مع مراعاة فهم السلف الصالح رضوان اللـه عليهم لهذه العقيدة، وتقديم أقوالهم على غيرهم ممن يخالفونهم الفهم والقول، فهم مما لاشك فيه أفهم خلق اللـه بمراد الرسُول ε، وهم المنصوص على وجوب اتباعهم، واقتفاء آثارهم، كما في قوله تعالى : **[ومن يشاقق الرسولَ من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غيرَ سبيلِ المؤمنين نوله ما تولى ونُصله جهنمَ وساءت مصيرا]** النساء :

1- سعة انتشار الكتاب في أمصار المسلمين، واعتماده بين المسلمين كمرجع عقدي حوى في صفحاته عقيدة أهل السنة والجماعة، لذا فالكتاب في نظري يحتاج لمزيد من الخدمة والتبسيط، ليتحقق به أكبر قدر من النفع، وليتمكن من قراءته وفهمه الخاصة والعامة، فالتوحيد فرض على الجميع، وليس لأناسٍ دون أناس.

2- اطناب الشارح - رحمه الله - في عرض شُبه ومبادئ الفرق الضالة، والرد عليها، وبخاصة أن أكثر هذه الفرق ليس لها أثر يُذكر بين المسلمين في هذا العصر[1]، مما جعل الكثير من طلبة العلم فضلاً عن عامة المسلمين ينأون عن قراءة الكتاب وينفرون منه.

3- عرض مبادئ الفرق الضالة وشبهاتهم والرد عليها، قد يؤدي إلى تشويش القارئ المسلم وبخاصة إذا كان من العامة، وإشغاله عن الغاية الأساسية التي لأجلها يدرس العقيدة والتوحيد، بل لربما يؤدي ذلك ببعض أصحاب القلوب المريضة إلى تبنّي تلك الأفكار واعتقادها، ومن ثم دعوة الناس إليها، فيكون قد حصل عكس المراد[2].

4- مرور الشارح على مسائل عقدية - هامة في زماننا - بشكلٍ مقتضب وموجزٍ تحتاج لمزيدٍ من التوضيح والشرح والبيان.

5- اهتمام الشارح بالجانب النظري الغيبي للعقيدة دون الجانب العملي الذي يتضمن الكفر بالطاغوت، والإشارة إلى جوانب الشرك المتعددة التي تُعتبر من نواقض الإيمان.

---

[1] ربما كان المؤلف-رحمه الله-يوجد في عصره من الفرق الضالة مايبرر له هذا الاطناب، بينما في زماننا قد استجدت مذاهب وفرق-لم يسمع بها سلفنا من قبل-تهدد عقيدة الأمة بالردة والانتكاس إلى جاهلية ماقبل الإسلام، تتطلب جهداً مضاعفاً من العلماء لمواجهتها وتعريتها، حيث من العبث الانشغال بفتن انتهت واندرست-والخوض فيها قد يحييها من جديد-عن فتن العصر التي تنتظر من يتصدى لها ويدحضها.

[2] قال الإمام أحمد بن حنبل للحارث بن أسد المحاسبي، بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة: ويحك ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر بالشبهة، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث والفتنة؟! عن شرح كتاب "الفقه الأكبر" للشيخ الملا علي القاري الحنفي، ص 9.

6- وجود بعض العبارات والكلمات - يصعب فهمها على العامة - تحتاج إلى تعليقٍ وتبسيطٍ وشرحٍ.

7- رغبة بعض الإخوان والزملاء بإجراء تهذيب يسهل تدريسه لطلبة العلم والعامة سواء.

هذه الأسباب مجتمعة كانت حافزاً لي وسبباً في أن أقوم بتهذيب هذا الشرح والتعليق عليه، راجياً من اللـه تعالى التوفيق والقبول، إنه قريب مجيب.

ويتلخص عملي في النقاط التالية:

1- هذبت الشرح تهذيباً تفاديت فيه كل مملّ يقل نفعه، من دون إخلالٍ بقيمة الشرح العلمية.

2- علقت على الشرح، وشرحت الغامضَ منه، ونبهت على أمورٍ رأيت من الواجب التنبيه عليها.

3- أثبت متن الإمام الطحاوي - رحمه اللـه - كما هو في الأصل، وكذلك الشرح لم أتدخل في عبارات الشارح إلا ما استلزمته ضرورة التهذيب، وجعلت كلامي وتعليقاتي في الهامش من الشرح.

4- ترجمت لكل فقرة من الكتاب، بعنوان يعرف القارئ على موضوع وفكرة الفقرة.

5- وكذلك قمت بتشكيل بعض الكلمات، ليسهُلَ قراءتُها وفهمها.

6- ألحقت في نهاية الكتاب أسئلة شاملة للمادة، تمكن القارئ من اختبار نفسه ومعرفة مدى استيعابه وفهمه لهذه العقيدة، وكذلك أشرت إلى موضع الإجابة في الكتاب.

7- لم تكن غايتي من عملية التهذيب تقليل صفحات الكتاب، وتصغير حجمه، بل لربما التهذيب مع التعليق يوازي الأصل من حيث الحجم.

8- ومن حيث الأحاديث الواردة في الشرح، فقد حذفت الضعيف منها، وأثبت الحديث الصحيح الذي به تقوم الحجة، واعتمدت في ذلك تخريج وتصحيح الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني - حفظه اللـه - ثقة مني بعلمه ودرايته بالحديث الصحيح من الضعيف، وفي التعليق أيضاً اجتهدت في أن لاأثبت إلا الحديث الصحيح معتمداً في ذلك على الصحيحين، وكتب الشيخ وتعليقاته، وغيره من أهل العلم والاختصاص.

9- ولضبط عملية التهذيب، اعتمدت النسخ التالية :

أ- نسخة مكتبة الرياض الحديثة، حققها الشيخ أحمد محمد شاكر.
ب- نسخة المكتب الإسلامي، حققها وراجعها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
ج- نسخة مؤسسة الرسالة، حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها، الدكتور عبد اللـه ابن عبد المحسن التركي، والشيخ شعيب الأرناؤوط.

راجياً من اللـه تعالى التوفيقَ والقبولَ، وأن ينفعني وجميع المسلمين بهذا العمل ويجعله قرة عين للموحدين، وسبب هداية للضالين التائهين، إنه تعالى سميعٌ قريب مجيب.

وصلَّى اللـه على محمد النبي الأُمي، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبها

عبد المنعم مصطفى عبدالقادر حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

عفا اللـه عنه وعن والديه بمنه ورحمته

من مقدمة الشارح، الإمام ابن أبي العز الحنفي

Π

وبه نستعين

الحمد لله نحمدُه، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسُوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد: فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم[1] إذْ شرفُ العلم بشرف المعلوم[2]، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة -رحمة الله عليه- ما قاله وجمعه في أوراقٍ من أصول الدين: " الفقه الأكبر "، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة،وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لاحياة للقلوب، ولانعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحبَّ إليها مما سواه ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه.

---

(1) هو علم التوحيد، ومتطلباته ونواقضه.

(2) أي علمٍ أشرف من علمٍ يُعرِّف العبد على خالقه ومايجب له عليه.

ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين[1]، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين[2]، ولمن خالفهم منذرين[3]، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها.

ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان:

أحدهما : تعريف الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه[4].

والثاني : تعريف السالكين مالهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم.

فأعرفُ الناس بالله Y أتبعهم للطريق الموصل إليه[5]، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه، ولهذا سمى الله ما أنزله على رسُوله روحاً، لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه.

فقال تعالى: **[يُلقي الروحَ من أمره على من يشاءُ من عباده]** غافر:

لتهدي إلى صراطٍ مستقيم] الشورى:

وأما مايجب على أعيانهم، فهذا يتنوع بتنوع قُدَرِهم، وحاجَتِهم ومعرفتهم، وما أُمِرَ به أعيانهم، ولايجب على العاجز عن سماع بعض العلم، أو فهم دقيقه مايجب على القادر على ذلك[1].

ويجب على من سَمِعَ النصوص وفهمها من علم التفصيل مالايجبُ على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدِّث والحاكم مالايجب على من ليس كذلك.

وعامة من ضل في هذا الباب، أو عجز فيه عن معرفة الحق، فإنما هو لتفريطه[2] في اتباع ماجاء به الرسول، فلما أعرضوا عن كتاب الله، ضلُّوا، كما قال تعالى: **[فإما يأتينكم مني هدىً فمنِ اتبع هُداي فلا يضلُّ ولايشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يومَ القيامة أعمى، قال ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى]** طه:

وقد نزَّهَ اللـهُ تعالى نفسَه عما يصفه به العباد إلا ماوصفه بـه المرسلون، بقولـه سبحانه: **[سبـحـان ربـك ربِّ العـزة عمـا يصفـون، وسـلامٌ علـى المرسلـين، والحمـد لله رب العالمين]** الصافات:

فاحتـاج المؤمنـون بعـد ذلـك إلـى إيضـاح الأدلـة، ودفـع الشُّبَـه الـواردة عليهـا، وكَثُـرَ الكـلامُ والشـغب، وسـبب ذلـك إصـغاؤهم إلـى شـبه المبطلـين، وخوضـهم فـي الكـلام المـذموم الـذي عابـه السـلف، ونَهَـوا عـن النظـر فيـه، والإشتغال بـه، والإصـغاء إليـه، امتثـالاً لأمـر ربهـم، حيـث قـال: **[وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتِنَا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرِه]** الأنعام:

ومعصيتَه معصيَةً له، وأقسم بنفسه أنهم لايؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم[3]، وأخبر أن المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى غيره[4]، وأنهم إذا دعو إلى الله والرسول -وهو الدعاء إلى كتاب الله وسُنَّةِ رسُوله- صَدُّوا صُدوداً، وأنهم يَزعمون أنهم إنما أرادوا إحساناً وتوفيقاً[5]!

كما يقوله كثير من المتملِّكَةِ والمتأمِّرة[6]: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة[7]، والتوفيق بينهما وبين الشريعة، ونحو ذلك.

وكل من طلَب أن يُحَكِّمَ في شيءٍ من أمر الدين غيرَ ما جاء به الرسول، ويظنُّ أن ذلك حسن، وأن ذلك جمعٌ بين ما جاء به الرسول وبين ما يُخالِفه، فله نصيب من ذلك[8] بل ما جاء به الرسول كافٍ كامل، يدخل فيه كلُّ حقٍّ،

كل الخير يكون في الاقتداء بسُنَّةِ النبي ε، فمن الغباء كل الغباء طلب الهداية من غير سنته ε والتماس الحلول لمشاكل الأمة من غير هديه ε.

(1) الخبر هو ما يتعلق بالعقائد والغيبيات، والأمر هو مايتعلق بالأحكام والشرائع أمراً ونهياً.

(2) أي طاعة النبي ε سبباً لطاعة الله Y، ومعصيته ε هي معصية لله تعالى.

(3) إشارة إلى قوله تعالى: **[فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم]** النساء:

وإنمـا وقـع التقصـير مـن كثيـر مـن المنتسـبين إليـه، فلـم يعلمـوا مـا جـاء بـه الرسولُ في كثيرٍ من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثيـر مـن الأحـوال العباديَّةِ، ولافي كثير من الإمـارة السياسيِّة، أو نسبُوا إلـى شـريعة الرسـول بظنهم وتقليدهم ماليس منها، وأخرجوا عنها كثيراً مما هو منها.

فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم، وبسبب عدوان أولئك وجهلهم ونفاقهم، كثر النفاق، ودَرَسَ[1] كثيرٌ من علم الرسالة.

بل يكـون البحـث التـام، والنظـر القـوي، والإجتهـاد الكامـل، فيمـا جـاء بـه الرسـول ε، لـيُعْلَم ويعتقد، ويُعمـل بـه ظـاهراً وباطنـاً، فيكـون قـد تُلـي حـقَّ تلاوته[2]، وأن لايُهمَل منه شيئاً.

وإن كان العبد عاجزاً عن معرفة بعض ذلك، أو العمـل بـه، فلاينهـى عمـا عجز عنه مما جاء به الرسول[3]، بل حسبه أن يسقط عنـه اللـومُ لعجـزهِ[4]،

فيمن ينحي شريعة اللـه كلياً عن الحكم ويستحسن غيرها من شرائع الطـاغوت، ثم هو يفرضها على الأمة بالحديد والنـار كمـا هـو شـأن طواغيت الحكم في هذا الزمـان.. لاشـك أنـه أولـى بالنفـاق والكفـر مهمـا زعـم بلسـانه أنـه مـن المسـلمين المؤمنين.

(1) أي محي وخفي.

(2) أي أن تـلاوة القـرآن -الـذي جـاء بـه النبـي ε- حـق الـتلاوة، تكـون بقراءتـه وتدبره، واعتقاده، والعمل به.

(3) أي غايتـه أن يَظهـر الإسـلام، ويعـم الخيـر بـين النـاس، سـواء تحقـق ذلـك عـن طريقه أو عن طريق غيره، ولاينبغي أن يصده الهوى أو التحزب أو العجز عن نصرة ذلك الحق لكونه جاء عن طريق غيره، كمـا هـو حـال كثيـر مـن الأحـزاب اليوم. ولكن قد يقـال: مـن كـان عنـده علـم صـحيح لكنـه لايعمـل بـه، هـل يـتكلم بـه وينشره بين الناس، أم أنه يلتزم الصمت حتـى لايقـع تحـت طائلـة النصـوص التـي تتوعد من يقول مالايفعل؟ الصـحيح: أنـه يـتكلم وينشـر العلـم الصـحيح وإن كـان لايعمل به، فلئن إجتمع عليه وزر أن يقول مـالايفعل، خيـر لـه مـن أن يجتمـع عليـه وزران: أن يقول مالايفعل، ووزر كتمـان العلـم، وبخاصـة إن كـان النـاس بحاجـة إلى هذا العلم الذي قد لا يوجد إلا عنده، واللـه أعلم.

(4) لأن العجـز الـذي لايمكـن دفعـه يسـقط عـن صـاحبه التكليـف، كمـا قـال تعـالى: **[لايكلف اللـه نفساً إلا وسعها]**. البقرة: 286.

وفـي الصـحيحين: "ومـا أمـرتكم بـه فـأتوا منـه مـا اسـتطعتم" والقاعـدة تقـول: (الميسور لا يسقط بالمعسور). وهذا أمر متفق عليه بين الأمة.

لكن عليه أن يَفرح بقيام غيره به، ويرضى بذلك، ويودَّ أن يكون قائماً به، وأن لايؤمنَ ببعضه، بل يؤمن بالكتاب كله، وأن يُصان عن أن يُدخل فيه ما ليس منه[1]، من روايةٍ أو رأيٍ، أو يتبع ماليس من عند اللـه اعتقاداً أو عملاً، كما قال تعالى: **[ولاتلبسوا الحق بالباطل، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون]** البقرة:

ذلك علمٌ نافع، أو أراد به الإعـــراض عنه، وترك الإلتفات إلى اعتباره، فإن ذلك يصونُ عِلِمَ الرجل وعقلَه، فيكون علماً بهذا الاعتبار.

وعنه أيضاً أنه قال: من طلب العلم بالكلام، تزندق[1]، ومن طلب المالَ بالكيمياء[2] أفلسَ، ومن طلب غريب الحديث كَذَبَ.

وقال الإمام الشافعي رحمه اللــه تعالى : حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

وقال أيضاً:

كلُّ العلومِ سوى القرآن مَشغَلَةٌ — إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدينِ
العلمُ ما كان فيه قال حدثنا — وماسِوى ذاك وسْواسُ الشياطينِ

ولقد أحسن القائل:

ياأيها المغتدي ليطلُبَ عِلماً — كلُّ عِلمٍ عبدٌ[3] لعلمِ الرسولِ
تطلُبُ الفَرْعَ كي تُصحِّحَ أصلاً — كيف أغفلت عِلمَ أصلِ الأصُولِ

لذلك الصحيح أن الزنديق يُقتل ولا يستتاب، لأن الاستتابة تكون من شيءٍ، وهذا لايعترف بشيءٍ رغم قيام البينة القاطعة التي تُدينه.

وعندما سُئل علي بن أبي طالب τ عن قتله للزنادقة من دون أن يستتيبهم، قال: جحدوني.

قال ابن القيم في أعلام الموقعين 2/

ونبيُّنا ε أُوتي فواتحَ الكلمِ وخواتمهُ وجوامعَه[1]، فبُعِثَ بالعلوم الكلية والعلوم الأولية
والأخروية، على أتم الوجوه، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها، فلذلك صار كلامُ المتأخرين كثيراً، قليلَ البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليلٌ، كثيرُ البركة، لا كما يقوله ضلال المتكلمين وجهلَتُهم: إن طريق القوم أسلم، وإن طريقتَنا أحكم وأعلم! وكما يقوله من لم يقدِّرهم قدرهم من المنتسبين إلى الفقه: إنَّهم لم يتفرغوا لاستنباط الفقه وضبطِ قواعدهِ وأحكامِه اشتغالاً منهم بغيره، والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفقه[2]!!

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعُمقِ علومهم، وقلَّة تكلُّفِهم، وكمال بصائرهم. وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والإشتغال بالأطراف التي كانت هِمَّةُ القوم مراعاةَ أصولها، وضبطَ قواعدِها، وشدَّ معاقدِها، وهمَمُهم مشمَّرةً إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأنٍ، والقومُ في شأنٍ آخر، وقد جعل الله لكل شيءٍ قَدراً.

وقد شرح هذه العقيدة غيرُ واحدٍ من العلماء، ولكن رأيت بعض الشارحين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم، واستمد منهم وتكلم بعباراتهم.

وقد أحببت أن أشرحَها سالكاً طريق السلف في عباراتهم، وأنسُجَ على منوالِهم، متطفلاً عليهم، لعلي أن أنظم في سلكهم، وأدخل في عدادهم، وأحشر في زمرتهم **[مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين**

---

[1] قيل في تأويل مجامع الكلم: أن النبي ε كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني. وقيل: المراد أنه أوتي القرآن الكريم، والقرآن غاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني، وكلا القولين حق، ونبينا ε يتصف بهما.

[2] قولهم أن الخلف أفقه وأحكم وأعلم من السَّلَف فيه رد للأحاديث النبوية الصحيحة، الدالة على أفضلية القرون الثلاثة الأولى، وفضل الرعيل الأول على مَن بعده. وعندما أمرنا الرسول ε، باقتداء سنة الخلفاء الراشدين مِن بعده، ذلك لعلمهم بالسنة الذي لايتحصل لمن بعدهم إلا بفضلهم وبواسطتهم. ثم هل يستوي الذين رضي الله عنهم بالنص الثابت وأمر بالترضي عليهم، والذين لايُعرف حالهم عند الله Y، أهم من المرضيين المرحومين أم من المغضوب عليهم؟! لاشك أنهما لايستويان مثلا.

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً] النســاء:

وقال تعالى: [**ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا اللـهَ واجتنبوا الطاغوتَ**[(1)]] النحل:

وقال ε: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسُول الله"[1] ولهذا كان الصحيح أن أولَ واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله[2].

وهنا مسائل تكلم فيها الفقهاء: فمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين[3]، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما: هل يصير مسلماً أم لا؟ والصحيح أنه يصير مسلماً بكل ماهو من خصائص الإسلام[4].

فالتوحيد أول ما يُدخَل به في الإسلام، وآخر ما يُخرج به من الدنيا، كما قال النبي ε "من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة"[5]. فهو أول واجب وآخر واجب[6] فإن التوحيدَ يتضمن ثلاثةَ أنواع: الكلام في

وهمهم الأكبر، يجب أن توضع على رأس الأولويات عند كل عمل أو مشروع دعوي، وهي غاية تصب في خدمتها جميع الوسائل والإمكانيات، ولايجوز أن يكون العكس، ولما غفلت كثير من الأحزاب والجماعات الإسلامية المعاصرة عن هذا الأصل الهام وانشغلت عنه بالدون من الوسائل والفروع، قلّت بركتها، وفقدت مبرر وجودها، ولم تتمكن من تحقيق شيء من أهدافها العامة.

[1] متفق عليه.

[2] الواجب هنا يمتد ليشمل النطق بها وفهما والعمل بمدلولاتها ولوازمها، وبغض نواقضها والإمساك عن الوقوع فيها.

[3] الصلاة تتضمن الشهادتين، والشهادتان من فرائض الصلاة، من تعمد تركهما لاتقبل صلاته.

[4] هذا الكلام لايصح على إطلاقه وهو كلام تعوزه البينة والدليل، لأن الصيام والزكاة من خصائص الإسلام وأهم أركانه ومع ذلك لايصح أن يُقال لمن صام أو زكى ماله أنه صار بذلك مسلماً من دون أن ينطق بشهادة التوحيد.

والذي عليه أهل العلم ودلت عليه السنة أن المرء لايصير مسلماً إلا بنطقه لشهادة التوحيد، ولايجزئ عن الشهادة من الأعمال شيء سوى الصلاة، لقوله ε : "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذاك المسلم له ذمةَ الله وذمة رسوله". ولأن الصلاة تتضمن الشهادتين كما تقدم.

[5] حديث صحيح، رواه الحاكم وغيره.

[6] لأن من شروط التوحيد الذي ينفع صاحبه يوم القيامة الموافاة عليه، فالعبرة بالخواتيم وبما يختم به على المرء مهما كان العمل قبل الموافاة مغايراً لما تمت الموافاة عليه.

الصفات[1]، وتوحيد الربوبية، وبيان أن اللـه وحده خالق كل شـيءٍ. وتوحيد الإلـهية، وهو استحقاقه I أن يعبد وحده لاشريك لــه.

-تـوحيدُ الربوبية لم يذهبْ إلى نقيضـه طائفة مِن بني آدم-

توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كلّ شيءٍ، وأنـه ليس للعالم صـانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حقٌّ لاريب فيه وهو الغاية عند كثيرٍ من أهل النظر والكلام وطائفةٍ من الصوفية.

وهذا التوحيد لم يذهبْ إلى نقيضه طائفةٌ معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورةً على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل عليهم السلام فيما حكى اللـه عنهم: **[قالت رسلهم أفي اللـه شكٌّ فاطِرِ السماواتِ والأرض]** إبراهيم:

واحدٌ، كما أخبر تعالى عنهم بقوله:**[ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولُنَّ اللَه]**.لقمان:

عليهم الأمد، فعبدوهم[1]، وأن هذه الأصنام بعينها صارت إلى قبائلِ العرب، ذكرها ابن عباس قبيلةً قبيلةً[2].

وفي صحيح مسلم، عن أبي الهيَّاج الأَسْدِي، قال: قال لي علي بن أبي طالب τ: ألا أبعثك على مابعثني رسُول الله ε؟ "أمرني أن لا أدع قبراً إلا سويته، ولاتمثالاً إلا طمسته".

وفي الصحيحين، عن النبي ε أنه قال في مرض موته: "لعن اللهُ اليهودَ والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا،قالت عائشة: ولولا ذلك لأُبرِزَ قبرُه، ولكن كره أن يُتَّخذ مسجداً.

وفي الصحيحين، أنه ذُكِرَ له في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة وذُكر له من حسنها وتصاويرَ فيها، فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجلُ بنَوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة".

وفي صحيح مسلم، عنه ε أنه قال: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك"[3].

وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع، وأنه ليس للعالَم صانعان ولكن اتخذوا هذه الوسائط شفعاء، كما أخبر عنهم تعالى بقوله: **[والذين اتخذوا من دونهِ أولياءَ ما نعبدُهم إلا ليقربونا إلى اللهِ زُلفى]** الزمر: 3. وقال تعالى: **[ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفعاؤنا عندَ اللهِ قل أتنبئون اللهَ بما لا يعلَمُ في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عمَّا يُشركون]** يونس:

قـال تعـالى: [**فـأقم وجهـكَ للـدين حنيفـاً فطـرتَ اللــه التـي فطـر النـاس عليهـا**[1] **لاتبديلَ لخلق اللــهِ ذلـك الـدينُ القيِّم ولكـن أكثـر النـاس لايعلمـون**] الروم:

-توحيدُ الربوبية يستلزمُ تَوحيدَ الألوهيَّةِ-

من ذلك أن القرآن يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لاخالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول[1] دليلاً على الثاني، إذْ كانوا يُسلِّمون للأول ويُنازعون في الثاني فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لاخالق إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم مايضرهم، لاشريك له في ذلك، فلِمَ تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهةً أخرى ؟!

كقوله تعالى: **[قُلِ الحمدُ للهِ وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ءآللهُ خيرٌ أَمَّا يُشركون، أمَّن خلَقَ السماواتِ والأرضَ وأنزل لكم من السماءِ ماءً فأنبتنا به حدائقَ ذات بهجةٍ ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها أءِلهٌ مع الله بل هم قومٌ يعدلون]** النمل:

وقال تعالى: **[يا أيها الناس اعبدوا ربَّكُم الذي خلقكُم والذين من قبلِكُم لعلَّكم تتقون]** البقرة:

-توحيد الإِلـهية يتضمّن توحيدَ الربوبية-

توحيد الإِلـهية متضمنٌ لتوحيد الربوبية دون العكس[2]، فمن لايقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لايصلح أن يكون إلهاً.

قال تعالى: **[أيُشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون]** الأعراف:

-التوحيد الذي دعت إليه الرسل-

التوحيد الذي دعت إليه رسل اللــه، ونزلت بـه كتبـه نوعـان: توحيد فـي الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسُوله ε [1].

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد[2]، مثل ما تضمنته سورة **[قل يا أيها الكافرون]** و **[قل يــا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننـا وبينكم]** آل عمران:

وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقِه وجزائِه، وفي شأن الشرك وأهلِهِ وجزائهم[1].

فـ [الحمد لله رب العالمين] توحيد[2]، **[الرحمن الرحيم]** توحيد[1]، **[مالك يوم الدين]** توحيد[2]، **[إياك نعبد وإياك**

وشرب الخمر .. وغيرها. لكن الإدمان على ارتكاب المحظورات، وإهمال الواجبات قد تؤدّي بصاحبها إلى الإستهانة بأحكام الله، واستحسان المنكر، وإلى مؤاثرة الدنيا وزخرفها على الآخرة ونعيمها، وبالتالي إلى الكفر المخرج عن الملة، فالاستهانة بالصغائر بريد إلى الكبائر، والإدمان على الكبائر بريد إلى الكفر والعياذ بالله.

(1) مادام التوحيد له هذا القدر من الأهمية، والقرآن الكريم كله يدور حول التوحيد ومتطلباته ومكملاته ونبذ الشرك ومقدماته، إنه لحريّ بالمسلمين أن يهتموا بالتوحيد، ويتعلموه ويعلّموه، وأن لا ينشغلوا عنه بالمندوب والمباح، وبما هو دونه. فالتوحيد أصل وما دونه فروع تبنى عليه، فإن صح الأصل صح البناء، وآتى ثماره، ورُجي عطاؤه، وإن فسد الأصل فسد البناء وانهار على صاحبه ولو بعد حين، وطول تحصيل، كما قال تعالى: **[وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورا]**.

أما التوحيد فأصله ثابت يؤتي أكله وثماره كل حين ووقت، كشجرةٍ طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين، كما قال تعالى: **[ألم تر كيف ضرب اللهُ مثلاً كلمة طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابت وفرعها في السماء. تُؤتي أُكُلَها كل حينٍ بإذن ربها ويضرب اللهُ الأمثالَ للناس لعلَّهم يتذكرون]**.

وأما الشرك فمثله كما قال تعالى: **[ومثل كلمةٍ خبيثة كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّت من فوق الأرض مالها من قرار]**.

(2) يشمل على نوعي التوحيد: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، أما توحيد الألوهية يكمن في التوجه إلى الله وحده بالحمد والثناء والشكر، وتوحيد الربوبية يكمن في توحيد الله في ربوبيته على العالمين.

نستعين] توحيد[3]، **[اهدنا الصراط المستقيم]** توحيد، متضمن بسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد[4]، **[غير المغضوب عليهم ولا الضالين]** الذين فارقوا التوحيد[5].

وكذلك شَهِدَ اللـهُ لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسلُه.

قال تعالى: **[شَهِدَ اللـهُ أنه لا إله إلا هو والملائكَةُ وأولوا العلمِ قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيزُ الحكيم]** [6] آل عمران:

وشـهادَةُ الـربِّ Y وبيانُـه وإِعلامـه، يكـون بقولـه تـارةً، وبفعلـه أخـرى، فالقول: ما أرسلَ به رسلَه وأنزل بـه كُتُبَـه، وأمـا بيانُـه وإِعلامـه بفعلـه، فكمـا قال ابن كيسان: شهد اللـه بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه: أنـه لا إله إلا هو.

وقال آخر:

وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تـدلُّ على أنه واحِدُ.

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل، قولُه تعالى: **[ما كـان للمشـركين أن يَعمـروا مسـاجدَ اللــه شـاهدين علـى أنفسـهم بـالكفر]** التوبـة:

وأيضاً فالآية دلت على أنه وحدُه المستحِقُّ للعبادة[1]، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحق للعبادة، تضمن هذا الإخبارُ أمر العباد وإلزامهم بأداء مايستحقه الربُّ تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم[2].

---

(1) العبادة بمعناها العام الشامل لجميع مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة منها والباطنة، عبادة النسك والشعائر .. وعبادة الركوع والسجود والخضوع .. وعبادة التوكل والخوف والرجاء والدعاء .. وعبادة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وعبادة الطاعة والانقياد والرضى والتسليم .. وعبادة التحاكم والاتباع .. وعبادة الحب والولاء والبراء .. فجميع أنواع ومجالات العبادة هذه وغيرها من الطاعات التي أمر الله بها يجب أن تصرف لله وحده دون أحدٍ سواه.

[قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لاشريك له وبذلك أُمرت وأنا أولُ المسلمين] الأنعام: 162-163 . فجميع الحياة وما يتخللها من أعمال قد شرعها الله للعباد كلها يجب أن تُصرف لله، وحتى الممات فإنه يجب أن يكون في سبيل الله وحده وليس في سبيل الوطن أو القوم أو الإنسانية أو الزعيم، أو الديمقراطية، وغيرها من الطواغيت التي تهدر في سبيلها الأرواح والحرمات، وتُقدم لها القرابين!!

ومن مظاهر انحطاط وتخلف المسلمين في هذا الزمان انحسار كثير من المفاهيم الشرعية عن مدلولها الشرعي الصحيح في أذهانهم وفي واقع حياتهم، والذي كان من وراء ذلك العلمانية الكافرة التي فصلت الدين عن الحياة، والفكر الصوفي الإرجائي الإتكالي القائل: لايضر مع التصديق كفر وذنب.. !

من تلك المفاهيم: العبادة، حيث حُصرت في دائرة النسك والشعائر، وانحسرت مدلولاتها الشرعية الواسعة - في أذهان الناس - إلى مجرد أداء للشعائر التعبدية فقط، وبالتالي فهم إذا ما أُمروا أن يعبدوا الله فسرعان ما يحملون الأمر أو الخطاب على العبادة التي تعني الشعائر وحسب، لذلك فهم لايجدون حرجاً في أن يعبدوا غير الله تعالى في المجالات الأخرى غير الشعائر التعبدية، ولايرون في ذلك تعارضاً مع كونهم لايجوز لهم أن يعبدوا غير الله تعالى..!

(2) حق الله على العباد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، كما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن معاذ بن جبل، قال: قال النبي ε : "يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد؟" قال الله ورسُوله أعلم. قال: "أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً، أتدري ماحقهم عليه؟" قال: الله ورسُوله أعلم. قال: "أن لايعذبهم".

-اللـه تعالى بيّـن التوحيد بطرق ثلاث: السمع، والبصرِ، والعقلِ-

أما السمعُ: فبسمع آياتهِ المتلوة المبينـة لمـا عَرَّفَنـا إيَّـاهُ من صـفات كمالِـه كلِّها، الوحدانية وغيرها غاية البيان، لا كما يزعمـه الجهميـة[1] ومن وافقهم مـن المعتزلـة[2]، ومعطلـة بعض الصفات من دعوى احتمـالات توقـع فـي الحيرة، تُنـافي البيـان الذي وصـف اللـه بـه كتابَـه العزيـز ورسُوله الكـريم، كمـا قـال تعـالى: **[حم، والكتـاب المبين]** الزخـرف: 1-2، **[الـر تلـك ءايـاتُ الكتاب وقرءان مبين]** الحجر: 1.

وكـذلك السـنَّة تـأتي مبينـةً أو مقـررةً لمـا دل عليـه القـرآن، لـم يُحوِجنـا ربنـا سـبحانه وتعـالى إلـى رأي فـلانٍ، ولا إلـى ذوق فـلانٍ ووجـده فـي أصـول ديننا[3].

---

[1] نسبةً إلى الضال جهم بن صفوان، القائل بإنكار الصفات وتعطيلها، وله كـلام فـي الإيمـان والوعد والوعيد، مفاده أن الإيمـان محصـور فـي القلب والتصـديق، وبالتـالي فـإن الكفر عنده محصـور فـي التكذيب القلبـي لاغير. وقد اشـتد نكيـر السَّلَف علـى مـن يقـول بهـذا القـول، ومـع ذلـك فكثيـر مـن مرجئـة العصـر الـذين استفحل شرهم في البلاد يقولون بهذا القول وإن لم يعترفوا بـأنهم علـى قـول جهـم ومـن تابعـه فـي الإيمـان، وقـد قتـل جهمـاً سـلم بـن أحـوز، لإنكـاره أن اللــه كلـم موسـى، وذلك سنــة 128 هــ. انظــر ســير أعــلام النبــلاء: 6/26-27، وتاريـخ الطبري: 4/294-295 .

[2] المعتزلـة فرقـة ضـالة، تجحد صفات اللـه Y، وتنكر القدر وأن تكون أفعـال العبـاد قـد خلقهـا اللــه، وقـالوا : بـأن كـلام اللــه محـدث مخلـوق، وبالمنزلـة بـين المنزلتين؛ أي أن الفاسق لاهو مؤمن ولا كافر! وقيل أنهم سُموا بالمعتزلـة نسبة إلـى واصـل بـن عطـاء الغـزال، الـذي طـرده الحسـن البصـري مـن مجلسـه بسـبب مقولته في القدر، فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة ومن حينها سمي هو وأتباعه بالمعتزلة. انظر الفرق بين الفرق:

ولهذا نجد من خالف الكتابَ والسنة مختلفين مضطربين قال تعالى: **[اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكمُ الإسلامَ ديناً]** المائدة: 3 . فلا يَحتاج في تكميله إلى أمرٍ خارجٍ عن الكتاب والسنة.

وأما آياته العيانية الخلقية: فالنظر فيها، والاستدلال بها يدل على ماتدل عليه آياته القولية السمعية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل[1]، فتتفق شهادةُ السمعِ، والبصر، والعقل، والفِطرة.

-ما من نبي إلا ومعه آيةٌ تدلُّ على صدق نبوته-

فهو سبحانه لكمال عدله ورحمته وإحسانه وحكمته ومحبته للعذر[2]، وإقامة الحُجَّة[3]، لم يبعث نبياً إلا ومعه آيةٌ تدل على صدقه فيما أخبر به.

---

(1) لايوجد تعارض بين العقل السليم وبين النقل الصحيح، وفي حال ظهور التعارض، يكون لأحد الأسباب التالية:

أ- أن يكون العقل سليماً، ولكن النقل غير صحيح من حيث السند والمتن.

ب- أن يكون النقل صحيحاً، ولكن العقل يكون قد تجاوز الحد المقدر له، وتطاول في البحث عن أمورٍ لاتخصه ولاتعنيه، فحينها يظهر التعارض ويكون الخلل من العقل لامن النقل.

جـ- أن يكون النقل صحيحاً، والعقل سليماً، لكن لجهلنا في التوفيق بينهما، يظهر لنا الأمر أنهما متعارضان، وفي الحقيقة أنهما غير ذلك.

(2) قال رسول الله ε : "لاشخصَ أغير من الله تعالى، ولاشخص أحب إليه العذر من الله Y، ومن أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين ولاشخص أحب إليه المدح من الله تعالى، ومن أجل ذلك وعد الجنة". رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

(3) إقامة الحجة تتعلق بثلاثة ضوابط، وهي: **أولاً:** أن الجاهل الذي يجب أن تقام عليه الحجة قبل الحكم عليه، هو من كان جهله عن عجز لايمكن دفعه، أما إذا كان جهله لسبب غير العجز أو عن عجز يمكن دفعه لكنه لايفعل، فهو ملام ومسؤول عن تقصيره ولايعذر بالجهل. **ثانياً:** الحجة تقوم على الجاهل ببلوغه الخطاب الشرعي عبر أي وسيلة كانت، شريطة أن تصله بلغة يفهما وبطريقة ترفع عنه العجز بمعرفة مراد الشارع فيما قد خالف فيه، ولايشترط هنا حصول الاقتناع أو الاستجابة، فهذا أمر مرده إلى الله، فهو سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء. **ثالثاً:** يشترط فيمن يقيم الحجة أن يكون ملماً بالمسألة التي يريد أن يقيم فيها الحجة على المخالف، لأن فاقد الشيء وجاهله لايعطيه، ولايشترط -

قــال تعــالى: **[لقــد أرســلنا رسُــلَنا بالبينــات وأنزلنــا معهــم الكتــابَ والميـزان**[1] **ليـقـومَ الناسُ بالقسط]** الحديد:

ويُعادون عليها[1]، ويَبذلون دماءهم وأموالهم في نصرتهم لها، ثم أكَّد ذلك عليهم بالإستهانة بهم، واحتقارهم وازدرائهم، ولو يجتمعون كلُّهم على كيده وشفاء غيظهم منه، ثم يعاجلُونَه ولايمهلونَه لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه اللـه عليه[2].

فأي آيةٍ وبرهانٍ أحسنُ من آيات الأنبياء عليهم السلام وبراهينِهم وأَدلَّتِهم؟ وهي شهادةٌ من اللـه سبحانه لهم، بينها لعباده غاية البيان.

- من أسمائه تعالى الحُسْنَى[3]، المؤمِنُ والشَّهيدُ[4]-

ومن أسمائه تعالى "المؤمنُ"، وهو في أحد التفسيرين: المصدِّقُ الذي يُصدق الصادقين بما يُقيم لهم من شواهد صدقِهم[5] فإنه لابد أن يُرِي العبادَ من الآيات الأُفقية والنفسية ما يُبيِّن لهم أن الوحي الذي بلَّغته رسُلُه حقٌّ، قال تعالى: **[سنُريهم ءاياتِنا في الآفاق وفي أنفُسهم حتى يتبيَّنَ لهم أنه الحقُّ]** فصلت:

أن يُرِيَ العبادَ من آياته الفعليَّة الخَلْقية ما يَشهد بذلك أيضاً[1]، ثم ذكَر ما هو أعظَم من ذلك كلِّه وأجل، وهو شهادته سبحانه على كل شيءٍ، فإن من أسمائه الشهيدَ[2] الذي لا يغيبُ عنه شيءٌ، ولا يَعزُبُ عنه[3]، بل هو مطلع على كل شيءٍ مُشاهد له، عليم بتفاصيله.

-الاستدلال بأسماء اللـه تعالى وصفاته، على وِحدانيته وعلى بُطلان الشركِ-

قد أودع اللـه في الفطرة التي لم تتنجَّس بالجحود والتعطيل ولا بالتشبيه والتمثيل[4]، أنه سبحانه الكامِلُ في أسمائه وصفاته وأنه الموصوفُ بما وصف به نفسَه ووصفه به رُسُله[5]، وما خَفِي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه .

ومن كماله المقدَّسِ شهادته على كل شيءٍ واطلاعُه عليه بحيث لايغيبُ عنه ذَرَّة في السماوات ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومَن هذا شأنهُ كيف يليق بالعباد أن يُشركوا به وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهاً آخر؟ وكيف يليق بكمالِه أن يُقِرَّ من يَكذِبُ عليه أعظمَ الكذب، ويُخبُر عنه بخلاف ما الأمرُ عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويُعلي شأنه ويجيب دعوته، ويُهلك عدوَّه،

---

[1] من ذلك صعود الإنسان إلى القمر، وصناعته التلسكوبات الضخمة التي مكنته من رؤية كثير من أسرار هذا الكون العظيم الذي يدل على خالقٍ عظيم، وربٍّ يستحق أن يُعبد ويُفرد بالعبادة **[وَعْدَ اللـهِ حقًّا ومَن أصدق من اللـهِ قيلاً]** النساء:

ويُظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يَعجِزُ عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مُفترٍ[1]؟!

قال تعالى: [**ولو تقوَّلَ علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين**[2]**، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين**] الحاقة:

وهذه الطريق[1] قليلٌ سالكها، لايهتدي إليها إلا الخواصُّ[2]، وطريقة الجمهور[3] الاستدلال[4] بالآيات المشاهدة، لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله سبحانه يُفضل بعضَ خلقه على بعض.

-أكملُ الناس توحيداً الأنبياءُ والمرسلون، وهم يتفاضلون فيه-

إنَّ أكمل الناس توحيداً الأنبياءُ صلواتُ الله عليهم، والمرسلون[5] منهم أكمل في ذلك[6].

وأُولُوا العزم من الرُّسل أكملُهم توحيداً[7] وهم: **نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمد**، صلى الله عليهم أجمعين.

وأكملهم توحيداً الخليلان: **محمدٌ وإبراهيمُ** صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً ومعرفة وحالاً ودعوةً للخلق وجهاداً، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودَعوا إليه،

---

(1) أي طريق الإستدلال على توحيد الله Y، بصفاته وأسمائه، إذ أن المألوه المستحق لكمال العبادة هو الإله المتصف بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا، أما ماسواه -أيَّاً كان- فإنه مجبول على الضعف والحاجة والنقص والعجز، ومن كان كذلك لايستحق أن يُعبد، ولايجوز أن يُعبد، أو يُهتدى لعبادته.

(2) هم أَهْل العلم والتوحيد الخالص، أَهْل الاتباع لا الابتداع.

(3) هم العامة من المسلمين.

(4) أي الإستدلال على وحدانية الله Y.

(5) الفرق بين النبي والرسول: أن النبي يُوحى إليه لكنه لم يؤمر بتبليغ الناس بما أوحي إليه. بينما الرسول يُوحى إليه ويرسل إلى أناس معينين ليبلغهم بما أوحي إليه، ولذلك قالوا: كل رسول نبي وليس العكس.

(6) المرسلون هم أكمل إيماناً وتوحيداً، لأنهم الأكثر جهاداً وتضحية ومعاناة من أجل إظهار التوحيد وإبطال عبادة الطواغيت، فالمرء كلما كمل جهاده ونصره للتوحيد كلما كمل توحيده وإيمانه، وأعطاه الله القبول في الأرض وفي السماء. ومن يتأمل سير السَّلَف الصالح وسبب تفاوت مراتبهم يُدرك حقيقة ذلك.

(7) فيه أن التوحيد يتفاضل بين الناس كالإيمان، وهذا يستدعي من طالبه أن لايقتنع بحد يقف عنده، فالمرء كلما كمل توحيده كلما كان أقرب في الإقتداء والتأسي بأولي العزم من الرسل وكان أحسن حالاً، وأسلم ديناً، وأرضى لله تعالى.

وجاهدوا الأممَ عليه ولهذا أمر سبحانه نبيَّه ε أن يقتدي بهم فيه: **[أولئك الذين هدى اللـه فبهداهم اقتده]** الأنعام:

قَولُهُ : " ولاشَيءَ مِثْلُـهُ ".

ش: اتفق أهلُ السنةَ علـى أن اللــهَ لـيس كمثلـه شـيءٌ لا فـي ذاتـه، ولا فـي صفاته، ولا في أفعاله، وأن خصائصَ الربِّ تعالى لايُوصف بها شـيءٌ من المخلوقات، ولا يُماثلـه شـيء من المخلوقات في شـيءٍ من صفاته: **[ليس كمثله شيءٌ]** الشورى:

قديراً، رؤوفاً، رحيماً، عزيزاً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، ملكاً، مؤمناً، جباراً، متكبراً. وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء، فقال : **[يُخرج الحيَّ من الميت]** الأنعام:

وإذا اتفقنا في مُسمى الوجودِ والعلم والقُدْرةِ، فهذا المشتركُ مطلقٌ كُلِّي يوجد في الأذهان لا في الأعيان(1). والموجود في الأعيان مختصٌ لا اشتراك فيه(2)، وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأشياء العامة الكلية، يكون مُسمَّاها المُطلق هو بعينه ثابتاً في هذا لمعين وهذا المعين، وليس كذلك، وهذه الأسماءُ إذا سُمِّيَ اللهُ بها، كان مُسمَّاها مُعيَّناً مختصاً به، فإذا سُمي بها العبدُ كان مُسَمَّاها مختصاً به، فوجودُ اللهِ وحياتُه لايشارِكُه فيها غيرُه، بل وجود هذا الموجود المعين لايشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟! ألا ترى أنك تقول: هذا، هو ذاك، فالمشارُ إليه واحد ولكن بوجهين مختلفين.

وبهذا ومثلِه يتبيَّنُ لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى(3)، وزادوا فيه على الحقِّ فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثَلة بوجه من الوجوه، وزادوا فيه على الحق حتى ضَلُّوا، وأن كتابَ اللهِ دلَّ على الحقِّ المحض الذي تعقِلُه العقولُ السليمةُ الصحيحةُ، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه(4).

قولُه: " ولا شيءَ يُعْجِزُهُ ".

ش: لكمالِ قدرته، قال تعالى: **[إن اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير]** البقرة:

كقوله تعالى: **[ولا يظلم ربُّكَ أحداً]** الكهف:

أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجلُّ، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب[1].

-التعبيرُ عن الحق بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة مذهبُ أهل السنَّة والجماعة-

والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية، هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطِّلَة يُعرِضون عمَّا قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده.

وأما أهلُ الحق والسنة والإيمان، فيجعلون ما قالَه اللهُ ورسُوله هو الحق الذي يجب اعتقادهُ واعتماده، والذي قاله هؤلاء إما أن يُعرضوا عنه إعراضاً جُمليّاً[2]، أو يبينوا حالَه تفصيلاً، ويُحكم عليه بالكتاب والسنة، ولا يُحكم به على الكتاب والسنة.

وليس قول الشيخ رحمه اللـه تعالى: **" ولا شيء يعجزه "** من النفي المذموم، فإن اللـه تعالى قال: **[وما كان اللـهُ ليُعجِزَهُ من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً]** فاطر:

ش: هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسلُ كُلُّهم، وإثباتُ التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي[1] والإثبات المقتضي للحصر[2]، فإن الإثباتَ المجرد

[1] أي نفي الإلهية عن غير اللـه Y. ومنه تعلم أن من أتى بجانب الإثبات لشهادة التوحيد من دون جانب النفي المتضمن الكفر بالطواغيت، لايكون قد شهد أن لا إله إلا اللـه الشهادة التي تنجيه وتنفعه يوم القيامة.

[2] أي إثبات الإلهية وحصر جميع معانيها وخصائصها باللـه Y من دون شريك.

ومعنى **(لا إله إلا اللـه)**، أي لا معبود في الوجود بحق إلا اللـه تعالى. ولشهادة التوحيد شروط لايصح توحيد المرء إلا بها - دلت عليها نصوص الكتاب والسنة - لابدّ من استيفائها جميعاً لمن أراد أن ينتفع بها يوم القيامة، وهي شروط عشر، نجملها في النقاط التالية:

1- **شرط النطق:** حيث أن الإيمان لايصح ولايُقبل من صاحبه إلا بعد أن ينطق بشهادتي التوحيد: أن لا إله إلا اللـه، وأن محمداً عبده ورسُوله.

كما في الحديث، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول اللـه ε، فوجد عنده أبا جهل، وعبد اللـه بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول اللـه ε : "يا عم قل لا إله إلا اللـه، كلمة أشهد لك بها عند اللـه"، فقال أبو جهل وعبد اللـه بن أبي أمية: يا أباطالب أترغب عن ملّة عبد المطلب، فلم يزل رسولُ اللـه ε يعرضها عليه ويعيد لـه تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا اللـه، فقال رسول اللـه ε: "أما واللـه لأستغفرنَّ لك ما لم أُنـه عنك"، فأنزل اللـه Y: **[ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم]**.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول اللـه ε لعمه: "قل لا إله إلا اللـه أشهد لك بها يوم القيامة"، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك! فأنزل اللـه : **[إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللـه يهدي من يشاء]**.

وفي الحديث المتفق عليه، قال رسُول اللـه ε: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللـه وأن محمداً رسُول اللـه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابُهم على اللـه".

قال النووي في الشرح (212/1): فيه أنَّ الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسُول الله ε. ا هـ.
وقال ابن تيمية في الفتاوى (609/7): الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافرٌ باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها ا - هـ.

2- **شرط الكفر بالطاغوت:** إذ لا يصح الإيمان إلا بعد الكفر بالطاغوت: وهو كل ما يعبد -ولو في مجال من مجالات العبادة- من دون الله تعالى.

وهو المراد من قوله تعالى: **[فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم]** البقرة: 256 .
والعروة الوثقى كما قال أهل العلم والتفسير هي **" لا إله إلا الله "**.

مفهوم الآية الذي دلّ عليه منطوق النصوص الشرعية أن من آمن بالله لكنه لم يكفر بالطاغوت لايكون قد استمسك بالعروة الوثقى، ولا شهد أن لا إله إلا الله الشهادة التي تنفعه أو تنجيه.

وهذا يوضحه قوله ε في صحيح مسلم: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله".

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فقوله: "وكفر بما يعبد من دون الله" تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله ا-هـ (مجموعة التوحيد: 35).

قلت: وكونه مهدور الدم والمال، فإنه يدل أن شهادة أن لا إله إلا الله ما نفعته مع عدم الكفر بالطاغوت، لأن مثله مثل من يقول بالشيء وضده في آن معاً، وبالتوحيد والشرك.. !!

والكفر بالطاغوت -المنجي لصاحبه- له صفات وأحوال وعلامات لايتحقق الكفر بالطاغوت إلا بعد استيفائها والقيام بها، أما دعوى الكفر بالطاغوت بحركة اللسان ثم يتبع ذلك ما يضاده من استحسان وموالاة وركون للطواغيت، فهو زعم بلا حقيقة أو برهان، ويكذبه واقع الحال والعمل.

3- **شرط العلم:** لقوله تعالى: **[فاعلم أنه لا إله إلا الله]** محمد: 19 . ولقوله ε في الحديث الذي يرويه مسلم: " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ".

مفهوم الحديث أن من مات وهو لايعلم أنه لا إله إلا اللـه لايدخل الجنة وإن كان يتلفظ بها في لسانه وعلى عدد حبات مسبحته؛ لأن الجهل بالشيء من لوازمه عدم اعتقاده في القلب، وعدم اعتقاده التوحيد كفر بلا خلاف.

ثم كم هؤلاء الذين يصرحون بشهادة أن لا إله إلا اللـه في لسانهم ويفسرونها أن لا خالق ولا رازق ولا ضار إلا اللـه لذلك لا غرابة لو رأيتهم -مع نطقهم لشهادة أن لا إله إلا اللـه- يعبدون غير اللـه تعالى في الطلب والدعاء والنذر والتحاكم والطاعة وغير ذلك من مجالات العبادة، ثم لا يرون في ذلك تعارضاً مع نطقهم لشهادة التوحيد !!.

فمثل هذا لا ينفعه مجرد النطق لشهادة التوحيد وهو يجهل متطلباتها ولوازمها ونواقضها، ويفسرها التفسير المطابق لتفسير وتوحيد كفار قريش.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللـه : دين النبي ε التوحيد؛ وهو معرفة لا إله إلا اللـه محمد رسُول اللـه، والعمل بمقتضاها، فإن قيل: كل الناس يقولونها: قيل: منهم من يقولها ويحسب معناها أنه لا يخلق إلا اللـه ولا يرزق إلا اللـه وأشباه ذلك، ومنهم لايفهم معناها، ومنهم من لا يعمل بمقتضاها، ومنهم من لايعقل حقيقتها.وأعجب من ذلك من عرفها من وجه وعاداها وأهلها من وجه ! وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها !! يا سبحان اللـه العظيم أتكون طائفتان مختلفتين في دين واحد وكلهم على الحق؟! كلا واللـه، فماذا بعد الحق إلا الضلال ا-هـ (الرسائل الشخصية: 182).

4- **شرط الصدق والإخلاص:** لقوله ε في الحديث الذي يرويه البخاري: "ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا اللـه وأن محمداً رسُول اللـه صدقاً من قلبه إلا حرَّمه اللـه على النار".

ولقوله: "أبشروا، وبشروا من وراءكم، أنه من شهد أن لا إله إلا اللـه صادقاً بها دخل الجنة".

مفهوم الحديث أن من يشهد أن لا إله إلا اللـه كذباً ونفاقاً، لاستقطاب الجماهير وإقناعهم به كزعيم، أو لركوب موجة التديّن تضليلاً للناس عن حقيقته ونفاقه وكفره، كما هو شأن كثير من طواغيت الحكم حيث تراهم يتظاهرون بشيء من التديّن ويصرحون بالشهادتين سياسةً وتكتيكاً لتضليل شعوبهم وتمرير كفرهم على الناس..

فمن كان كذلك فإن مفهوم الحديث يقتضي أنه لا يدخل الجنة، بل هو من المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار.

5- **شرط انتفاء الشك:** لقوله ε في الحديث الذي يرويه مسلم: "أشهد أن لا إله إلا اللـه وأني رسُول اللـه، لايلقى اللـه بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة".

مفهوم الحديث أن من لقي اللــه بشهادتي التوحيد وهو شاك فيهما أو بشيء من لوازمهما ومقتضياتهما لا يدخل الجنة ولا يكون من أهلها الذين يشهدون الحق بحق.

6- **شرط حصول اليقين:** وهو الذي ينتفي معه أدنى ريب في أن اللــه واحد أحد في خصائصه وإلهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، لا شريك له في شيء من ذلك.

لقوله ε في الحديث الذي يرويه مسلم: "من يشهد أن لا إله إلاَّ اللـه مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة".

مفهوم الحديث أن من يشهد أن لا إله إلاَّ اللــه وهو غير مستيقن بها وبمدلولاتها ومتطلباتها لا يبشر بالجنة فضلاً أن يكون من أهلها.

7- **شرط الحب:** حيث لايصح إيمان، ولا ينفع توحيد إلاَّ بعد أن يكون اللــه ورسُولــه أحب إليه مما سواهما، قال تعالى: **[ومن الناس من يتخذ من دون اللــه أنداداً يحبونهم كحب اللــه والذين آمنوا أشد حباً لله]** البقرة: 165 .

وقال تعالى: **[قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من اللـه ورسُوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي اللـه بأمره واللـه لا يهدي القوم الفاسقين]** التوبة: 24 .

قال ابن القيم في مدارج السالكين (100/1): فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة اللـه ورسُوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف اللــه ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة اللـه، فهو ممن ليس اللـه ورسُوله أحب إليه مما سواهما **وإن قاله بلسانه فهو كذب منه**، وإخبار بخلاف ماهو عليه،**وكذلك من قدَّم حكم أحد على حكم اللــه ورسُوله**، فذلك المقدَّم عنده أحب إليه من اللـه ورسُوله ا-هـ.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ε أنه قال: "لايؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين".

قال أبو سليمان الخطابي في شرحه للحديث: فمعناه لا تصدق في حبي حتى تُفني في طاعتي نَفْسَك، وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك ا-هـ (شرح صحيح مسلم: 15/3).

قلت: ومصداق ذلك في كتاب الله، قوله تعالى: **[قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله]** آل عمران: 31 . فانتفاء المتابعة دليل على انتفاء الحب، وعلى قدر الانقياد والمتابعة يكون الحب في القلب، ومن زعم الحب من غير متابعة فهو كذاب أشر بدلالة النص.

وكذلك فإن انتفاء الحب وحصول ضده من الكره لما أنزل الله، هو من نواقض الإيمان وداعٍ لحبوط جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، كما قال تعالى: **[والذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم. ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم]** محمد: 8-9 .

فعلل كفرهم وحبوط أعمالهم بأنهم كرهوا ما أنزل الله، وأعظم ما أنزل الله شهادة التوحيد أن لا إله إلا الله، فمن كرهها أو عاداها، أو عادى أهلها ووالى أعداءها، فهو من الكافرين الذين كرهوا ما أنزل الله، ولا ينفعه حينئذ مجرد النطق أو التلفظ بلا إله إلا الله.

8- شرط الرضى والتسليم والانقياد التام: لقوله تعالى: **[فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً]** النساء: 65 . وقوله تعالى: **[يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسُوله واتقوا الله إن الله سميع عليم. يـأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون]** الحجرات: 1-2 . وقوله تعالى: **[وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسُوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم]** الأحزاب: 36 . وقوله تعالى: **[فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم]** النور: 63 .

وقد فسر الإمام أحمد وغيره من أهل العلم الفتنة بالشرك، قال تعالى: **[والفتنة أكبر من القتل]** أي الشرك والكفر.

ومنه يعلم أن من يتلفظ بشهادة أن لا إله إلا الله لكنه لا يرضاها منهجاً لحياته، ولا يسلم وينقاد لها ولمعانيها، فهو ليس ممن يشهدون أن لا إله إلا الله الشهادة التي تنفعهم يوم القيامة.

9- شرط العمل بها وبلوازمها: فيعمل بالتوحيد ويجتنب الشرك في الظاهر والباطن، وهو المراد من قوله تعالى: **[وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة]** البينة: 5 . وقوله تعلى: **[وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون]** الذاريات: 56 .

فمن أبطل العمل بالتوحيد كشرط لصحته، فقد أبطل الغاية التي لأجلها خلق الله الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، قال تعالى: **[وما أرسلنا من قبلك من رسُول إلاَّ نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون]** الأنبياء: 25 . وقال تعالى: **[ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت]** النحل: 36 .

فالآيات تفيد حصر غايات الرسل والرسالات في هذا الأصل العظيم **[أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت]**، وكأن ليس لهم مهمة سوى تحقيق ذلك، كما قال الصحابي ربعي بن عامر لطاغوت فارس وملكها: لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وبالتالي فإننا نقول: من اكتفى بمجرد النطق بشهادة التوحيد من غير عمل بمضمونها ومتطلباتها، وهو في واقع حياته وعمله لم يعبد الله قط، ولم يقل يوماً ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين، ولم يجتنب الطواغيت وعبادتها وموالاتها، فهو كافر مشرك، ومناقض ومكذب لشهادة أن لا إله إلا الله التي يتلفظ بها.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: لاخلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، **فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند** كفرعون وإبليس وأمثالهما ا-هـ.

10- شرط الموافاة عليها: فمن مات وهو على ضدها من الشرك، لم تنفعه شهادة أن لا إله إلا الله التي كان يتلفظ بها طيلة حياته، لقوله ε في الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه: "ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة".

مفهوم الحديث أن من قال لا إله إلا الله، لكنه لم يمت عليها ومات وهو على ضدها لا يدخل الجنة ولا يكون من أهلها. ولأن العبرة بالخواتيم وبما

قد يتطرق إليه الإحتمال ولهذا لما قال تعالى: **[وإلهكم إلـه واحـد]** قال بعده: **[لا إلـه إلا هو الرحمنُ الرحيم]** البقرة:

والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقرٌ في الفطر، فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجبِ الوجود لذاته، قطعاً للتسلسلِ.

-اسم القديم ليس من أسماء اللـه الحُسنى-

أدخل المتكلمون في أسماء اللـه تعالى (**القديم**)، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن (**القديم**) في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم
للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا فيما لم يسبِقْهُ عدَمٌ.

قال تعالى: [**حتى عادَ كالعرجونِ القديم**] يس: 39.والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم وقال تعالى: [**أفرءَيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدَمُون**] الشعراء: 75-76. فالأقدم مبالغة في القديم.

والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلِّها[1]، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه (**الأوَّل**) وهو أحسن من القديم، لأنه يُشعر بأنَّ ما بعده آيل إليه، وتابع له، بخلاف (القديم)، واللـه تعالى له الأسماء الحسنى لا الحَسَنَة.

قولُه: "لايَفْنَى ولا يَبيدُ".

ش: إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى ، قال عَزَّ من قائل: [**كل مَن عليها فان ويبقى وجهُ ربك ذُو الجلالِ والإكرام**] الرحمن: 26-27 . والفناء والبيدُ متقاربان في المعنى، والجمع بينهما في الذِّكْرِ للتأكيد.

قولُه: "ولا يكونُ إلاَّ ما يُريدُ" .

---

(1) أي لو أطلقت كلمة (التقدم أو القديم) فهي لا تعني ولا تستلزم التقدم على جميع الحوادث والمخلوقات، لذلك كره السَّلَف استخدامها كاسم من أسماء اللـه الحسنى. قال الشيخ ابن باز: قوله "قديم بلا ابتداء". هذا اللفظ لم يرد في أسماء اللـه الحسنى كما نبه عليه الشارح رحمه اللـه وغيره، وإنما ذكره كثير من علماء الكلام ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء، وأسماء اللـه توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة، ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي كما نص على ذلك أئمة السَّلَف الصالح ا-هـ.

ش: هذا ردٌّ لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم زعموا أن اللـه أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أرادَ الكفرَ[1]، وقولُهم فاسدٌ مردود لمخالفته الكتاب والسُّنَّة، والمعقولَ الصحيح.

وسُمُّوا قدريَّـةً لإنكارهم القدَرَ[2]، وكذلك تُسمى الجبريـة[3]المحتجون بالقدر قدريةً أيضاً، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

-عقيدةُ أهْلِ السنَّة في القدَر-

أما أهْلُ السُّنَّة فيقولون: إن اللـه وإن كان يريد المعاصي قدَراً[4]، فهو لا يُحبها ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل يبغضُها، ويسخطُها، ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السَّلَف قاطبةً، فيقولون: ما شاء اللـه كان، وما لم يشَـأْ لم يكن.

والمحققون من أهل السُّنَّة يقولون: الإرادة في كتاب اللـه نوعان: إرادةٌ قدريَّـةٌ كونيـة خلقيَّـة[5]، وإرادة دينية أمريَّـة شرعية[1].

---

[1] أي أن الكافر -بزعمهم- أراد شيئاً لا يريده اللـه ولم يقدره عليه، فاستدلوا بقولهم الفاسد هذا على جحود القدر، وقالوا: إن الإنسان هو خالق فعله ! وهذا القول منهم يقتضي أن للإنسان سلطة خارجة عن سلطة اللـه وإرادته وعلمه، إذْ أنه يفعل ما لا يريده اللـه ولا يحيط به علماً من قبل، وهذا كفر لما فيه من وصف اللـه تعالى بالعجز والنقص تعالى اللـه عن ذلك علواً كبيراً.

[2] أي إنكارهم بأن أفعال العباد قد خلقها اللـه، وهي مكتوبة عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يُخلقوا، وأن ما كتبه اللـه وقدّره كائن لا محال.

[3] الذين يقولون: إن الإنسان مسلوب الإرادة، وأنه مجبور على كل ما قدّره اللـه، ولا مجال له للإختيار، وهذا أيضاً باطل.

[4] أي أن المعاصي هي من جملة ما كتبه اللـه وقدره وأراده أن يكون.

[5] هذه الإرادة القدرية لا تتخلف وهي واقعة شاء الإنسان أم أبى، كمولده، وصفاته الخلقية، وماذا يحصل له غداً، وساعة موته، وأين يموت .. فهذا النوع من القدر واقع لا محال وليس للإنسان إختيار في قبوله أو رده. وعلى العموم فإن كل أمر يجري على الإنسان لا إختيار له فيه فهو يعتبر من الإرادة القدرية الكونية التي لا تتخلف أبداً، وهذا الجانب لا يُحاسب عليه المرء، وهو المراد من قوله ε: "وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك". أما ما يخضع للإرادة الكونية في جانب الهداية والضلال فإن الجزاء والحساب يجرى عليه.

-الإرادة الشرعيَّة والكونيـة-

الإرادة الشرعية: هي المتضمنةُ للمحبة والرضى.

والكونية: هي المشيئةُ الشامِلَةُ لجميع الحوادث، وهذا كقوله: **[فمن يُرد اللـهُ أن يهدِيَه يشرح صدرَهُ للإسلام ومن يرد أن يُضلَّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يَصَّعَّدُ في السماء]** الأنعام: 125 . وقوله تعالى عن نوح: **[ولا ينفعكم نُصحي إن أردتُّ أن أنصحَ لكم إن كان اللـه يريد أن يغويَكُم]** هود: 34 . وقوله تعالى: **[ولكن اللـه يفعل ما يريد]** البقرة: 253 .

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: **[يريدُ اللـه بكم اليسر ولا يريد بكم العُسْرَ]** البقرة: 185 . **[يريد اللـه ليبيِّن لكم ويهديكم سُنَنَ الذين من قبلكم ويتوبَ عليكم واللـه عليم حكيم]** النساء: 26 . **[واللـه يريدُ أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً. يريدُ اللـهُ أن يُخفِّفَ عنكم وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً]** النساء: 27-28 .

فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس بمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده اللـه، أي: لا يحبه، ولا يرضاه، ولا يأمر به. وأما الإرادة

---

(1) هذا النوع من الإرادة، قضت حكمة اللـه تعالى أن تتخلف أحياناً ولكن بإذنه وعلمه وإرادته، فاللـه تعالى يريد لعباده اليسر، والإيمان والهدى، ويريد منهم أن يجتنبوا المعاصي والمحرمات ويقوموا بالواجبات والطاعات، والإنسان مخيـّر في ذلك وهو محاسب ومسؤول عن اختياره، سواء اختار الخير والإيمان أو اختار الشر والكفر. ولكن رغم أن الإنسان هومخير في هذا الجانب من القدر إلا أن خيرته تقع بإذن اللـه وعلمه وإرادته، وليس جبراً عن اللـه كما يقول القدرية والمعتزلة قاتلهم اللـه أنى يؤفكون. فلو شاء اللـه غير ما يشاء العباد، فلن يكون إلا ما شاء اللـه I، كما قال تعالى: **[وما تشاؤون إلا أن يشاء اللـه]**.

ومنه يُعلم أن الإنسان أحياناً يكون مسيراً، وأحياناً يكون مخيراً، وأن الجزاء والحساب يكون على الجانب الإختياري وليس الجانب الآخر، فإن اختار الخير فهذا ما يريده اللـه ويرضاه ويُحبه، وإن اختار الشر فيكون قد اختار ما يبغضه اللـه ومالا يحبه ويرضاه، وكلا الاختيارين يجب أن نسلم أنهما وقعا بإذن اللـه وعلمه وإرادته مع التفريق بين ما يحب اللـه وما لا يحب.

الكونية، فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكُنْ[1].

قولُه: " لاتَبْلُغُه الأوهامُ، ولا تُدرِكُه الأَفْهَامُ" .

---

[1] وفي قوله تعالى: **[إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون]** البقرة: 117 . وقوله: **[إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون]** يس: 82 .

أقول: لعقيدة القضاء والقدر غايتان عظيمتان لا ينبغي للمرء أن يسهو عنهما وهو في غمار الجدال مع الفرق الضالة، **أولهما** تتعلق بذات الله سبحانه وبصفاته العظيمة التي يستحقها من غير أن يشركه فيها أحد من خلقه، فعقيدة القضاء والقدر تعني أن ما من شيء في هذا الكون الفسيح -مهما دقَّ أو كبر- إلا بقدر، وتعني أن الله قادر على كل شيء وأنه تعالى قاهر لعباده على ما يريد ويشاء، وتعني أنه لايُسبق في شيء ولا يكون في سلطانه ومملكته إلا ما يريد وهذا من تمام وكمال ربوبيته وإلهيته وعظمته وجبروته.

فعقيدة القضاء والقدر من هذا الجانب إثبات لما يستحقه الله تعالى من صفات الكمال، وما يستحقه من التعظيم والتوقير والإجلال والتنزيه لجلال أسمائه وكمال صفاته I.

أما الغاية الثانية، فهي تتعلق بالعبد ذاته، إذ أن من ثمار عقيدة القضاء والقدر أن تهب المرء الأمن والإطمئنان، والرضى والقناعة والزهد بما في أيدي الناس، والتفسير الصحيح لكل ما يحدث له أو حوله من غير خوف أو جزع أو قلق أو انتحار ...

فعلام الخوف والجزع، والضرُّ كله بيد الله تعالى لا يصيبك - ياعبد الله- شيء منه ولو اجتمع على ذلك جميع الإنس والجن إلا ما شاء الله وأراد أن يصيبك به ..؟! فعلام القلق على العيش والإستشراف بما في أيدي الناس، والخير كله بيد الله تعالى لايصيبك منه شيء إلا بإذن الله وإرادته .. ؟!

ثم علام القنوط والأسى الشديد على نزول المصاب أو فقدان العزيز، وأنت تعلم أن خيرة الله لك هي خير من خيرتك لنفسك كما في الحديث: "ولو اطلعتم على الغيب لرضيتم بالواقع" .. ؟!

هذا كله يستلزم من العبد أن يزداد حباً وتعلقاً وانقياداً لخالقه، وأن لا يخشى إلا الله ولا يقصد إلا الله، ولا يرجو إلا الله، فلله وحده الأمر من قبل ومن بعد، بيده الخير والضر، والهدى والضلال، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويعزّ من يشاء ويذل من يشاء.

ش: قال اللــه تعالى: **[ولا يُحيطون بـه علماً]** طـه: 110 . قال في (الصحاح): توهمت الشيء: ظننتُه، وفَهِمتُ الشيءَ: علمتَه. فمراد الشيخ رحمه اللـه: أنه لا ينتهي إليه وهمٌ، ولا يُحيط به علم، واللـه تعالى لايعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى[1]، وإنما نعرفُه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحدٌ، صَمَدٌ لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كُفُواً أحد.

قولُه: "ولا يُشْبهُهُ الأنامُ" .

ش: هذا رد لقول المشبِّهَةِ الذين يُشبهون الخالقَ بالمخلوقِ[2]، سبحانه وتعالى، قال تعالى: **[ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير]** الشورى: 11 ، وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع.

-أقوالُ أهلِ العلم في المشبِّهةِ، وفيمن يجحد الصفات بحجة عدم الوقوع في التشبيه-

فمن كلام أبي حنيفة رحمه اللَّـه في (الفقه الأكبر): لا يُشبه شيئاً من خلقه، ولا يُشبهه شيءٌ من خلقه، ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلُّها خلافَ صفات المخلوقين، يعلمُ لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا.

وقال نُعيم بن حمَّاد[1]: من شبَّه اللـهَ بشيء من خلقه فقد كَفَر، ومن أنكر ما وصف اللـهُ به نفسَه فقد كفر، وليس فيما وصف اللـهُ به نفسه ولا رسولُه تشبيهٌ.

---

[1] وما دام المرء مهما حاول لا يحيط بماهية اللـه تعالى وكيفية صفاته علماً، فمن التهلكة وعدم السلامة أن يكلف نفسه عناء البحث والتأمل في هذا الجانب من الغيب، الذي لا يعلمه أحد إلا اللـه I. ومن يتأمل سبب هلاك وضلال المتفلسفة والمتكلمة يجد ذلك في انشغالهم في كيفية ذات اللـه وصفاته وبما هو ليس من خصوصياتهم، وفوق طاقتهم وإمكانياتهم.

[2] وهو رد أيضاً على من يشبه المخلوق -أيّاً كانت صفته بشراً كان أم حجراً- بصفات وخصائص الخالق I، الذين يشركون مع اللـه في العبودية، حيث ينسبون للمخلوق ما يستحقه اللـه I من خصائص الإلهية، فيطيعون هذا المخلوق لذاته، ويجعلون أمره وحكمه فوق التعقيب أو المساءلة، وهم كذلك يعقدون الولاء والبراء عليه، فيوالون ويعادون فيه .. وغير ذلك من الخصائص التي تُعتبر من ضروب تشبيه المخلوق بالخالق I في أخص خصائصه، وهذا النوع من الشرك رغم استفحاله وانتشاره بين الناس قلَّ من ينتبه أو يشير إليه.

وقال إسحاق بن راهَوَيه[2]: من وصفَ اللـهَ، فشبه صفاته بصفات أحدٍ من خلق اللـه فهو كافرٌ باللـه العظيم. وقال: علامة جهم وأصحابه: دعواهم على أهل السُّنَّة والجماعة ما أولعوا بـه من الكذب أنـهم مُشَـبِّهة[3]، بل هم المعطِّلَةِ.

وكذلك قال خلق كثير من أئِمة السَّلَف: علامة الجهميَّة تسميتُهم أهلَ السُّنَّة مُشبهة، فإنـه ما من أحد من نُفاة شيء من الأسماء والصفات إلا يسمي المثبتَ لها مُشبِّهاً.

ولكن المشهورَ من استعمال هذا اللفظ عند علماءِ السُّنَّة المشهورين: أنهم لا يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات، ولا يصفون به كل من أثبتَ الصفات، بل مُرادهم أنه لا يُشبه المخلوقَ في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حنيفة: أنه تعالى يعلمُ لا كعلمنا، ويقدِرُ لا كقُدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وهذا معنى قوله تعالى: **[ليس كمثله شيء وهو السميع البصير]** . فنفى المِثْلَ وأثبتَ الوصفَ.

ونفيُ مشابهة شيءٍ من مخلوقاته له، مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته، فلذلك اكتفى الشيخ رحمه اللـه بقوله: ولا يشبهه الأنامُ، والأنام: الناسُ، وقِيل: الخلق كلُّهم، وقيل: كلَّ ذي روحٍ، وقيل الثقلان، وظاهرُ قوله

---

(1) هو نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، أبو عبد اللـه، أول من جمع المسند في الحديث، كان من أعلم الناس بالفرائض، أقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين. انظر (سير أعلام النبلاء: 595/10).

(2) هو إسحاق بن إبراهيم التميمي المروزي أبو يعقوب، عالم خراسان في عصره، قال فيه الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد. روى عنه البخارى ومسلم والترمذي وغيرهم.
وقال الإمام أحمد: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يُخالف بعضهم بعضاً. انظر (سير أعلام النبلاء: 383-358/11).

(3) ومن علامتهم أيضاً وصفهم لأهل السُّنَّة والتوحيد بأنهم في الإيمان والوعد والوعيد خوارج وغلاة.

تعالى: **[والأرض وضعها للأنام]** الرحمن: 10 . يشهد للأول أكثر من الباقي[1]. والله أعلم.

قولُه: "حِيٌّ لا يموتُ، قَيُّوْم لا ينامُ" .

ش: قال تعالى: **[اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيُّومُ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نوم]** البقرة: 255 . فنفيُ السِّنَةِ[2] والنوم دليل على كمال حياته وقيوميَّتِه، وقال تعالى: **[الم. اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيوم. نزَّل عليك الكتابَ بالحق]** آل عمران: 1-3.

وقال تعالى: **[وعنت الوجوه للحيِّ القيوم]** طه: 111 . **[وتوكل على الحيِّ الذي لايموت وسبح بحمده]** الفرقان: 58 . **[هو الحي لا إله إلا هو]** غافر: 65 . وقال ε: "إن الله لاينام، ولا ينبغي له أن ينام"[3] .

لمَّا نفى الشيخُ رحمه الله التشبيه، أشارَ إلى ما تقعُ به التفرقةُ بينَهُ وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك: أنه حيٌّ لا يموت، لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه، فإنهم يموتون ومنه أنه قيومٌ لا ينامُ، إذ هو مُختصٌّ بعدم النوم والسِّنَة دون خلقه، فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المرادُ به نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوفٌ بصفات الكمال، لكمال ذاته.

-هذان الاسمانِ من أعظمِ أسماء اللهِ الحسنى-

واعلم أَنَّ هذين الاسمين، أعني: الحيَّ القيومَ، هما من أعظم أسماءِ اللهِ الحسنى، حتى قيل: إنَّهما الاسمُ الأعظم[4]، فإنهما يتضمَّنا إثباتَ صفاتِ

---

[1] كونه يشهد للأول لايفهم منه ولا يستلزم أن يكون غير الأنام من الخلق يشبه الله تعالى في شيء من صفاته.

[2] السنة: النعاس، وهو النوم الخفيف.

[3] رواه مسلم، وابن ماجه، والدارمي.

[4] عن أنس أنه كان مع رسولِ الله ε جالساً، ورجلٌ يُصلي، ثم دعا: اللهمَّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلاّ أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، ياحي ياقيوم. فقال النبي ε "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى". صحيح سنن أبي داود: 1326 .

الكمال أكمل تضمّنٍ وأصدَقَهُ، ويدلُّ القيومُ على معنى الأزلية والأبدية مالا يَدُلُّ عليه لفظُ القديم، ويدُلُّ أيضاً على كونه موجوداً بنفسه وهو معنى كونه واجبَ الوجود، والقيومُ أبلغُ من (القيَّام)، لأنَّ الواو أقوى من الألف، ويُفيدُ قيامَه بنفسه وإقامته لغيره وقيامه عليه، وهو يُفيدُ دوامَ قيامه وكمالَ قيامه، بما فيه من المبالغة، فهو سبحانه لا يزولُ ولا يأفلُ؛ فإنَّ الآفِلَ قد زال قطعاً، أي: لايغيبُ، ولا يَنْقُصُ، ولا يفنى، ولا يَعْدَمُ، بل هو الدائِمُ الباقي الذي لم يزَلْ ولا يزالُ موصوفاً بصفات الكمال.

واقترانُه بالحيّ، يستلزمُ سائر صفاتِ الكمال، ويدلُّ على بقائها ودوامها، وانتفاءِ النقصِ والعدَم عنها أزلاً وأبداً، ولهذا كانَ قولُه: **[اللهُ لا إلهَ إلاَّ هوَ الحيُّ القيومُ]**، أعظمَ آية في القرآنِ، كما ثبتَ ذلك في الصحيحِ عن النبيِّ ε[1].

وعن أسماء بنت يزيد: أن النبي ε قال: "اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين **[وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم]** وفاتحة آل عمران: **[الم. اللهُ لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القيومُ]**". صحيح سنن أبي داود: 1327 .

وكان النبيُّ ε، إذا حزبه أمرٌ قال: " يا حيُّ ياقيُّومُ برحمتِكَ أستغيثُ". صحيح الكلم الطيب: 101 .

[1] رواه مسلم وغيره، وتمام الحديث، أنَّ النبيَّ ε سأل أُبي بن كعب، فقال: "يا أبا المنذر أتدري أيُّ آيةٍ من كتابِ اللهِ معكَ أعظمُ ؟" قال: قلت: **[الله لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيومُ]**، قال: فضربَ في صدري وقال: "واللهِ ليَهْنِكَ العِلْمُ ياأبا المنذر". أي ليسهل لك طلب العلم وفهمه.

ومعنى قوله تعالى: **[الله لا إله إلا هو الحي القيوم]**، أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله تعالى، الذي من أسمائه وصفاته أنه الحي القيوم، وفي الآية دلالة أن المستحق للعبادة هو الذي تتوفر فيه صفات الكمال كلها التي تنفي كل ما يضادها من صفات الضعف والنقص، والتي لأجلها يجب أن يُعبد، أما من يعتريه النقص والضعف ولا يتصف بصفات الكمال -وهو شأن كل مخلوق- لا يجوز أن يدعي الإلهية أو شيئاً من خصائصها، كما لا يجوز أن يُخص بالعبادة ولو في وجه أو مجال من مجالاتها، وعجباً لأناس كيف يضلوا عن عبادة الخالق العظيم الذي له الأسماء الحسنى، ويهتدوا إلى عبادة العبد المخلوق الضعيف الذي يموت وينتابه النقص والعجز من كل وجه ؟!!

فعلى هذين الإسمين مدَارُ الأسماء الحُسنى كُلِّها، وإليهما يرجِعُ معانيها، فإنَّ الحياةَ مستلزِمةٌ لجميعِ صفاتِ الكمالِ، فلا يتخلَّفُ عنها صِفَةٌ منها إلاَّ لِضعفِ الحياةِ، فإذا كانتَ حياتُه تعالى أكملَ حياة وأتمَّها، استلزَمَ إثباتها إثباتَ كل كمالٍ يُضادُّ نفيُه كمالَ الحياة. وأمَّا القيّومُ، فهو متضمِّنٌ كمالَ غناه وكمالَ قُدرته، فإنَّهُ القائِمُ بنفسهِ، فلا يحتاجُ إلى غيرهِ بوجهٍ من الوجوهِ، المقيمُ لغيرهِ، فلا قِيامَ لغيرهِ إلاَّ بإقامته.

قولُه: "خالِقٌ بلاَ حاجَةٍ، رازقٌ بِلا مؤُونَـة".

ش: قال تعالى: **[وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون[1]. ما أُريدُ منهم من رزقٍ وما أُريد أن يُطعمون إن اللهَ هو الرزَّاقُ ذُو القوَّة المتين]**

---

[1] معنى قوله تعالى: **[وما خلقت الجِنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدون]**، أي أن الغاية من خلق الخلق، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب هو إفراد الله تعالى وحده بالعبادة دون أحد سواه، والآية تتضمن النفي البات التام، واستثناء يتبعه إثبات كامل، وهذا في اللغة يعتبر من أقوى صور الحصر والقصر، "ومعناهما النفي البات من جهة، والحصر الكامل من الجهة الأخرى، نفي أي غاية للوجود البشري غير عبادة الله، وحصر غاية هذا الوجود كله في عبادة الله" (مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد قطب).

والعبادة تعني: التذلل والخضوع، والطاعة، والدينونة، ومنه الطريق المعبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء.

وشرعاً تعني كما يقول أَهْل العلم: فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وقالوا: فهي تتضمن كمال الخضوع والطاعة والانقياد مع كمال الحب لله تعالى؛ فمن أتى بالطاعة والانقياد لظاهر الشريعة من غير حب لله تعالى فهو منافق مبغض، ومن زعم حب الله تعالى من غير طاعة ولا انقياد لظاهر الشريعة فهو زنديق كذاب، يجب اجتنابه والحذر منه، كما قال تعالى: **[قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله]** آل عمران: 31.

قال ابن كثير: هذه الآية حاكمة على من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ا-هـ.

وبالتالي فإنَّ العبد عندما يُطالَب بعبادة الله تعالى وحده، فهو يُراد منه هذا المعنى العام الشامل للعبادة: عبادته تعالى وحده في الركوع والسجود والخضوع، وعبادته وحده في الصوم والحج والنذر والنسك، وعبادته في الحب

الذاريات: 56-58 . **[يا أيها الناسُ أنتم الفقراءُ إلى اللـه، واللـه هو الغني الحميد]** فاطر: 15 . **[قل أغيرَ اللـه أتخذُ وليّاً فاطر السماوات والأرض وهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ]** الأنعام: 14 . قال ε في الحديث القدسي: "ياعبادي لو أنَّ أولَكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ[1]إذا أُدخِلَ البحرَ[2]"[3].

وقولُه: بِلا مؤونةٍ: بلا ثِقَلٍ و لا كُلْفَةٍ.

قولُه: " مُميتٌ بِلا مخافةٍ، باعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ " .

ش: الموتُ صفةٌ وجوديَّةٌ، قال تعالى: **[الذي خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً]** الملك: 2. والعدم لا يُوصف بكونه مخلوقاً، وفي الحديث: " إنه يُؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كَبْشٍ أملح، فيُذبح بين الجنة والنار"[4]، وهو وإن كان عرَضاً فاللـه تعالى يقلبه عيناً[5].

والكره والموالاة والمعاداة، وفي الجهاد والتضحية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبادته وحده في الخشية والتوكل، وغيرها من الأمور الواجبة والمستحبة شرعاً، والتي تتخلل جميع حياة الإنسان، كما قال تعالى: **[قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين]** الأنعام: 162-163.

[1] تقديره: ينقص المخيط ماءَ البحر إذا أدخل فيه.

[2] أقول: إله هذه هي قدرته وصفاته، وهذا هو ملكه واستغناؤه، لجديرٌ بأن يُعبد وحده، ولا يشرك به شيئاً.

[3] رواه مسلم، وأحمد.

[4] متفق عليه. والحديث فيه دلالة على الحياة الأبدية يوم القيامة، حيث حياة لا يتبعها موت، فهنيئاً لمن كانت حياته الأبدية في الجنان يتنعم بخيراتها، وخاب وخسر من آلت حياته الأبدية إلى جهنم تتلمظه حيَّاتها...

[5] أي جسماً يُدرك بالحواس كصورة الكبش الحقيقي.

قولُـه: " مـا زال بصـفاته قـديماً[1] قبـل خلقـه ولـم يـزدَدْ بكـونِهم شيئاً لـم يكـن قبلهم مـن صِفَته، وكمـا كـان بصـفاته أزليـاً، كـذلك لا يزال عليها أبدياً " .

ش: أي أن اللـهَ سبحانـه وتعـالى لـم يـزل متصفـاً بصفـات الكمـال: صفـات الـذات، وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن اللـه وُصِفَ بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها. لأن صفاته سبحانه صفاتُ كمال، وفقدها صِفـةُ نقـصٍ، ولا يجـوز أن يكـون قـد حصـلَ لـه الكمـال بعـد أن كـان متصـفاً بضِدِّه.

-مباشرة اللـهِ عز وجل لفعل في وقتٍ دون وقت، لايستلزمُ بحال أن اللـهَ لم يكنْ متصفاً بهذا الفعل قبل فعله-

هذه الأحوال: صفات الفعل، والصفات الإختياريّـة، كـالخلق، والتصوير، والإحيـاء، والإماتـة، والقبضِ، والبسـط، والإسـتواء، والإتيـان، والمجـيء، والنزول، والغضب، ونحو ذلك مما وصف به نفسُه ووصفه به رسولُه، وإن كانت تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: "إن ربـي غَضِبَ اليومَ غضباً لم يغضب قبلَهُ مثلـه، ولن يغضب بعده مثلـه"[2]. هذا الحدوث بهذا الإعتبار غير مُمتنع، ولا يُطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكُن، ألا ترى أن من تكلم اليومَ وكان مُتكلماً بالأمس لا يُقال: إنه حدث لـه الكلامُ، ولـو كـان غيـر متكلم -لآفـةٍ كالصـغر والخـرس- ثـم تكلـم، يُقـال: حـدثَ لـه الكلامُ، فالساكتُ لغير آفـةٍ يُسمَّى متكلماً بـالقوة، بمعنـى أنـه يتكلمُ إذا شـاءَ. وفي حال تكلمه يُسمى متكلماً بالفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعلِ، ولا يخْرجُ عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته للكتابة[3].

-هل الصفةُ زائـدةٌ على الذاتِ أم لا؟-

---

[1] قد تقدم أن اسم "القديم" لايصح ولم يثبت بالدليل الشرعي أنـه اسم مـن أسماء اللـه الحسنى، وأنـه كذلك لا يفيد الكمـال كاسم "الأول" الثابت في النصـوص الشرعية، وهو من إطلاقات أهل الكلام ومصطلحاتهم.

[2] متفق عليه.

[3] جاء في الحديث الصحيح أن اللـه تعالى أول ما خلق القلم، فأمره أن يكتب مـا هو كائن إلى يوم القيامة. فكون القلم أول خلق خلقه اللـه تعالى لا يستلزم أن اللـه قبل خلقه للقلم لم يكن خالقاً، بل كـان خالقـاً يخلـق مـا يشـاء لـو شـاء ولكـن قضـت حكمته وشاءت أن لا يخلق شيئاً قبل القلم.

كـان أئمةُ السُّنَّة رحمهم اللـه تعالى لا يُطلِقون علـى صفات اللـه وكلامـه أنه غيره، ولا
أنه ليس غيرُه، لأن إطلاقَ الإثبـات[1] قد يُشـعِرُ أن ذلك مبـاينٌ لـه، وإطـلاق النفي قد يُشعر بأنه هو هو[2].

ولفظ (الغير) فيه إجمالٌ، فلا يُطلق إلا مع البيان والتفصيل، فـإن أُريدَ بـه أن هناك ذاتاً مجردةً منفصلةً عن الصفات الزائدة عليهـا، فهذا حقٌّ، ولكن ليس فـي الخـارج ذات مجردة عن الصفات، بـل الـذاتُ الموصـوفةُ بصـفات الكمال الثابتة لها لا تنفصلُ عنها.

وقد يقول بعضُهم: الصفة لا عينُ الموصـوف ولا غيـرُه. وهـذا لـه معنـى صحيح، وهو: أن الصفةَ ليست عينَ ذاتِ الموصـوف التـي يفرضـها الـذهن مجردة بـل هـي غيرهـا، وليسـت غيـر الموصـوف، بـل الموصـوف بصـفاته شيء واحدٌ غير مُتعدِّد.

-الفرق بين الصفاتُ غيرُ الذات وبين صفاتُ اللـه غيرُ اللـه-

والتحقيـق أن يُفـرَّق بـين قـول القائـل: الصـفاتُ غيـرُ الـذات وبـين قولِـه: صفاتُ اللـهِ غيرُ اللـه، فإن الثاني باطلٌ، لأن مسمَّى اللــه يَدخل فيـه صـفاتُه بخلاف مسمى الذات، فإنـه لايدخل فيـه الصفات. ولهـذا قـال الشـيخ رحمـه اللــه: "لا زال بصـفات" ولـم يقـل لازال وصـفاته[3]، لأن العطـف يـؤذنُ بالمغايرة[4]. وكذلك قـال الإمـام أحمد في مناظرتـه الجهميـة، لانقول: اللــه وعلمه، اللـه وقدرته، اللــه ونـوره، ولكن نقول: اللــه بعلمـه وقدرتـه ونـوره هو إله واحد سبحانه وتعالى.

فـإذا قلـت: أعـوذ باللــه، فقد عـذت بالـذات المقدسـة الموصـوفة بصـفات الكمال المقدس الثابتة التي لاتقبل الإنفصال بوجه من الوجوه.

وإذا قلتُ: أعوذُ بعزةِ اللـه فقد عذتُ بصـفةٍ من صـفاتِ اللــه تعـالى، ولـم أعُذْ بغيرِ اللـه.

-الصفاتُ لا يصحُّ تصوُّرُها منفصلةً عن الذات-

---

[1] أي إثبات أن الصفات غير اللـه تعالى.

[2] أي أن الصفات هي نفسها ذات اللـه تعالى.

[3] لأن هذا التعبير يفيد الإنفصـال والمواكبـة، وأن الصفات شـيء آخر غيـر اللــه I، وهذا لا يصح.

[4] أي بالمخالفة، وأن الصفات شيء آخر غير اللـه تعالى.

فعُلِمَ أن الذات لا يُتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه. وقد قال ε: "أعوذُ بعزّةِ اللـه وقدرَتِه من شرِّ ما أجد وأُحاذِر"[1]. وقال ε: "أعوذ بكلمات اللـهِ التامات من شرِّ ما خلَق"[2]. ولا يعوذُ ε بغير اللـه .

- من صفاته تعالى، أنه يفعلُ ما يشاءُ وقت يشاء، وكلُّ ما سواه فهو مُحدَثٌ كائنٌ بعد أن لم يكُنْ -

والحوادِثُ يُمكن دوامها في الماضي[3] والمستقبل، كما يقوله أئمة الحديث، فإن الربَّ سبحانه وتعالى لم يَزل ولا يزالُ يفعل ما يشاء، ويتكلَّمُ إذا يشاء، قال تعالى: **[قال كذلكَ اللـهُ يفعل ما يشاء]** آل عمران: 40. **[ولكنَّ اللـهَ يفعل ما يُريد]** البقرة: 253. **[ذو العرش المجيد. فعالٌ لما يُريد]** البروج: 15-16. **[ولو أنما في الأرض من شجَرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمده من بعده سبعة أبحرٍ ما نفِدَت كلماتُ اللـه]** لقمان: 28. **[قُل لو كان البحرُ مداداً لكلماتِ ربي لنفِدَ البحرُ قبل أن تنفدَ كلماتُ ربي ولو جئنا بمثله مَدداً]** الكهف: 109. وقال غير واحد من السَّلَف: الحيُّ الفعَّالُ. وقال عثمان بن

---

(1) رواه مسلم، وغيره. وتمام الحديث: عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنه شكا إلى رسول اللـه ε وجعاً في جسده منذ أسلم. فقال رسول اللـه ε: "ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم اللـه ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ باللـه وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر". وجاء في رواية الترمذي بلفظ: "أعوذ بعزة اللـه وقدرته من شر ما أجد" دون لفظة (وأحاذر). ومعنى وأحاذر: أي احترز وألوذ باللـه من شر ما أجد.

(2) رواه مسلم، وأبو داود وغيره، وسنده صحيح. وتمام الحديث: عن خولة بن حكيم السلمية قالت: سمعت رسول اللـه ε يقول: "من نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات اللـه التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك".

(3) جاء في الحديث الذي يرويه ابن عباس عن النبي ε أنه قال: "إن أول شيء خلقه اللـه تعالى القلم، وأمره أن يكتب كل شيء يكون". السلسلة الصحيحة: (133). ففي الحديث دلالة صريحة أن للحوادث بداية، كما يقول الشارح.

سعيد[1]: كل حي فعال، ولم يكن ربُّنا تعالى قط في وقتٍ من الأوقات مُعطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل[2].

ولا شك أن جمهورَ العالَم من جميع الطوائف، يقولون: إن كُلَّ ما سوى اللـه تعالى مخلوقٌ، وكائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

- خلاصَةُ القولِ -

والمقصودُ: أن الذي دل عليه الشرعُ والعقل، أن كلَّ ما سوى اللـه تعالى مُحدثٌ كائنٌ بعد أن لم يكن. أما كونُ الربِّ تعالى لم يَزلْ معطَّلا عن الفعل[3] ثم فعلَ، فليس في الشرعِ ولا في العقل ما يُثبته، بل كلا هما يدل على نقيضه.

قولُه: "ليس منذُ خلَقَ الخلْقَ استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداثِهِ البريَّةَ استفادَ اسمَ الباري" .

ش: ظاهر كلام الشيخ رحمه اللـه تعالى أنه يَمنع تسلسُلَ الحوادث في الماضي[4]، ويأتي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل، وهو قوله: **"والجنةُ والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان"**، وهذا مذهب الجمهور كما تقدم.

---

(1) وهو الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، صاحب المسند الكبير، توفي سنة (280 هـ). مترجم له في (سير أعلام النبلاء: 319/13).

(2) لا يستلزم كلامه أن الحوادث متسلسلة إلى ما لا نهاية، بل يفهم من كلامه إثبات صفات الكمال لله، ونفي التعطيل عنها أو النقص، فربنا I كما أنه يخلق ما يشاء وقت يشاء كذلك لا يخلق وقت يشاء، فاللـه تعالى لايُكرهه شيء على أن يخلق كما أنه لا يمنعه شيء من أن يخلق لو شاء، وهذا لا يستلزم التعطيل بل هو من كمال التنزيه والتوحيد.

(3) كون الرب I أول ما خلق القلم كما جاء في الحديث الصحيح، لا يستلزم منه أن قبل خلق القلم لم يكن خالقاً بل كان خالقاً يخلق ما يشاء لو شاء، ولكن قضت حكمته سبحانه أن لا يخلق قبل القلم شيئاً، فاللـه تعالى لا يُكره على شيء، ولا نقول يجب على اللـه أن يستمر في الخلق -تعالى اللـه- حتى لا تتعطل صفته (الخالق)، بل يكفينا أن نقف عند قول النبي ε من دون تقديم أو تأخير.

(4) هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، لحديث النبي ε: "أول شيء خلقه اللـه تعالى القلم".

وقولُ من قال بجوازِ حوادث لا أولَ لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها، أظهر في الصحة من قول من فرق بينهما[1]، فإنه سبحانه لم يزل حياً، فلم يزل فاعلاً لما يُريد كما وصف بذلك نفسه، حيث يقول: **[ذو العرش المجيد، فعَّال لما يُريد]** البروج: 15-16.

والقولُ بأن الحوادث لها أوَّلُ: يلزمُ منه التعطيل قبل ذلك، وأن اللهَ سبحانه وتعالى لم يزلْ غيرَ فاعلٍ، ثم صارَ فاعلاً[2]!!

وقولُه: "لـه معنى الربوبيَّةِ ولا مربوبَ، ومعنى الخالِق ولا مخلوقَ"

ش: يعني أن اللهَ تعالى موصوفٌ بأنهُ **"الربُّ"** قبل أن يوجد مربوبٌ، وموصوفٌ بأنه **"خالقٌ"** قبل أن يوجد مخلوقٌ[3].

---

[1] باعتبار أن الحوادث لها أول، بينما لا آخر لها، للنصوص الدالة على أن الجنة والنار لا تفنيان وهما باقيتان أبداً. ولا شك أن هذا القول هو الأصوب والأصح لدلالة النصوص عليه، وليس كما قال الشارح أن الصواب في عكسه مخالفاً في ذلك مذهب الجمهور وصاحب المتن كما هو مثبت أعلاه!

[2] ذكرنا من قبل أن الله تعالى إذا قضت حكمته أن لا يخلق في وقت من الأوقات لا يستلزم ذلك أن الله لم يعد خالقاً في هذا الوقت وأن صفته قد تعطلت! بل الله يخلق ما يشاء وقت يشاء، فإن شاء خلق وإن لم يشأ أن يخلق لا يخلق، فلا مُكره له على شيء I، وهو في كلا الحالتين خالق فعال لما يريد. ثم ليس من السلامة التكلف وأن نعمل العقل من غير دليل صحيح صريح فيما يخص صفات الله Y، بدعوى التنزيه ونفي التعطيل، وإنما السلامة كل السلامة أن نثبت ما أثبتته السُّنَّة الصحيحة، وننفي ما نفته من دون تقديم أو تعقيب أو تكلُّف أو تكييف.

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، في تعليقه على حديث "إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم": من فوائد الحديث: فيه رد على من يقول بحوادث لا أول لها، وأنه ما من مخلوق إلا ومسبوق بمخلوق قبله، وهكذا إلى ما لا بداية له، بحيث لا يمكن أن يقال: هذا أول مخلوق. فالحديث يبطل هذا القول ويعين أن القلم هو أول مخلوق، فليس قبله قطعاً أي مخلوق. (السلسلة الصحيحة: 208/1).

[3] فدل أن عدم وجود المخلوق لا يستلزم أن لا يوصف الله تعالى بأنه خالق، بل إن الله تعالى خالق فعال لما يريد قبل أن يخلق وقبل أن يوجد مخلوق في الوجود. فانتفاء وجود المخلوق لا يستلزم انتفاء وتعطيل صفات الخالق I، كما

قولُه: "وكما أنه مُحي الموتى بعدَ ما أحيا، استحقَّ هذا الاسم قبلَ إحيائِهم، كذلك استحق اسمَ الخالِقِ قبل إنشائِهم".

ش: يعني أنه سبحانه وتعالى موصوفٌ بأنه مُحيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يُوصفُ بأنه خالقٌ قبل خلقهم.

قولُه: "ذلك بأنه على كُلِّ شيءٍ قدير، وكلُّ شيءٍ إليه فقيرٌ، وكلُّ أمرٍ عليه يسيرٌ، لا يحتاج إلى شيءٍ، ليس كمثله شيءٌ، وهو السميعُ البصيرُ".

ش: لا يؤمن بأنه ربُّ كلِّ شيء إلا من آمن أنه قادرٌ على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالِها إلا من آمن بأنه على كلِّ شيءٍ قدير.

وقولُه: **"ليس كمثله شيءٌ"**. ردٌّ على المشبهة[1]، وقوله: **"هُو السميع البصير"**. ردٌّ على المعَطِّلة، فهو سبحانه وتعالى موصوفٌ بصفات الكمال وليس له فيها شبيهٌ، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير، فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره، إذْ صفات المخلوقِ كما يليقُ به، وصفاتُ الخالق كما يليقُ به.

-ما يلزمُ على العبدِ تجاهَ ربه-

لاتنفِ عن الله ما وصفَ به نفسه، وما وصفَهُ به أعرَفُ الخلقِ بربه ε، وما يجبُ له وما يمتنعُ عليه، وأنصَحُهم لأمته وأفصحُهم وأقدَرُهم على البيان، فإنك إن نفيت شيئاً من ذلك كنت كافراً[2] بما أُنزِل على محمد ε.

يفترض الشارح ذلك بقوله: "والقول بأن الحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك"!!.

(1) وهو كذلك رد على المشبهة من جهة تشبيه المخلوق بالخالق وخصائصه، وما أكثر هؤلاء في زماننا، فكل من شبه مخلوقاً بالخالق أو نسب إليه شيئاً من خصائص الإلهية التي تفرد الله بها دون سائر خلقه، فقد وقع في التشبيه والشرك واتخذ من ذلك المخلوق نداً وشريكاً لله تعالى في خصائصه سبحانه.

(2) التكفير هنا ليس على إطلاقه فإنه لا بد من التفريق بين نفي ونفي، فالنفي الذي يكون مؤداه إلى نسب الضعف والعجز أو النقص لله Y، كنفي العلم والقدرة، والحياة، وأنه سميع بصير وغير ذلك، فهذا النفي كفر وصاحبه كافر خارج من الملة وإن ادعى أن نفيه ناتج عن تأويل!

أما من نفى صفة من صفات الله الفعلية وصرفها عن ظاهرها متأولاً، كالنزول والمجيء، والإتيان، والإستواء وغير ذلك مما لا يستفاد من نفيه نسب

وإذا وصفتَه بما وصف به نفسه، فلا تُشَبِّهْهُ بخلقِه، فليس كمثله شيءٌ، فإذا شبهته بخلقه، كنت كافراً به[1]، قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: من شبه اللهَ بخلقه فقد كَفَر، ومن جحدَ ما وصف اللهُ به نفسَه فقد كَفَر، وليس ما وصف اللهُ به نفسه، ولا ما وصفه به رسولُه تشبيهاً.

-لله المَثَلُ الأعلَى-

وصف اللهُ تعالى نفسَه بأن له المثَل الأعلى، فقال تعالى: **[للذين لا يؤمنون بالآخرة**
مثَلُ السَّوءِ ولله المَثَلُ الأعلى] النحل:

الثاني: عِلمُ العالَمين بها ووجودها في العِلْم والشعور، وهذا معنى قول من قال من السَّلَف: إنه ما في قلوبِ عابديه وذاكريه، من معرفته، وذكره ومحبته، وإجلاله وتعظيمه، وخوفه ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه. وهذا الذي في قلوبهم من المثَلِ الأعلى لا يَشْرَكه فيه غيرُه.

الثالث: ذِكر صفاته، والخبر عنها وتنزيهها من العيوبِ والنقائص والتمثيل.

الرابع: محبةُ الموصوفِ بها وتوحيده، والإخلاصُ له والتوكلُ عليه، والإنابةُ إليه، وكلما كان الإيمانُ بالصفات أكمل، كان هذا الحب والإخلاص أقوى[1].

قولُه: " خَلَقَ الخلْق بعلمِهِ ".

ش: خَلَقَ: أي أوجد و أنشأَ وأبدَعَ وقدَّر، وقوله: "بعلمه" في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم، قال تعالى: **[ألا يعلمُ من خلَقَ وهو اللطيفُ الخبير]** الملك: 14 . **[وعندَه مفاتِحُ الغيبِ[2] لا يعلمُها إلا هو**

[1] إذ أن من طبائع القلوب النقية الخالية من الشرك، أن تزداد تعلقاً وحباً وخضوعاً وانقياداً لمن له صفات الكمال الذي له المثل الأعلى في ذاته وصفاته وأفعاله سبحانه، المنزه عن النقص والعيوب. ومن جهة فهي تزدري عبادة -ولو في وجه أو مجال من مجالات العبادة- من له مثل السُّوء، ويتخلله وصفاته الضعف والنقص والعيوب والآفات.

[ءأرباب متفرقون] ضعفاء متشرذمون، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، **[خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهار]** الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، لا يماثله شيء في صفاته وخصائصه، وهو القاهر فوق عباده، السميع البصير ؟! I عما يشركون.

[2] روى البخاري بسنده، أن رسول الله ε قال: "مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله: **[إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير]**". وبالتالي فمن يدعي علم الغيب من دون الله أو بغير سلطان من الله -وهذا ليس لأحد بعد الأنبياء- كالسحرة، والعرافين، والمنجمين، وضاربي الفنجان وغيرهم من المشعوذين فهو يدعي خاصية من خصائص الله التي تفرد بها دون أحد من خلقه، وهو بذلك مشرك مرتد بلا خلاف، قال تعالى: **[قل لا يعلم من في السماوات والأرضِ الغيبَ إلا الله]** النحل: 65 .

ويعلَمُ ما في البرِّ والبحر وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلَمُها ولا حبَّة في ظُلماتِ الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مُبين. وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلَمُ ما جرحتُم بالنهار] الأنعام: 59-60 .

قولُه: " وقدَّرَ لهم أقداراً".

ش: قال تعالى: **[وخلق كلَّ شيء فقدَّره تقديراً]** [1] الفرقان: 2. **[إنا كُلَّ شيءٍ خلقناهُ بقدَر]**[2] القمر: 49 . **[الذي خلق فسوى والذي قدَّر فهدَى]** الأعلى: 2-3 .

وفي صحيح مسلم عن عبد اللـه بن عمر، عن النبي ع، أنه قال: "قدَّر اللـهُ مقاديرَ الخلقِ قبل أن يَخلُق السماواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنةٍ، وكان عرشُهُ على الماء".

قولُه: "وضرَبَ لَهُم آجالاً" .

ش: يعني أن اللـهَ سبحانه وتعالى قَدَّر آجالَ الخلائق، بحيثُ إذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال تعالى: **[إذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون]** النحل: 61 . **[وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن اللـه كتاباً مؤجَّلاً]** آل عمران: 145 . وفي صحيح مسلم عن عبد اللـه بن مسعود، قال: قالت أمُّ حبيبةَ زوجُ النبي ع: اللهم أمتعني بزوجي رسولِ اللـه، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ع: "قد سألتِ اللـهَ لآجالٍ مضروبةٍ، وأيام معدودةٍ، وأرزاقٍ مقسومةٍ، لن يُعَجِّلَ شيئاً قبل حِلِّه[3]، ولن يُؤخر شيئاً عن حِله، ولو كُنتِ سألتِ اللـهَ أن يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر، كان خيراً وأفضل".

---

[1] وقوله: **[فقدره تقديراً]**، قال البغوي: فسواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل شيء تقديراً من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق ا-هـ.

[2] وقوله: **[بقدَر]**، قال البغوي: أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ ا-هـ.

[3] أي قبل حينه وأوانه. وما دام الأمر كذلك، فإنه لحري بالمسلم أن لا يخشى إلا اللـه، وأن لايخاف المخلوق أياً كان، فإن خوف المخلوق مضيعة للوقت، وإرهاق للأعصاب، وهو بنفس الوقت لايقدم أجلاً ولا يؤخر، ولا يمنع من رزق

فالمقتول ميتٌ بأجله، فعلِمَ اللـهُ تعالى وقدَّرَ وقضـى أن هذا يموت بسبب المرضِ، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدمِ، إلى غير ذلك من الأسباب، واللـه سبحانه خلق الموت والحياة، وخلقَ سببَ الموتِ والحياة.

-تأثيرُ صلةِ الرحم في زيادة العُمُرِ ونقصانِه-

قال رسولُ اللـه ε: "صِلَةُ الرحمِ تزيدُ في العمرِ"[1]. أي: سببُ طولِ العمر، وقد قدَّر أن هذا يصِلُ رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى الغاية، ولولا ذلك السببُ لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه.

-هل للدعاء أثرٌ في زيادةِ العمر ونقصانه ؟-

الجواب: أن الدعاء ليس له أثر في زيادة العمر ونقصانه، لقوله ε لأم حبيبة رضي اللـه عنها: "قد سألتِ اللـهَ لآجالٍ مضروبة"، كما تقدم. فعُلِمَ أن الأعمارَ مقدرةٌ، لم يُشرَعُ الدعاءُ بتغييرها[2]، أما إن كان

مقدور. وقد جاء في الحديث عن النبي ε أنه قال: "لا يمنعنَّ رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه، فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق".

(1) صحيح. وفي حديث آخر، عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللـه ε: "من سره أن يُعظِم اللـه رزقه، وأن يمد في أجله، فليصل رحمه" متفق عليه.ومن حديث أنس، عن النبي ε أنه قال: "من سره أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ في أثره، فليصل رحمه". صحيح سنن أبي داود: (1485). فإنْ قيلَ: إذا كانت الأرزاق مقسومة والآجال مضروبة لا تتأخر ولا تتقدم، فكيف تكون صلة الرحم سبباً في زيادة الرزق وطول العمر؟ فالجواب: أن اللـه تعالى يعلم من عبده -قبل خلقه وقبل كتابة القلم- أنه سيصل رحمه، ويبر والديه وأقاربه من ذوي الحقوق عليه، وبناء على علمه المتقدم هذا يقدر له الزيادة في الرزق والعمر، وكون صلة الأرحام سبباً في زيادة الرزق والعمر لا يخرج ذلك عن كونه بقضاء وقدر من خالق عليم قدير.

(2) هذا الكلام لا يصح على إطلاقه، وبخاصة أن السُّنَّة دلت على خلافه، حيث أن النبي ε دعا لأنس بن مالك بطول العمر، كما في الحديث عنه قال: دعا لي رسول اللـه فقال: "اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته"، فاللـه أكثر مالي حتى إن كرماً لي لتحمل في السنة مرتين، وولد لصلبي مئة وستة. وقد عمَّرَ τ مئة وثلاث سنين، وقيل: مئة وسبع سنين .. وكذلك لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق، قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً، فأبقني لها. وكذلك دعوة سعد بن أبي وقاص على الرجل الذي قال في سعد: فإنه كان لا يعدل في

الدعاءُ بتغيير العمر يتضمن النفع الأخروي، فهو مشروع، كما قال ε: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي"[1]. وكان الإمام أحمد رحمه الله يكره أن يُدعى له بطول العمر، ويقول: هذا أمر قد فُرِغَ منه.

قولُه: "ولم يَخْفَ عليه شيءٌ قبل أن يخلُقَهُم وعَلِمَ ما هم عاملون قبل أن يَخلُقَهم".

ش: يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: **[ولو رُدُّوا لعادوا لِمَا نُهوا عنه]** الأنعام: 28. **[ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأسمعَهم ولو أسمعهم لتولَّوا وهم مُعرضون]** الأنفال: 23. وفي ذلك ردٌّ على الرافضة

القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً، فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن. قال عبد الملك بن عمير: فأنا رأيته بعدُ يتعرض للإماء في السكك. فإذا سُئل كيف أنت؟ قال: كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. والقصة متفق على صحتها فقد رواها البخاري ومسلم. فدل أن الدعاء له تأثير في زيادة العمر ونقصانه، وقد صح عن النبي ε أنه قال: "لا يرد القدر إلا الدعاء"، ولا شك أن الموت والحياة، والأعمار هي من القدر، كما قال تعالى: **[وإن من شيء إلا بقدر]** ، وما استدل به الشارح -رحمه الله- على منع تأثير الدعاء في الأعمار لاحجة فيه، حيث أن النبي ε لم ينكر على أم حبيبة رضي الله عنها دعاءها بأن يمتعها الله بزوجها النبي ε، وبأبيها وأخيها، وإنما بين لها أن ما سألته فهو مقدور وكائن لا محال، ثم بين لها الدعاء الأفضل، فقال لها: "ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر، كان خيراً وأفضل". فمفهوم الحديث أن سؤالها بأن يمتعها الله تعالى بالنبي ε، وبأبيها وبأخيها فضيل، ولكن الأفضل لو سألت الله أن يعيذها من عذاب في النار، وعذاب في القبر.

فإن قيل الآجال محدودة فيكف يكون الدعاء سبباً في إطالتها؟

فالجواب: يقال ما قيل في تأثير صلة الرحم على إطالة العمر، حيث أن الله تعالى يعلم أن هذا العبد سيُدعى له بطول العمر، وينال الدعاء عند الله تعالى القبول، فيطيل أجله وعمره بناء على علمه السابق في ذلك قبل خلقه.

[1] صحيح، رواه النسائي، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

والقدرية الذين قالوا: إنه لايعلمُ الشيءَ قبل أن يخلُقَه ويوجِدَه[1]!!

قولُه: "وأمرَهُم بطاعته[2]، ونهاهم عن معصيته[3]".

ش: ذكر الشيخ رحمه الله الأمرَ والنهي، بعد ذكره الخلقَ والقَدَر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلْقَ لعبادته[4]، كما قال تعالى: **[وما خلقت الجن**

---

(1) وهذا كفر، لتضمنه الشتم ووصف الله تعالى بالعجز والضعف، وبما لا يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا. واعلم أن أي إطلاق أو تعبير بحق الله تعالى مفاده وصف الله تعالى بصفات تتضمن الضعف والنقص والعجز، فهو كفر يوقع صاحبه بالكفر والردة.

(2) الطاعة منها ما يعتبر من لوازم الإيمان ومتطلباته؛ وهو العمل بالتوحيد قلباً وقالباً واجتناب الشرك، وكذلك إقامة الصلاة، فهذا جانب ينتفي الإيمان بانتفائه، وما دون ذلك من الطاعات تعتبر من مكملات الإيمان، يزداد الإيمان بإتيانها والقيام بها، وينقص بتركها، ولا ينتفي مطلقاً بانتفائها.

(3) من المعاصي ما تخرج صاحبها من الملة وتوقعه في الكفر والردة، وذلك عندما تصل إلى درجة الشرك أو الكفر بالله تعالى، كالتوجه بالعبادة أو بشيء من مجالاتها لغير الله تعالى فهو كفر يخرج صاحبه من الملة، وكذلك مظاهرة المشركين على المسلمين وغيرها من المعاصي والممارسات التي تعتبر من نواقض الإيمان.

وما سوى ذلك من المعاصي كارتكاب الكبائر وما دونها من الذنوب، فهي توجب على صاحبها الوعيد والعذاب، ولكن لا تنفي عنه مطلق الإيمان الذي ينفع صاحبه يوم القيامة. والمعصية تطلق في القرآن والسنة على الكفر، وعلى ما هو دون الكفر.

(4) اعلم أن غاية الغايات التي لأجلها خلق الإنس والجن عبادة الله Y، فحيثما تتحقق سلامة العبادة -بمفهومها الشامل- وجب على المسلم أن يقيم ويشد إليه الرحال، وحيثما تنعدم سلامة العبادة والدين يتعين على المسلم الفرار بدينه من ذلك المكان إلى حيث تتحقق سلامة العبادة، والشح بالوطن والديار والأموال لا يبرر لصاحبه قط أن يتخلف عن عبادة الله كما أُمِر، والهجرة ما شرعت إلا لتحقيق هذا المطلب الهام.

والإنس إلا ليعبدون] الذاريات: 56. **[الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكُم أحسنُ عملاً]** الملك: 2 .

قولُه: "وكُلَّ شيءٍ يجري بتقديره ومشيئـتِهِ، ومشيئـتُه تنفذُ، لا مشيئـةَ للعبادِ إلا ما شاءَ لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشَأْ لم يكُنْ" .

ش: قال تعالى: **[وما تشاءون إلا أن يشاءَ اللـهُ إن اللـهَ كان عليماً حكيماً]** الدهر: 30 . **[وما تشاؤون إلا أن يشاء اللـهُ ربُّ العالمين]** التكوير: 29 . **[ولو أننا نزَّلنا إليهم الملائِكةَ وكَّلمهم الموتى وحشرنا عليهم كُلَّ شيءٍ قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاءَ اللـه]** الأنعام:111. **[ولو شاء ربُّكَ لآمن من في الأرض كُلُّهم جميعاً]** يونس: 99 . وقال تعالى حكاية عن نوح υ إذ قال لقومه: **[لا ينفعكم نُصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان اللـهُ يريدُ أن يغويَكُم]** هود: 34 . إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء اللـهُ كان وما لم يشَأْ لم يكن. وكيف يكون في ملكهِ ما لا يشاؤه! ومَن أضلُّ سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن اللـهَ شاءَ الإيمان من الكافر، والكافرُ شاءَ الكفر، فغلبت مشيئةُ الكافر مشيئةَ اللـه ! تعالى اللـه عما يقولون علواً كبيراً.

-شبهةٌ وردٌّ-

فإن قيل: يُشكِلُ على هذا قوله تعالى: **[سيقول الذين أشركوا لو شاء اللـهُ ما أشركنا ولا آباؤنا]** الأنعام: 148. وقوله: **[وقال الذين أشركوا لو شاء اللـه ما عبدنا من دونه من شيء]** النحل: 35. وقوله: **[وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون]** الزخرف: 20 . فقد ذمهم اللـهُ تعالى حيثُ جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة اللـه ؟

فقد أجيب على هذا بأجوبة، منها:

أنه أنكر عليهم ذلك، لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك وسَخِطَه، لما شاءه فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فرد اللـه عليهم ذلك. أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة اللـه دليلٌ على أمره. فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد[1]، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل

---

[1] أي توحيد اللـه I في مشيئته النافذة في شؤون خلقه، القاهرة لجميع المشيئات والتي لاتعلوها ولا تشركها مشيئة مخلوق أياً كانت صفته ونوعه.

الزنادقة، والجهال، إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر، وقد احتجَّ سارق على عمر بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره، يشهد لذلك قوله تعالى: **[كذلك كذب الذين من قبلهم]** الأنعام: 148 . فعلم أن مرادهم التكذيب.

- حديثُ احتجاج آدم على موسى -

فإن قيل: فما تقولون في احتجاج آدم على موسى بالقدَر، إذْ قال له أتلومني على أمرٍ قد كتبه الله عليَّ قبل أن أُخلق بأربعين عاماً؟ وشهد النبي ε أن آدم حجَّ موسى، أي: غلبه بالحُجَّة[1].

قيل: نتلقاه بالقبول والسمع والطاعة، لصحته عن رسول الله ε، والصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحادُ بنيه من المؤمنين لايحتجُّ بالقدَر[2]، فإنه باطل، وموسى υ كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدمَ υ على ذنبٍ قد تاب منه وتاب اللهُ عليه، وإنما وقع اللومُ على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم υ بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يُحتج به عند المصائب[3]، لا عند المعايب.

---

(1) الحديث متفق عليه.

(2) أي على المعصية، كما هو شأن الفساق والكفرة حيث تراهم يحتجون بالقدر على ارتكاب الذنوب والشرك، وهو قول أقرب ما يكون إلى مذهب الجبرية في القدر.

(3) لأن الاستشهاد بالقدر عند المصائب من شأنه أن يخفف من وطأة المصيبة على المصاب المبتلى، ويكسيه ثوب الرضى بقضاء الله وقدره، ويرفع عنه الآسى الشديد الذي غالباً ما يؤدي بصاحبه إلى المرض أو الموت .. وحالات الانتحار التي نشهدها في العالم الغربي الكافر ما هي إلا بسبب فقدانهم لنعمة عقيدة القضاء والقدر كما بينها الإسلام.

فالإنسان عندما يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن خيرة الله لعبده خير له من خيرة العبد لنفسه، وأنه مأجور على ما أصابه من بلاء إن شكر وصبر، فإنه لا يحصل له شيء من القلق والجزع والخوف والأسى جراء نزول المصائب كما يحصل لمن لا يؤمن بالله تعالى ولا بقضائه وقدره. إذاً فالقضاء والقدر من ثماره أنه يهب المرء التفسير الصحيح لكل ما يجري حوله من أحداث وأمور -وبخاصة الغامضة منها- من غير مرض أو قلق أو جنون.

وأما قول إبليس: **[ربِّ بما أغويتني لأُزيننَّ لهم في الأرضِ ولأغوينَّهم أجمعين]** الحجر: 39. إنما ذُمَّ على احتجاجه بالقدر[1]، لا على اعترافه بالقدر وإثباته له، ألم تسمع قول نوح υ : **[ولا ينفعكم نُصحي إن أردت أن أنصحَ لكم إن كان اللـهُ يريدُ أن يغويَكُم هو ربُّكم وإليه تُرجعون]** هود: 34 .

وعن وهب بن مُنبِّه أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلَمَ الناسِ بالقدر أكفَّهُم عنه، وأجهلَ الناس بالقدر أنطقَهُم فيه[2].

قولُـه: "يهدي من يشاء، ويَعصِمُ ويُعافي فضلاً، ويُضِلُّ من يشاءُ ويخذُلُ ويبتلي عدلاً" .

ش: قال تعالى: **[إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللـه يهدي من يشاء]**[3] القصص: 56. **[ولو شئنا لآتينا كل نفسٍ هداها]** السجدة: 13. وقال: **[يُضِلُّ اللـهُ من يشاء ويهدي من يشاء]** المدثر: 31 .

قولُه: "وكُلُّهم يتقلبون في مشيئتـهِ، بين فضلِه وعدله".

ش: قال تعالى: **[هو الذي خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمن]** التغابن: 2. فمن هداه إلى الإيمان، فبفضلِه وله الحمد، ومن أضلَّهُ فبعدلِه وله الحمد[4].

---

(1) ذم على احتجاجه بالقدر على فعل الذنب والإغواء والتزيين.

(2) صح عن النبي ε أنه قال: "إذا ذُكر القدر فأمسكوا". أي لا تسترسلوا في الحديث عن القدر، فتخوضوا فيما لا يعنيكم، فتضلوا، لأن الخوض فيما هو فوق المقدور وحدود المعقول، مآله غالباً إلى الهلاك والضلال، والسلامة تقتضي الإقتصار على المشروع والمعقول.

(3) الهداية المنفية عن نبينا ε، هي هداية الإعانة والتوفيق أو المشيئة النافذة فيما شاء أو أحب، وهذه الهداية ليست لأحد سوى اللـه تعالى، أما الهداية بمعنى التبيين والنصح والإرشاد فهي المثبتة لنبينا ε ومن كان على نهجه من العلماء الصالحين. وهذا من لوازمه تعلق القلب بخالقه، ونشدان الهداية ممن بيده القدرة على الهداية والاضلال دون أحد سواه.

(4) فبعدله، لأن اللـه تعالى منزه عن الظلم، فلا يصدر عنه إلا العدل المطلق، كما قال تعالى: **[ولايظلم ربك أحداً]**، وهو يبغض الظلم من عباده، كما في الحديث القدسي الصحيح: "ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً

قولُه: "وهو مُتَعالٍ عن الأضدادِ والأندادِ" .

ش: الضد: المخالف، والند: المثل، فهو سبحانه لا معارض له[1]، ولا مثل، كما قال تعالى: **[ولم يكن له كُفُواً أحد]**[2] الإخلاص: 4. ويشير الشيخ بنفي الضد والند إلى الرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعله[3].

فلا تظالموا"، ومن الأخطاء الشائعة الجارية على لسان عوام الناس، إذا ظُلِمَ أحدهم تراه يقول لظالمه: اللـه يظلمك مثل ما ظلمتني!! وهذا لا يجوز.

(1) من لوازم صحة التوحيد وشروطه الإنقياد والرضى، وأن يسلم العبد بأن اللـه تعالى لا معارض لقوله وحكمه، والتسليم بأن إرادة الشعب أو للأكثرية الحق في أن تعارض حكم اللـه، أو أن تعقب عليه، وأن حكمها هو الذي يجب أن ينفذ ويطبق وإن كان باطلاً شرعاً، كما تنص على ذلك الديمقراطية، لهو صريح الكفر والإرتداد عن الدين. ومع ذلك ما أكثر أولئك الذين يتشدقون بالديمقراطية ويطالبون بها، صدق اللـه: **[وما يؤمن أكثرهم باللـه إلا وهم مشركون]**.

(2) فكما أن اللـه تعالى لا مثل له في ذاته وصفاته وأفعاله، فكذلك لا مثل له في شيء من خصائصه تعالى التي تفرد بها دون خلقه، والتي منها أنه المعبود بحق المستحق لكمال العبادة، وأنه تعالى له الحكم والتشريع وخاصية التحليل والتحريم، وأنه تعالى يحكم ما يريد من غير أن يعقب عليه أحد، وأنه تعالى فوق المساءلة لا يُسأل عما يفعل وما سواه من الخلق يسألون، ومنها أنه تعالى المحبوب لذاته وما سواه يُحب له سبحانه، وأنه كذلك المطاع لذاته وما سواه يطاع لأجله وفي الحق الذي يحبه تعالى، وأنه تعالى وحده الضار النافع بيده الخير والشر، يعلم ما كان وما سيكون .. فهذه خصائص تفرد بها اللـه وحده فمن ادعى شيئاً منها لنفسه فقد ادعى الإلهية وجعل من نفسه نداً لله تعالى، ومن أقر له بهذه الخصائص أو بشيء منها، فقد اتخذه معبوداً من دون اللـه وأقر له بالإلهية وخصائصها.

(3) لأن هذا القول من المعتزلة يستلزم منهم أن يجعلوا العبد المخلوق نداً لله Y في خاصية الخلق، حيث أضافوا إليه صفة الخلق، فهو خالق لفعله كما أن اللـه تعالى خالق!! أقول: أيضاً في كلام الشيخ رحمه اللـه رد على من يدعي لنفسه حقوق وخصائص هي من خصائص الإلهية، كحق الحكم والتشريع، وسن القوانين، وحق الطاعة من دون اللـه، وغيرها من الخصائص التي تقدم ذكرها، فمن ادعى لنفسه شيئاً من هذا فقد ادعى الألوهية، وجعل من نفسه نداً لله Y، ومن كانت هذه صفته ودعواه فمن الإرجاء أن يناقش كفره، ويحصل تردد في تكفيره.

قولُه: "لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّب لحُكْمِه، ولا غالِبَ لأمرِه".

ش: أي لا يردُّ قضاءَ اللهِ رادٌّ[1]، ولايعقبُ، أي: لا يؤخِّر حكمَه مؤخرٌ[2]، ولا يغلبُ أمره غالبٌ بل هو اللهُ الواحد القهار.

قولُه: "آمنا بذلك كُلِّه، وأيقَنَّا أنَّ كُلاًّ من عنده" .

ش: أما الإيمان، فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى، في موضعه.

وقوله كُلاًّ: أي كل كائن مُحدَثٍ من عند الله، بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه.

قولُه: "وإن محمداً عبدُه المصطفى، ونبيُّهُ المجتبى، ورسولُه المُرتَضى" .

ش: الإصطفاءُ والإجتباء والإرتضاء: متقاربُ المعنى.

-كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى وحده-

---

(1) أي مهما اتخذ الإنسان من أسباب المنعة والحيطة، فإنه لا يستطيع أن يرد قضاء الله تعالى، فقضاؤه تعالى واقع لا محالة، ومنه يفهم قوله تعالى: **[أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة]** النساء: 78. وقوله ε: "إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه". وقوله ε لابن عباس: "اعلم بأن الخلائق لو أرادوك بشيء لم يردك الله به لم يقدروا عليه". ولا شك أن هذه العقيدة -عقيدة القضاء والقدر- من ثمارها أنها تكسب المرء الرضى والفهم الصحيح لما يطرأ عليه من الأحداث، وكذلك تكسبه السكينة، والتوكل على الله وحده، وعدم الخوف من المخلوق أياً كان.

(2) قال تعالى: **[والله يحكم لا معقب لحكمه]** الرعد: 41. قال الشوكاني في التفسير:

المعقب:الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يقفيه بالرد والإبطال. قال الفراء: معناه لا راد لحكمه، والمعقب الذي يتبع الشيء فيستدركه، والمراد من الآية: أنه لا يتعقب أحدكم الله سبحانه بنقص ولا تغيير. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد: ليس أحد يتعقب حكمه فيرده كما يتعقب أهل الدنيا بعضهم حكم بعض فيرده. ا-هـ.

أقول: مما تقدم يعلم أن معنى كلمة "يعقب" لايصح أن تحمل على معنى التأخير، والله تعالى أعلم.

اعلم أن كمالَ المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازدادَ العبدُ تحقيقاً للعبودية ازدادَ كمالُه، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجهٍ من الوجوه[1]، وأن الخروجَ عنها أكملُ، فهو من أجهل الخلق وأضلِّهم، قال تعالى: **[وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عبادٌ مكرمون]** الأنبياء: 26. وذكر نبيه ε باسم العبد في أشرف المقامات، قال تعالى: **[سبحان الذي أسرى بعبده]** الإسراء: 1. **[وأنه لما قام عبدُ اللـه يدعوه]** الجن: 19. **[فأوحى إلى عبده ما أوحى]** النجم: 10. وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول المسيح υ يوم القيامة إذ طلبوا منه الشفاعة: "اذهبوا إلى محمدٍ، عبدٌ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[2] فحصلت له تلك المرتبةُ بتكميل عبوديته لله تعالى.

-صِدْقُ الأنبياء دليلٌ على صدقِ نبوَّتِهم-

فإن النبوة إنما يدعيها أصدقُ الصادقين، أو أكَذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائنُ أحوالهما تُعربُ عنهما وتُعرِّف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة، فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟!

وما من أحدٍ ادعى النبوَّةَ من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذبِ والفجور واستحواذِ الشياطين عليه، إذ الصدق مستلزم للبِّر، والكذب مستلزم للفجور، كما في الصحيحين عن النبي ε أنه قال: "عليكم بالصدقِ فإن الصدقَ يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال

---

[1] الإنسان محتاج ضعيف فُطر على النقص، وبالتالي فهو مفطور على العبودية يسعى دائماً ليسد حاجته ونقصه في هذا المجال، فمن لم يعبد اللـه الغني الرزاق بحق، فهو لا شك يعبد عبداً ضعيفاً محتاجاً مثله، فهو عابدٌ على كل الأحوال فمن لم يكن عبداً لله فهو عبد لغيره، ومن لم يدعو ويرجو اللـه فهو يدعو غيره، ومن لم يعلق قلبه رجاءً واتكالاً على اللـه يعلق قلبه بغيره من خلقه، ومن لا يتحاكم إلى اللـه يتحاكم إلى غيره، ومن لا يطيع اللـه ويحبه، يطع غيره من خلقه، ومن لم يضح في سبيل اللـه سيضحي في سبيل الطاغوت، ومن فرَّ من العبودية لله تعالى فهو واقع في عبادة غيره لا محالة. وشتان شتان بين من يكون عبداً لله الواحد الأحد الفعال لما يريد الذي بيده كل الأمر، ومن يكون عبداً للطاغوت الذي لايملك نفعاً ولا ضراً بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى.

[2] متفق عليه.

الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند اللـه صِدِّيقاً، وإياكم والكذب فإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتبَ عند اللـه كذَّاباً".

ولهذا قال تعالى: **[هل أنبئكُم على من تنـزَّلُ الشياطين. تنـزَّلُ على كل أفَّاكٍ أثيم يُلقُونَ السمعَ وأكثرهم كاذبون. والشعراءُ يتَّبِعُهُم الغاوون. ألم تر أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمون. وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون]** الشعراء: 221-226.

فالكهّان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من الغيبيات، ويكون صدقاً، فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملَكٍ وليسوا بأنبياء.

فمن عرف الرسولَ وصدقه ووفاءَهُ ومطابقة قوله لعمله، عَلِمَ علماً يقينياً أنه ليس بشاعرٍ ولا كاهن. والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسولُ بها، وهي أشرفُ العلومِ وأشرف الأعمال. فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟! وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟!

ولهذا لما كانت خديجة رضي اللـه عنها تعلم من النبي ε أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحي: " إني قد خشيت على نفسي"، فقالت: كلا واللـه لا يخزيك اللـهُ أبداً، إنك لتَصلُ الرحم، وتصدُقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتَقرِي الضيفَ، وتكسبُ المعدومَ، وتُعينُ على نوائب الحقّ[1].

وكذلك قال النجاشيُّ لما استخبرهم عما يُخبرُ به، واستقرأهم القرآن فقرؤوه عليه: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرجُ من مشكاةٍ واحدة[2].

وكذلك ورقة بن نوفل لما أخبره النبي ε بما رآه، فقال: هذا هو الناموس[3] الذي كان يأتي موسى[4].

وكذلك هِرَقْلُ ملك الروم، فإن النبيَّ ε لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارةٍ إلى الشام، وسألَهم عن أحوال النبي ε، فسأل أبا

[1] صحيح أخرجه البخاري وغيره من حديث عائشة.

[2] أخرجه ابن اسحق في السيرة، وسنده حسن.

[3] المراد به جبريل υ.

[4] أخرجه البخاري، وهو جزء من حديث عائشة الذي تقدم.

سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الإخبار، وكان مما سألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذباً. فقال: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله. قال: وسألتكم هل يغدر؟ فقلتم: لا، وكذلك الرسل لا تغدِرُ[1].

-يُعْلَمُ صدق الرسل من وجوهٍ متعددة-

منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم[2].ومنها: ما أحدثه اللهُ لهم من نصرهِم، وإهلاكِ عدوهم، كغرق فرعون، وغرقِ قوم نوحٍ، وبقية أحوالهم ...

ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأنه لا يصدر إلا عن راحم بَرٍّ يَقصِدُ غايةَ الخير والمنفعة للخلق.

---

(1) أخرجه البخاري.

(2) أخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة أنه قال: "قام فينا رسول الله εمقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه".

وأخرج مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب τ أنه قال:"صلى بنا رسول الله ε الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا".

وقد أخبر النبي ε عن ظهور الخوارج، وعلامتهم أن فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع، على عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، وقد تحقق ذلك في عهد علي بن أبي طالب τ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ε قال: "هلك كسرى ثم لايكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده، ولتقسمنَّ كنوزهما في سبيل الله". وقد تحقق ذلك بفضل الله تعالى ومنّه. والأخبار التي أخبر بها النبي ε ثم تحققت هي أكثر من أن تحصر في هذا الموضع، ومن أراد أن يستزيد فعليه بمراجعة أبواب الفتن والملاحم وأشراط الساعة من كتب السنن، فسيجد ما تقرُّ به العين، ويهدأ له بال كل مرتاب أو متشكك، على نبينا أفضل الصلاة والسلام.

-إنكارُ رسالة النبيّ ε طعنٌ في الربِّ تبارك وتعالى-

إنكار رسالته ε طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظُّلم والسَّفَهِ، تعالى اللـه عن ذلك علواً كبيراً، بل جَحدٌ للربِّ بالكلية وإنكارٌ.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمدٌ عندهم ليس بنبي صادق، بل ملِكٌ ظالم، فقد تهيَّأ له أن يفتري على اللـه، ويتقول عليه، ويستمر حتى يُحلل ويحرم، ويَفرضَ الفرائض، ويُشَرِّع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، وينسب ذلك كله إلى أمر اللـه له به، ومحبته له، والربُّ تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الإفتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويُهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم.

فيلزَمُهم أن يقولوا: لا صانع للعالَم، ولا مدبِّر، ولو كان له مدبرٌ قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غيرُ ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟

قال تعالى: **[أم يقولون افترى على اللـه كَذِباً فإن يشَاءِ اللـهُ يختِمْ على قلبك]** الشورى:

ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه اللـه بخبر السماء وأن يبلـغ غيره، فهو نبـي رسـول، وإن لـم يـأمره أن يبلـغ غيرَه، فهو نبـي وليس برسول، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً[1].

قولُه: "وأنه خاتَمُ الأنبياءِ" .

ش: قال تعالى: **[ولكن رسولَ اللـهِ وخاتمَ النبيين]** الأحزاب:

قولُه: "وإمامُ الأتقياء" .

ش: الإمام الذي يُؤتَـمُّ بـه، أي: يقتدون بـه، والنبـي ε إنمـا بُعث للإقتـداء بـه، لقولـه تعـالى: **[قل إن كنـتم تحبـون اللــه فـاتبعوني يحببكم اللــه]**[2] آل عمران:

قولُه: "وسيّدُ المُرسلين".

ش: قال ε: "أنا سيدُ ولَدِ آدم يوم القيامة، وأولُ من ينشقُّ عنه القبرُ، وأولُ شافع وأول مُشَفَّعٍ"(1). وفي حديث الشفاعة: "أنا سيدُ الناسِ يوم القيامة"(2). وقال: "أنا سيد ولد آدم ولا فخرَ"(3).

-التوفيق بين هذه الأحاديث والأحاديث التي تنهى عن التفضيل بين الأنبياء-

فإن قيل: يُشكِلُ على هذا قوله ε: "لاتفضلوني على موسى، فإن الناسَ يُصعَقُون يومَ القيامة، فأكون أوَّلَ من يفيق، فأجد موسىَ باطِشاً بساقِ العرش، فلا أدري هل أفاقَ قبلي، أو كان ممن استثنى الله ؟"(4) وقولُه: "لاتفضِّلوا بينَ الأنبياء"(5). فكيف يُجمعُ بين هذا وبين قوله: "أنا سيدُ ولَدِ آدم ولا فخر".

الإتباع والاقتداء وفي أهل الاتباع والاقتداء، والمرء كلما كمل اقتداؤه بالنبي ε، كلما كمل تقواه لله Y، ومن يخرج عن الاتباع والاقتداء لا يكون مؤمناً فضلاً عن أن يكون تقياً، ومنه يعلم فساد قول من يعتبر المجانين والمهابيل الداشرة في الأسواق الذين تعلو ثيابهم النجاسات والأوساخ أنهم أتقياء ومن أولياء الله تعالى المقربين!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

(1) صحيح أخرجه مسلم وغيره.

(2) متفق عليه.

(3) صحيح أخرجه الترمذي، وابن ماجه وأحمد.

(4) متفق عليه. وقوله: "ممن استثنى الله" أي ممن استثناه الله من الصعق.

(5) متفق عليه. وتمام الحديث: عن عبد الرحمن الأعرج قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أُعطي بها شيئاً كرهه أو لم يرضه، قال: لا والذي اصطفى موسى υ على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فلطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى υ على البشر، ورسول الله ε بين أظهرنا! قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ε، فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله ε: "لم لطمت وجهه ؟" قال: قال يارسول الله الذي اصطفى موسى υ على البشر وأنت بين أظهرنا، قال: فغضب رسول الله ε حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال: "لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أُخرى فأكون أول من بُعث، أو في أول من بعث، فإذا موسى υ آخذ بالعرش،

فـالجواب: أن هـذا كـان لـه سـببٌ، فإنـه كـان قـد قـال يهـودي: لا والـذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلمٌ وقـال: أتقولُ هذا ورسولُ اللــه ε بين أظهرنـا: فجـاء اليهوديُّ فاشتكى من المسلم الـذي لطمـه، فقـال النبـي ε هذا، لأن التفضيل إذا كان على وجـه الحميَّـة والعصبية وهوى النفس، كـان مذموماً[1]، فإن اللـه حرم الفخر، كما في صحيح مسلم عن النبي ε أنـه قـال: "أُوحي إلي أن تواضَعوا، حتى لا يَفخرَ أحدٌ علـى أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ علـى أحدٍ". فعُلِمَ أن المذموم إنمـا هو التفضيل علـى وجـه الفخر، أو علـى وجـه الإنتقاص بالمفضول[2]، وعلـى هـذا يُحمل أيضـاً قولـه ε: "لاتفضِّلوا بـين الأنبياء".

وقـد أجـاب بعضـهم بجـوابٍ آخر، وهـو أن قولَـه ε: "لاتفضلوني علـى موسـى"، وقولَـه: "ولا تُفضلوا بين الأنبيـاء"، نهـي عن التفضيل الخـاص:

فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي، ولا أقول: إنَّ أحداً أفضل من يونس بن متى υ. ومن حديث أبي سعيد الخدري مرفوعـاً بلفظ: "لا تخيَّروا بين الأنبياء".

(1) يستبعد أن يكون الصحابـي لطـم اليهـودي عـن عصبيـة وهـوى النفـس، بـل الـذي يليـق بالصحابي -وهو الذي يفهم من النص- أنه لطم اليهودي لما رأى في مقولتـه مـن انتقـاص لقدر نبينـا ε، والغضـب للـذود عـن حرمـات النبـي ε حقٌّ وواجب على كل مسلم، ولا يصح أن يعتبر ذلك من قبيل العصبية وهوى النفس، فقد جاء في السنن أن رجلاً أعمى قتل أم أولاده بسبب نيلها من جنـاب النبـي ε وشتمها له، وأن النبي ε قد أهدر دمها. كذلك قتل خالد ابن الوليد τ، لمن كـان يقول مشيراً للنبـي ε: "هذا الرجل أو عند صـاحبكم" من دون أن يضيف إليـه نسبة النبـوه، لمـا رأى فـي مقولتـه مـن انتقـاص لقدر النبـي ε. ثـم لـو كـان فعل الصحابي فيه عصبية وهوى للنفس لبين له النبي ε ذلك ولنهاه عنه، لأن النبـي ε لا يجوز الإفتراض فيه أنـه يسكت علـى منكر يراه أو يسمعه، فعلم أن غضب النبي ε كان لمجرد المفاضلة بين الأنبياء بأعيانهم، واللـه تعالى أعلم.

(2) إن مجـرد إجـراء المفاضـلة بـين الأنبيـاء بأعيـانهم، سـوف يحصـل الشـعور بانتقاص المفضول، لذا فالسلامة في اجتنابها.

أي: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخر"، فإنه تفضيل عام، فلا يُمنَعُ منه[1].

قولُه: "وحبيبُ ربِّ العالمين" .

ش: ثبت له ε أعلى مراتب المحبة، وهي الخُلَّة[2]، كما صح عنه ε أنه قال: " إنَّ اللـه اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"[3]. وقال: "ولو كنتُ متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكن صاحِبَكُم خليلُ الرحمنِ"[4].

-الخُلَّة خاصةٌ بإبراهيم ونبينا محمدٍ صلوات اللـه عليهما، أما المحبةُ فهي عامَّةٌ لجميع المؤمنين-

المحبَّـةُ ثبتت لغيرِه ε، قال تعالى: **[واللـه يحب المحسنين]** آل عمران:

-لايصح أن يُوصف العبد بالعِشقِ في محبته لربه-

العشِقُ: هو الحبُّ المُفرِط الذي يُخاف علِى صاحبه منه، ولكن لا يُوصَفُ به الربُّ تعالى، ولا العبدُ في محبة ربه، واختُلِفَ في سبب المنع، فقيل: عدمُ التوقيف[1]، وقيل غير ذلك، ولعلَّ امتناعَ اطلاقه أن العشقَ محبةٌ مع شهوةٍ.

خليلي، ومثل هذا كثير في السُّنَّة. وكذلك قوله ε: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل". وأي خليل أفضل ديناً من نبينا ε فدل أن الخلة من الأعلى إلى الأدنى غير واردة باستثناء خلة الله تعالى لمحمد وإبراهيم عليهما أفضل الصلاة والسلام، لورود النص، بينما الخلة من الأدنى إلى الأعلى فهي جائزة، بل واجبة والله تعالى أعلم. ولا يقال -كما سمعت مرة من واعظ يشرح الطحاوية!!- إن الخلة لاتجوز منا للنبي ε، ولا بين المؤمنين بعضهم لبعض، لأن هذا يستلزم أن لا يبقى شيء من الحب لله تعالى لأن الخلة منتهى الحب وذروته، وعلى هذه الشبهة نرد من وجهين:

أولهما، وجود النصوص الشرعية الدالة على ثبوت هذا النوع من الخلة، كقوله تعالى: [**الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضهم عدو إلا المتقين**]، ولقوله ε: "فلينظر أحدكم من يخالل".

أما الثاني، أن هذه الخلة في حقيقتها هي معقودة في الله ولله وليس لذات الخليل وإلا لكانت شركاً والعياذ بالله، والدليل على ذلك أن المحبوب المتخَذ خليلاً لو تغير حاله من الاستقامة والتقوى إلى الفجور والكفر لسرعان ما تنقلب هذه الخلة إلى عداوة وبغضاء من الطرف الآخر، فدل أن هذا الحب هو من محبة الله وطاعته وليس لذات المحبوب، حيث لا يحب لذاته إلا الله I وما سواه يحب له ولأجله.

ومن الإطلاقات الخاطئة التي ينبغي التحذير منها، إطلاق بعض الوعاظ المتحمسين -في خطب الجمعة- ليستثيروا حماس الحضور: (يا أحباب محمد ε!!) ويكون في الحضور الكافر والفاسق والمؤمن، ومن لا يصلي إلاَّ الجمعة، ومن يعتقد عقائد الكفر والضلال كالعلمانية وغيرها، والشاهد كيف يطلق على هؤلاء كلهم أنهم أحباب محمد ε، وقد ثبت أن أحباب محمد ε وأولياءه هم المؤمنون المتقون فقط مهما كانوا وأين كانوا.

[1] أي: لعدم ورود النص من الكتاب والسنة على مشروعية هذا الاطلاق أو المصطلح.

قولُه: "وكلُّ دعوى النبوَّةِ بعدَهُ فغيٌّ وهوى[1]".

ش: لما ثبت أنه خاتمُ النبيين، عُلِمَ أن من ادعى بعده النبوة، فهو كاذب، والغيُّ: ضد الرشاد، والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس.

قولُه: "وهو المبعوثُ إلى عامة الجِنّ وكافَّة الورى، بالحقِّ والهدى، وبالنورِ والضياء" .

---

[1] قلت: حكم الغي والهوى لا يستفاد منه الحكم الصحيح الذي يستحقه مدعي النبوة بعد النبي ε وهو الكفر والزندقة، لأن ليس كل غي وهوى يعتبر كفراً، بينما كل كفر هو غي وهوى، لذا فالأصح أن يقال: "وكل دعوى النبوة بعده فكفر وزندقة" والله تعالى أعلم.

قال الشيخ ناصر في تعليقه على الطحاوية: قد أخبر النبي ε أمته نصحاً لهم وتحذيراً في أحاديث كثيرة أنه سيكون بعده دجالون كثيرون، وقال في بعضها: "كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي" رواه مسلم. ومن هؤلاء الدجالين (ميرزا غلام أحمد القادياني) الذي ادعى النبوة، وله أتباع منتشرون في الهند وألمانيا وإنكلترا وأميركا، لهم فيها مساجد يضلون بها المسلمين، وكان منهم في سورية أفراد، استأصل الله شأفتهم وقطع دابرهم، ولهم عقائد كثيرة غير اعتقادهم بقاء النبوة بعده ε. وهم بلا شك ممن عناهم رسول الله ε في الحديث الصحيح عنه: "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم وآباؤكم فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم" رواه مسلم.

وإن من أبرز علاماتهم أنهم حين يبدأون بالتحدث عن دعوتهم إنما يبتدئون قبل كل شيء بإثبات موت عيسى عليه الصلاة والسلام، فإذا تمكنوا من ذلك بزعمهم انتقلوا إلى مرحلة ثانية وهي ذكر الأحاديث الواردة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام ويتظاهرون بالإيمان بها، ثم سرعان ما يتأولونها، ما دام أنهم أثبتوا بزعمهم موته، بأن المقصود نزول مثيل عيسى! وأنه هو غلام أحمد القادياني! ولهم من مثل هذا التأويل الشيء الكثير والكثير جداً، مما جعلنا نقطع بأنهم طائفة من الباطنية الملحدة.

ومن ضلالات القاديانية إنكارهم للجن كخلق غير الإنس، ويتأولون كل الآيات والأحاديث المصرحة بوجودهم ومباينتهم للإنس في الخلق بما يعود إلى أنهم الإنس أنفسهم أو طائفة منهم حتى إبليس نفسه يقولون إنه إنسي شرير!! ا-هـ.

ش: أما كونـه مبعوثـاً إلـى عامـة الجنِّ، فقد قـال تعـالى حكايـة عـن قـول الجن: **[ياقومَنا أجيبوا داعي اللـه]** سورة الأحقـاف:

هذه أوصاف ما جاء به ε من الدين والشرع، المؤيَّد بالبراهين الباهرة، من القرآن وسائر الأدلة.

قولُه: "وإنَّ القرآن كلامُ اللهِ، منه بدا بلا كيفيَّةٍ قولاً، وأنزلَهُ على رسُوله وحياً، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلامِ البريِّةِ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذَمَّهُ اللهُ وعابه، وأوعدَهُ بسقَر حيثُ قال تعالى: [سأُصليه سقر] المدثر:

لقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: وكلَّم اللـهَ موسى، بنصب اسم اللـه، ليكون موسى هو المتكلم لا اللـه !! فقال له أبو عمرو: هَبْ أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: **[ولما جاء موسى لميقاتنا وكلَّمَهُ ربُّـه]** الأعراف:

فإضافةُ الأعيان إلى اللـه للتشريف، وهي مخلوقة لـه، كبيت اللـه، وناقة اللـه، بخلاف إضافة المعاني، كعِلْمِ اللـه، وقدرَتِـه، وعِزَّتـه، وجلالـه، وكبريائـه، وكلامـه، وحياتـه، وعلوه، وقهره، فإن هذا كُلَّـه من صفاته، لا يمكن أن يكون شيءٌ من ذلك مخلوقاً.

-الوصف بالتكلُّم من أوصاف الكمال-

الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: [**واتخذَ قومُ موسى من بعده من حُليِّهم عِجلاً جسَداً لـه خوَار ألم يروا أنه لا يكلِّمُهم ولا يهديهم سبيلاً**] الأعراف:

-شبهة ورد-

فإن قيل: فقد قال تعالى: **[إنه لقولُ رسولٍ كريم]** الحاقة:

الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله] الإسراء:

قولُه: "ومن وصف اللـهَ بمعنى من معاني البشر، فقد كفَرَ[1]**، فَمن أبصرَ هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انـزَجَرَ، وعَلِمَ أن اللـهَ بصفاته ليس كالبشر" .**

ش: نفياً للتشبيه عَقِبَ الإثبات، يعني: أنـه تعالى وإن وُصِفَ بأنـه مُتكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلماً، فإن اللـه ليس كمثله شيءٌ، وهو السميعُ البصير.

وقولُه: **"فمن أبصر هذا اعتبر"**. أي من نظر بعين بصيرته فيما قاله[2] من إثبات الوصف، ونفي التشبيه، ووعيد المشبِّهة، اعتبر وانزجر عن مثل قولِ الكفار.

قولُه: " والرؤيةُ حقٌ لأهل الجَنَّـةِ، بغير إحاطـةٍ ولا كيفيَّـةٍ، كما نطق به كتابُ ربنا: [وجوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ إلى ربِّها ناظرة] القيامة:

-الأدلة على الرؤية وأقوال السَّلَف-

عن ابن عباس: **[إلى ربها ناظرة]** قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل.
وقال عكرمة:
[وجوه يومئذ ناضرة]، قال: من النعيم، **[إلى ربها ناظرة]** قال: تنظر إلى ربها نظراً. وهذا قول كل مفسر من أهل السُّنَّة والحديث. وقال تعالى: **[لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد]** ق:

وكذلك فسرها الصحابة ψ، روى ابن جرير عن جماعة، منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس.

قال تعالى: **[كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون]** المطففين:

على الرؤية، كما قال تعالى: **[فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا]** الشعراء:

وعن أبي ذر قال: سألت رسولَ اللـه ε هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: "نـورٌ أنـى أراه"[1] وفي رواية: "رأيت نوراً".

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قام فينا رسول اللـه ε بخمس كلمات فقال: "إن اللـه لا ينام، ولا ينبغي لـه أن ينام، يخفض القسط ويرفعه[2]، يُرفَع إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور- وفي رواية: النار- لو كشفه، لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[3] فيكون معنى قوله لأبي ذر: "رأيت نوراً" أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: "نور أنَّى أراه" النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنَّى أراه؟! أي فكيف أراه والنورُ حجابٌ بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريحٌ في نفي الرؤية، واللـه أعلم. وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك.

-إثبات الرؤية القلبية لنبينا ε-

عن عطاءٍ، عن ابن عباس رآه بقلبه[4].

---

(1) أخرجه مسلم وغيره، قال الشيخ ناصر: ويشهد له حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ: "يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عينٌ إلى اللـه Y". رواه الدار قطني كما في "الدر" (6/

وقولـه: **"بغيـر إحاطـة ولا كيفيـة"** هـذا لكمـال عظمتـه وبهائـه، سـبحانه تعالى، لا تدركه الأبصار، ولا تُحيطُ بـه، كما يُعلَمُ ولا يُحـاط بـه عِلمـاً، قـال تعـالى: **[لا تدركـه الأبصـار]** الأنعـام:

-لا تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح-

وقوله: **"فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلَّم لله عز وجل ولرسوله ε، وردَّ عِلْمَ ما اشتُبه عليه إلى عالمِه"** أي: سَلَّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة[1]، أو يقول: العقلُ يشهد

المكفر المخرج من الملة من غير أدنى تأويل، وبهذا الضابط يتميز الكفر الأكبر عن الكفر الأصغر، والمسألة قد أوفيناها بحثاً في كتابنا "قواعد في التكفير" عند الحديث عن قاعدة "الكفر العملي الأصغر لايقال به إلا بقرينة شرعية تدل عليه"، فلتراجع.

(1) قال تعالى: **[فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم]** النور: 63. قال الإمام أحمد رحمه الله: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرَّسُول ε في ثلاثة وثلاثين موضعاً. ثم جعل يتلو: **[فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة]**، وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه.

وقيل له: إن قوماً يدَعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان! فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدَعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله تعالى: **[فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة]** وتدري ما الفتنة؟ الكفر. قال الله تعالى: **[والفتنة أكبر من القتل]**، فيدَعون الحديث عن رسولِ الله ε، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي؟! ا-هـ. عن الصارم المسلول لابن تيمية: 56.

قلت: إذا كان هذا حال من يدَع قول النبي ε إلى قول سفيان وغيره من علماء الأمة، فما يكون القول والحكم فيمن يدع قوله ε إلى قول الطواغيت وأئمة الكفر والفجور .. ؟!

قال تعالى: **[فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجَر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلموا تسليماً]** النساء: 65. قال ابن القيم: أقسم سبحانه بنفسه المقدَّسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسُوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع، وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفسح له كل الانفساح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم

بضد ما دل عليه النقل!! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!! وهذا لا يكون قطُّ، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك، فإن كان النقلُ صحيحاً، فذلك الذي يُدَّعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حُقِّق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقلُ غيرَ صحيح، فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح، ونقلٌ صحيحٌ أبداً.

-من لوازم الإيمان وشروطه التسليم للرسول ε والانقياد لأمره-

فالواجبُ كمال التسليم للرسول ε، والانقيادُ لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دونَ أن يعارضَه بخيالٍ باطلٍ يسميه معقولاً، أو يُحَمِّلَه شبهةً أو شكاً، أو يُقدِّمَ عليه آراءَ الرجال، وزبالَة أذهانهم، فيوحِّده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحَّد المُرسِلَ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل. فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيدُ المُرسِل وتوحيدُ متابعةِ الرَّسُول، فلا يُحاكِم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يَقِفُ تنفيذُ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يُعظمه، فإن أذنوا له، نفذه وَقبِلَ خبرَه!! وإلا فوَّضَه إليهم[1] وأعرض عن أمره وخبره، وحَرَّفه عن مواضِعه وسمَّى تحريفه

الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض ا-هـ.

وقال تعالى: **[يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون]** الحجرات: 1-2. قال ابن تيمية في تفسير الآية: أي حذَرَ أن تحبط أعمالكم، أو خشية أن تحبط أعمالكم، أو كراهة أن تحبط أعمالكم، ولا يحبط الأعمال غير الكفر، لأن من مات على الإيمان فإنه لابد أن يدخل الجنة ويخرج من النار إن دخلها، ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط، ولأن الأعمال إنما يحبطها ما ينافيها، ولا ينافي الأعمال مطلقاً إلاَّ الكفر ا-هـ.

قلت: إذا كان مجرد رفع الصوت فوق صوت النبي ε مظنة لحبوط العمل وحصول الكفر، فما يكون القول فيمن يرفع حكمه على حكم الرَّسُول ε، ويقدمه عليه، ويجعله النافذ دونه.. لاشك أنه أولى بالكفر والارتداد، وبأن تحبط أعماله.

[1] جاء في الأصل: "وإلا فإن طلَبَ السلامَةَ فوَّضه إليهم، وأعرض عن أمره.. " فالمعنى في هذه الحالة لايستقيم ولا يصح؛ لأنه لا يصح أن يقال لمن يعرض عن

تأويلاً وحملاً! فقال: نُؤوّله ونحمِلُه. فلأَن يلقى العبدُ ربه بكل ذنبٍ -ما خلا الإشراك باللـه- خيرٌ له من أن يلقاه بهذه الحال[1].

بل إذا بَلَغَهُ الحديثُ الصحيح يعدُّنفسه كأنه سمعه من رسول اللـه ε، فهل يسوغ له أن يؤخر قبولَه والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامِه ومذهبه! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يُستَشكَلُ قولُه لمخالفته رأي فلان[2]، بل تُستشكل الآراءُ لقوله، ولا يُعارَض نصُّه بقياس، بل تُهدر الأقيسة وتُلغى لنُصوصه، ولا يُحرَّف كلامُه عن حقيقته، لخيالٍ يسميه أصحابه معقولاً، ولا يوقَفُ قبولُ قوله على موافقته فلان دون فلان، كائناً من كان[3].

عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جده -عبد اللـه بن عمرو بن العاص-، قال:

أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخَةٌ من أصحاب رسول اللـه ε جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرِّق بينهم، فجلسنا حَجْرَةً، إذ ذكروا آية من القرآن،

أمر النبي ε إلى أمر غيره أنه طالب للسلامة، بل من كان هذا وصفه فهو طالب للكفر والغضب والعذاب.

(1) لأن هذا النوع من التأويل غالباً ما يؤدي إلى إباحة المحظورات، وتعطيل الصفات وغيرها من الغيبيات المثبتة في الكتاب والسنة، وهو باب واسع يؤدي بصاحبه إلى الشرك والزندقة.

(2) أي لا ينبغي أن يستشكل قول النبي ε على الأذهان، لمعارضته لأقوال الغير، مهما سمت مرتبة هذا الغير العلمية والدينية والاجتماعية، لأن الأصل الذي يجب أن يتبع من دون التفات أو تردد هو قول النبي ε، وما سواه إن جاء قوله مخالفاً لقول النبي ε، فهو مردود ولا يُشتغل به. ومما يلاحظ على كثير من الأحزاب والجماعات المعاصرة -من باب التعصب للحزب أو الشيخ- فإن الحق لا يؤخذ به إلا إذا جاء عن طريق الحزب أو الشيخ، ولو جاء عن غير طريق الحزب وأشياخه فهو يقابل بالفتور والتردد، إذا لم يقابل بالرد والإعراض، والاستهانة والاستخفاف، وهذا من أشنع ما يؤخذ على كثير من الأحزاب والتجمعات المعاصرة.

(3) المتأمل لواقع المسلمين في هذا الزمان، يجد أن كثيراً منهم يردون قول النبي ε لقول المذهب الذي يتمذهبون به، أو لقول شيخ من مشايخ المذهب! كما وأنك تجد في قلوبهم رهبة لقول المذهب والشيخ أو الطريقة أكثر من قول الرَّسُول ε!!

فتمادوا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول اللـه ε مغضَباً، قد أحمرَّ وجهه، يرميهم بالتراب ويقول:"مهلاً ياقوم، بهذا أُهلِكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكُتُبَ بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضُه بعضاً، وإنما نزل يصدق بعضُه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتُم منه فردوه إلى عالِمِه"[1].

قولُـه: "ولا تَثبتُ قَدَمُ الإسلام إلا على ظَهْرِ التسليم والاستسلام".

أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقادُ إليهما، ولا يعترض عليهما، ولا يُعارِضُها برأيه ومعقوله وقياسه[2]. روى البخاري عن الإمام محمد شهاب الزهيري رحمه اللـه أنه قال: من اللـهِ الرسالةُ، وعلى الرَّسُول البلاغُ، وعلينا التسليم. وهذا كلام جامعٌ نافع.

---

[1] صحيح، أخرجه أحمد، والبغوي في شرح السُّنَّة.

[2] عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال لرجل: يا ابن أخي، إذا حدثتك عن رسول اللـه ε فلا تضرب له الأمثال.

وقال عبادة بن الصامت τ لمعاوية -وكان له إمرة عليه-: أحدثك عن رسول اللـه ε وتحدثني عن رأيك! لئن أخرجني اللـه لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة.

وعن ابن عمر أن رسول اللـه ε قال: "لا تمنعوا إماء اللـه أن يصلين في المسجد". فقال ابن له: إنا لنمنعهنَّ!! فقال: فغضب غضباً شديداً، وقال أحدثك عن رسول اللـه ε وتقول إنا لنمنعهن؟!!.

وكان ابن عباس τ يقول: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول اللـه، وتقولون قال أبو بكر وعمر!!.

قلت: فكيف بمن يعارض قول النبي ε -كما هو حال كثير من النَّاس في هذا الزمان -بقول أناسٍ هم أقل شأناً ومكانة وديناً من أبي بكر وعمر؟!

ومن نماذج الاقتداء والانقياد التي جعلت من جيل الصحابة جيلاً فريداً لا يوازيه جيل، ما أخرجه أبو داود في سننه، عن جابر قال: لما استوى رسُول اللـه ε يوم الجمعة قال: "اجلسوا" فسمع ذلك ابن مسعود، فجلس على باب المسجد، فرآه رسُول اللـه ε فقال: "تعال يا عبد اللـه بنَ مسعود" فتأمل أين نحن منهم..؟!

قولُه: "فمن رَامَ[1] عِلْمَ ما حُظِرَ عنه عِلمُـهُ، ولـم يقنـع بالتسليم فَهْمُـهُ، حَجَبَـهُ مُرامُـه عـن خـالِص التوحيـد، وصـافي الـمَعرِفَة، وصحيحِ الإيمان".

ش: هَذا تحذير أن يُتكلَّم في أصول الدين وغيرها بغير علم، قال تعالى: **[ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمعَ والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً]** الإسراء:

-أصلُ الفسادِ في العالَمِ من ثلاثِ فِرَقٍ-

قال عبد اللـه بن المبارك رحمة اللـه عليه:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ وقد يُورِثُ الذلَّ إدمانُها
وتَركُ الذنوبِ حياةُ القلـوبِ وخيرٌ لنفس عِصيانُهـا
وهل أفسـدَ الدينَ إلا المُلُوكُ وأحبارُ سُوءٍ ورُهبانُهَا

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم اللـه ورسوله[1]!!

هواه وكان أمره فرطا] وقوله: [ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا] وقوله: [ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن] وقوله: [أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا]، فالهوى الوارد في هذه الآيات يراد به الكفر الأكبر. ونوع يكون فسقاً ومعصية دون الكفر، وذلك حين يُطاع عن ضعف في معصية لا تخرج صاحبها من الملة، كارتكاب الزنى، وشرب الخمر وغير ذلك من المعاصي التي هي دون الكفر الأكبر، كما في قوله تعالى: [فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا] وقوله: [وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى]. أي: نهاها عن المحارم التي تشتهيها. ومنه يعلم أن صاحب الهوى ليس كافراً على الإطلاق، فأحياناً يكون كافراً، وأحياناً يكون فاسقاً عاصياً بحسب الهوى المتبع، وفيما قد اتبع.

قال ابن تيمية في صفة الهوى المكفر (الفتاوى: 359/8): فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، فهو لا يتأله من يستحق التأله، بل يتأله ما يهواه، وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم، ومحبة عباد العجل له، وهذه محبة مع اللـه لا محبة لله، وهذه محبة أهل الشرك، والنفوس قد تدعي محبة اللـه، وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع اللـه ا-هـ. وهذا النوع من الشرك قلَّ من يسلم منه في هذا الزمان.

[1] أقول: بل الأمر لم يقف عند الملوك والحكام وحسب، بل تعداهم إلى خاصة المسلمين وعامتهم في هذا الزمان!! فيُرى أحدهم يمارس السياسة وهو لا يبالي لو وقع في مخالفات ومزالق شرعية وعقدية صريحة!! وإذا ما سئل عن سبب مخالفاته فسرعان ما يجيب: هذه السياسة ومتطلباتها، فالسياسة من الدين، والوقوع في المخالفات الشرعية من لوازم السياسة المعاصرة!!

فالسياسة عندهم غاية يبرر لأجلها الوسائل!! بل إن كلمة السياسة أصبحت مبرراً لممارسة الكفر عند كثير من خاصة المسلمين وعامتهم!! من ذلك تناديهم بالديمقراطية، وبحكم الشعب والأكثرية، وبالانتخابات، والدخول في المجالس

وأحبار السُّوءِ، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، والمتضمنة تحليلَ ما حرم الله ورسوله، وتحريمَ ما أباحه، واعتبار ما ألغاهُ، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاقَ ما قيده، وتقييد ما أطلقه(1).

والرهبان وهم جهالُ المتصوفة، والمعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطالَ دينه الذي شرَعَهُ على لسان نبيه ε، والتعويض عن حقائق الإيمان بِخِدَعِ الشيطان، وحظوظِ النفس.

وقالوا: إذا تعارض الذوق وظاهر الشرع، قدمنا الذوقَ والكشف!!

وكلُّ من قال برأيه أو ذوقه أو سياسته -مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقولِ- فقد ضاه إبليس، حيث لم يُسَلِّم لأمر ربه، بل قال: **[أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين]** الأعراف:

يُطع الرسولَ فقد أطاعَ اللــهَ ومن تولَّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً] (1)
النسـاء:

قال ابنُ رشد، وهو من أعلم الناس بمذهب الفلاسفة ومقالاتهم، في كتابه (تهافت التهافت) [1]: (وَمَن الذي قال في الإلهيات شيئاً يُعتد به؟). وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخرُ أمرهِ إلى الوقفِ والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرَّسُول ε، فمات وصحيح البخاري على صدره. وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللَّذات:

وأرواحُنا في وحشةٍ من جسُومِنَا ... وحاصِلُ دُنيانا أذَى ووبال

ولم نَسْتَفِدْ من بحثنا طولَ عُمْرِنا ... سِوى أن جمعنا فيه: قِيلَ وقالوا

ولقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطُّرقِ طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: **[الرحمن على العرش استوى]** طه: 5. **[إليه يصعد الكَلِمُ الطيبُ]**[2] فاطر:

لا تشتغلوا بالكلام، فلو عَرَفتُ أن الكلامَ يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضتُ البحرَ الخضمَّ، وخلَّيتُ أهل الإسلام وعلومَهم، ودخلت في الذي نهَوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدةِ أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابُور[1]!

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي[2]، لبعض الفضلاء: ما تعتقدُ؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقنٌ به؟ فقال: نعم، فقال: أُشكُرِ الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقدُ، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضلَّت لحيتَهُ!.

وقال آخر[3]: أضطجِعُ على فراشي، وأضع الملحفَةَ على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلُعَ الفجرُ، ولم يترجَّح عندي منها شيء!!

-حكمُ أَهْلِ العلم في أَهْلِ الكلام-

لطلب العلم أن يصرف عزمه وهمته لطلب العلم من منبعه الصافي الأصيل؛ الكتاب والسنة، ويحرص على أن لا يشغله عنهما شاغل، أو يصرفه عنهما صارف، وإنها والله لمصيبة عظيمة أن يجد المرء نفسه في نهاية عمره العلمي فارغاً من العلم الصحيح لا يحمل منه إلا اسمه ورسمه، والعاقل من يعتبر بغيره.

(1) لأن عقائد العجائز والعامة من المسلمين لم تلوث بشبهات وأباطيل علم الكلام، وهم على بساطة علمهم، أسلم وأحكم إيماناً وعقيدة من علماء الكلام. وهذا يتطلب منا أن نشير إلى أمر، وهو أن كثيراً من الناس في هذا العصر يعرضون عن التفقه بالتوحيد ومتطلباته كما جاء في الكتاب والسنة متذرعين بمقولة: "أنهم على إيمان العجائز!! " مستدلين بما نقل عن هؤلاء المتكلمين، وهذا لا يجوز، ولا يصح أن يكون عذراً لجهل التوحيد، فأولئك عندما نشدوا إيمان العجائز نشدوه ليبينوا سوء علم الكلام وما أوصلهم إليه، وليس حتى يجتنب الناس التفقه بالتوحيد من مصادره الصحيحة، ويطلبوا إيمان العجائز والعوام!!.

(2) هو عبد الحميد بن عيسى الخسر وشاهي، نسبة إلى خسر وشاه، قرية بمرو، قال السبكي في "الطبقات" 161/8 : كان فقيهاً أصولياً متكلماً محققاً بارعاً في المعقولات، قرأ على الإمام فخر الدين الرازي، وأكثر الأخذ عنه.

(3) هو محمد بن سالم بن واصل الحموي، كما في درء تعارض العقل والنقل "165/1".

ومن يَصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه اللـهُ برحمته وإلا تزنـدق، كمـا قـال أبـو يوسف رحمه اللـه: من طلب الدين بـالكلام تزندق. وقـال الشافعي رحمه اللـه تعالى: حُكمي في أهل الكلام[1] أن يُضربوا بالجريد والنعـال، ويُطـاف بهم فـي القبائل والعشـائر، ويقـال: هذا جزاء من تـرك الكتابَ والسنةَ، وأقبل على الكلام. وقـال: لقد اطلعتُ من أهـل الكلام على شـيء ما ظننت مسلماً يقولُـه، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى اللـهُ عنه -ما خلا الشركَ باللـه -خير له من أن يُبتلى بالكلام. ا-هـ.

وتجدُ أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيكونـون فـي نهاياتهم -إذا سَلِمُوا من العذاب- بمنزلة أتباع أهلِ العلم من الصبيان والنساءِ والأعراب[2].

والدواء النـافعُ لمثل هذا المرض، يكمن فـي دعاء النبـي ع: "اللهمَّ ربَّ جبريـلَ وميكائيـل وإسـرافيل، فـاطِرَ السـماوات والأرض عـالِمَ الغيـب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم"[3].

---

(1) المراد بأهل الكلام: هم كل من تكلم في الإلـهيات والغيبيات وما يتعلق باللـه تعالى من خصائص وصفات، معتمدين على العقل، والمنطق، والفلسفة، بعيداً عن هدي الكتاب والسنة وفهم السَّلَف الصالح.

(2) فدل أن إيمان العجائز لا يصح أن يكون غاية ينشده الناس، أو أن يكون عذراً لجهل التوحيد.

(3) صحيح، أخرجه مسلم وغيره. قال الشيخ حافظ الحكمي في كتابه "اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة" يبين صفة الصراط المستقيم الذي أُمرنا بسلوكه من غير التفات إلى السبل الأخرى: الصراط المستقيم هو دين الإسلام الذي أرسل اللـه به رسله، وأنزل به كتبه، ولم يقبل من أحدٍ سواه، ولا ينجو إلا من سلكه، ومن سلك غيره تشعبت عليه الطرق، وتفرقت به السبل، قال اللـه تعالى: **[وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله]**.

وخط النبيُّ ع خطاً ثم قال: "هذا سبيل اللـه مستقيماً"، وخطَّ خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: "هذه السُبل ليس منه سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه"، ثم قرأ: **[وأن هـذا صراطـي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله]**.

قولُـه: "ولا يصـحُّ الإيمـانُ بالرؤيـة لأهـل دار السـلام لمـن اعتبرها[1] مـنهم بـوهمٍ، أو تأوَّلـها بفَهـمٍ، إذا كـان تأويل كُلِّ معنى يُضافُ إلى الربوبية، تَرْكَ التأويل[2]، ولـزومَ التسليمِ، وعليـه دينُ المسـلمين[3]، ومَـن لـم يتـوقَّ النفـيَ والتشـبيه، زَلَّ ولـم يُصِـبِ التنزيـهَ".

وقال ε: "ضرب اللـه مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ولا تفرقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود اللـه، والأبواب المفتحة محارم اللـه، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب اللـه، والداعي من فوق الصراط واعظ اللـه في قلب كل مسلم". رواه أحمد، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

ولا يتأتى سلوكه والسلامة من الإنحراف عنه إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، والسير بسيرهما والوقوف عند حدودهما، وبذلك يحصل تجريد التوحيد لله وتجريد المتابعة للرسول ε: **[من يطع اللـه والرَّسُول فأولئك مع الذين أنعم اللـه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً]**. وهؤلاء المنعم عليهم المذكورون ههنا تفصيلاً هم الذين أضاف الصراط إليهم في فاتحة الكتاب بقوله تعالى: **[إهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين]**، ولا أعظم نعمة على العبد من هدايته إلى هذا الصراط المستقيم، وتجنبه السبل المضلة ا-هـ.

قلت: ومنه تعلم خطأ من يستبطئ طريق الإسلام وهدي الأنبياء، ويستعجل الطرق القصيرة الملتوية للوصول إلى الغاية؛ كطريق الديمقراطية وما تفرزه من سبل شركية باطلة التي راجت في البلاد وعلى العباد، والتي على رأس كل سبيل منها شياطين الإنس والجن مجتمعة يزينون للعباد الولوج منه..!!

(1) أي اعتبر الرؤية تشبيهاً بوهم منه.

(2) أي التأويل الصحيح للرؤية وغيرها من المعاني التي تضاف إلى الرب I، يكون بترك التأويل الفاسد المخالف للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

(3) أي التسليم المنافي للنفي والتشبيه، والذي به يدين المسلمون.

ش: فيه ردٌّ على من يقول بنفي الرؤية، وعلى من يشَبِّه اللـهَ بشيء من مخلوقاته.

وقولُه: **"لمن اعتبرها منهم بوهم"**، أي توهم أن اللـه تعالى يُرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهاً، ثم بعد هذا التوهم إن أثبت ما توهمه من الوصف، فهو مشبه، وإن نفى الرؤيةَ من أصلها لأجل ذلك التوهم، فهو جاحد مُعطِّل، بل الواجبُ دفع ذلك الوهم وحده، وإثباتُ الحق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخُ رحمه اللـه تعالى بقوله: **"ومَن لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زلَّ ولم يصب التنزيه"** فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون اللـه بهذا النفي! فإن نفيَ الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم لا يُرى[1]، وإنما الكمالُ في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرَّائي له إدراك إحاطةٍ، كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمالٍ، وإنما الكمال في إثبات العلم ونفي الإحاطة به علماً، فهو سبحانه لا يُحاطُ رؤيةً، كما لا يُحاط به علماً.

وقولُه: **"أو تأولها بفهم"** أي: أدعى أنه فهم لها تأويلاً يُخالف ظاهرها، وما يفهمه كلُّ عربيٍّ من معناها، فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: أنه صَرْفُ اللفظ عن ظاهِره، وبهذا تَسَلَّط المحرِّفون على النصوص، وقالوا: نحن نؤوِّلُ ما يخالف قولَنا، فسموا التحريفَ: تأويلاً، تزييناً له، وزخرفة ليقبل، وقد ذم اللـه الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: **[وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضُهم إلى بعضٍ زُخرُفَ القولِ غروراً]** الأنعام:

رسُوله ε: هو الحقيقةُ التي يؤولُ إليها الكلام، فتأويل الخبر: هو عين المخبر به، وتأويل الأمر: نفس المأمور به. وأما ما كان خبراً عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يُعلَمُ تأويله، الذي هو حقيقته، إذْ كانت لا تُعلَم بمجرد الإخبار، فإنَّ المُخْبَرَ إن لم يكن قد تصور المخْبَرَ به، أو ما يعرفه قبل ذلك، لم يعرف حقيقته[1]، التي هي تأويلُه بمجرد الإخبار. وهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، لكن لا يلزَمُ من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصدَ المخاطِبُ إفهامَ المخاطَبِ إياه، فهذا معنى التأويل من الكتابِ والسنة وكلام السَّلَفِ، وسواءٌ كان هذا التأويل موافقاً للظاهِرِ أو مخالفاً له.

2- **التأويل عند كثير من المفسرين:** كابن جرير ونحوه يريدون به التفسير وبيان معناه، سواءٌ وافق ظاهِرَهُ أو خالف، وهذا التأويل كالتفسير، يُحمَدُ حَقُّه، ويُردُّ باطِلُه.

3- **التأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين:** هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالةٍ تُوجب ذلك. فالتأويل الصحيح منه: الذي

---

[1] مثال ذلك: جهنم وعذابها، فنحن نعلم معنى هذه الكلمة ومدلولاتها، ولكن لا نعلم حقيقة جهنم لأنه لم يسبق لنا رؤيتها ولا يوجد في دنيانا مثلها، لذا جاء في وصفها أن نار الدنيا جزء من سبعين جزء من نار جهنم، وأنَّى لنا أن ندرك حقيقة نارٍ تزيد سبعين ضعفاً عن مجموع نار الدنيا، وكذلك الجنة فإن فيها ما لا أذن سمعت، ولا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر، كما جاء ذلك في الحديث، وجنة هذا وصفها يعجز الإنسان عن معرفة حقيقتها وإن كان معنى الجنة ونعيمها الموصوف في القرآن الكريم معلوماً لدينا. وما يقال في المخلوق من هذا الوجه، فمن باب أولى أن يقال في الخالق I، فإن أسماء الله تعالى وصفاته معلومة لدينا معناها، لكن حقيقتها التي لها علاقة "بالكيف" فإننا نجهلها ولا يجوز الخوض أو حتى مجرد حديث النفس فيها، وإذا ثبت عجزنا وضعفنا عن معرفة حقيقة وكيفية المخلوق، فمن باب أولى أن نمسك عن الخوض في كيفية وحقيقة صفات الله تعالى، وهذا لا يمنع من إثبات المعنى الذي أراده الله تعالى من ذكر أسمائه وصفاته، فهناك فرق بين معرفة حقيقة الصفة وبين إثبات معنى الصفة، ولا يخلط بينهما إلا جاهل متشبه، أو متأول معطل.

يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة[1]، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد.

-ما يترتب على التأويل الفاسد من مزالق ومحاذير-

فيُقال لهم: هذا الباب الذي فتحتموه، فتحتم به عليكم باباً لأنواع المشركين والمبتدعين، ولا تقدرون على سده، فإنكم إذا سوغتم صرف القرآن عن دلالته المفهومَةِ بغير دليلٍ شرعيٍ، فما الضابِطُ فيما يَسوغُ تأويلُه وما لا يَسوغُ؟! فإن قلتم: ما دلَّ القاطِعُ العقليُّ على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه! قيل لكم: وبأي عقل نزنُ القاطِعَ العقلي؟! فإن القرمطي الباطني[2] يزعم قيام القواطع على بطلانِ ظواهرِ الشرع! ويَزعُمُ الفيلسوفُ قيامَ القواطِعِ على بُطلان حشرِ الأجسادِ! ويَزْعمُ المُعتزليُّ قيام القواطعِ على امتناع رؤية الله تعالى، وعلى امتناع قيام عِلمٍ أو كلامٍ أو رحمةٍ به تعالى!! وباب التأويلات التي يَدَّعي أصحابُها وجوبَها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في هذا المقام ويلزم حينئذ محذوران عظيمان:

أحدهما: أن لا نقر بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل، وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدَّعون أن
العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤولُ الأمرُ إلى الحيرة.

الثاني: أن القلوب تتخلى عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرَّسُول، إذ لا يُوثَقُ بأن الظاهِر هو المراد والتأويلاتُ مضطربة، فيلزم عزل الكتاب

---

[1] الكتاب والسنة يدلان دائماً على الإحتمال الراجح للفظ وليس المرجوح، لذا فهذا النوع من التأويل لا يوافق الكتاب والسنة في أي وجه من الوجوه، وإن كان صاحبه قد يكون له أجر لاجتهاده.

[2] القرامطة: نسبة إلى حمدان القرمط أحد دعاتهم الأوائل، من أصولهم تحريف الدين وتأويل ظواهر الشرع وصرفها إلى رموز باطنية، غايتها إسقاط التكاليف عن العباد وإباحة المحرمات والمحظورات، وهدفهم من ذلك هدم أركان الدين، قال عنهم ابن تيمية في منهاج السُّنَّة (258/8): هم ملاحدة في الباطن، خارجون عن جميع الملل، أكفر من الغالية، ومذهبهم مركب من مذهب المجوس والصابئة والفلاسفة، مع إظهار التشيع، وجدهم رجل يهودي كان ربيباً لرجلٍ مجوسي، وقد كانت لهم دولة وأتباع ا-هـ. وانظر "فضائح الباطنية" لأبي حامد الغزالي، فستجد من فضائحهم ومخازيهم وأخبارهم العجب العجاب.

والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ اللهُ به العباد. ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد[1]، إن وافقت ما ادّعوا أن العقل دل عليه، وإن خالفته أوَّلوه[2]! وهذا فتحُ باب الزندقة والإنحلال.

-مرض الشُّبهةِ أشدُّ خطراً من مرض الشهوة-

أمراضُ القلوب نوعان: مرضُ شُبهةٍ، ومرض شهوة، وكلاهما مذكور في القرآن، قال تعالى: **[فلا تخضَعْنَ بالقول فيطمعَ الذي في قلبه مرضٌ]** الأحزاب:

-التشبيه نوعان-

فإن التشبيه نوعان: تشبيهُ الخالق بالمخلوق، وهذا الذي يتعبُ أهلُ الكلام في ردِّه وإبطاله، وأهلُه في الناس أقلُّ من النوع الثاني الذين هم أهلُ تشبيه المخلوق بالخالق(1)، كعُبَّادِ المسيح، وعُزير، والشمس والقمر، والأصنام،

تقرَّأ فدخل في التشيع، فسمعت حبيب بن أبي ثابت وهو يقول: لأنت يوم كنت تقاتل وتفعل ما تفعل خير منك اليوم.

وعن أبي إدريس الخولاني أنه كان يقول: لأن أسمع بناحية المسجد بنارٍ تحترق أحب إليّ من أن أسمع فيه ببدعة ليس لها مغير، وما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله بها عنهم سنة.

(1) وهو كما قال المصنف رحمه الله، فإن القوم ينشغلون إلى حد المبالغة بشرك تشبيه الخالق بالمخلوق مع انعدامه، ويتوسعون في ذلك إلى أن يقعوا في شر التعطيل المنافي لاثبات الصفات، بينما تراهم يغضون الطرف -رهبة أو رغبة- عن شرك تشبيه المخلوق بخصائص الخالق سبحانه، رغم وجوده، وسعة انتشاره، وتعدد الطواغيت التي تستشرف خصائص الإلهية وتُقر عليها من قبل جماهير الناس، وكأن هذا النوع من الشرك لا يعنيهم، ونصوص الشريعة لا تطاله ولا تشمله!

فكم من إلهٍ أصبحت ألوهيته مألوفة لدى جماهير الناس، والويل كل الويل لمن ينكر عليها أو يعاديها، فهي في نظر دعاتها ومروجيها ثوابت لا يمكن تجاوزها أو التعقيب عليها، فالوطن عندهم إله يُعبد من دون الله، وعلى أساس الانتماء إليه تقسم الحقوق والواجبات، ويعقد الولاء والبراء، والقوم والقومية إله، والعشيرة إله، والإنسانية إله، والإنسان إله، والشعب إله، والأكثرية في عرف الديمقراطية والديمقراطيين إله، والمجالس التشريعية النيابية إله، والدساتير الوضعية إله، والثورة إله، والأحزاب في بعض صورها إله، والطاغوت الحاكم إله، ومجلس الأمم إله، والجندي المجهول إله، والعَلَم إله... فهذه وغيرها كثير من الآلهة التي تُعبد من دون الله ولو في وجه أو مجال من مجالات العبادة، ومع ذلك فهي لا تلفت نظر القوم -الدعاة!!- وكأن الأمر لا يعنيهم ولا يخصهم وهم يتحركون نحو التغيير والبناء. علماً أن دعوة الأنبياء والرسل جميعهم اجتمعت على تحقيق إخلاص العبادة لله تعالى، والكفر بكل طاغوت مألوه يدعي لنفسه شيئاً من خصائص الله تعالى، كما قال تعالى: **[ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت]** النحل: 36. وقال تعالى: **[وما**

والملائكة، والنار، والماء، والعِجْلِ، والقبورِ، والجن، وغير ذلك. وهؤلاء همُ الذين أُرسلت إليهم الرُّسلُ يدعونهم إلى عبادة اللـه وحدَه لا شريك له.

قولُه: "فإن ربَّنا جلَّ وعَلا موصُوف بصفاتِ الوحدانيَّةِ منعوتٌ بنعوت الفردانيَّةِ، ليس في معناهُ أحد في البريَّةِ"(1).

ش: فقولُه: **"موصوف بصفات الوحدانية"** مأخوذ من قوله تعالى: **[قل هو اللـه أحد]** وقوله: **"منعوت بنعوت الفردانية"** من قوله: **[اللـه الصمد لم يلد ولم يولد]**. وقوله: **"ليس في معناه أحد من البرية"** من قولـه تعالى: **[ولم يكن لـه كفواً أحد]**. والوصف والنعت مترادفان، وقيل: فالوصف للذات، والنعت للفعل، وكذلك الوحدانية والفردانية. وقيل الفرق بينهما: إن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو تعالى مُوحَّدٌ في ذاته، مُنفردٌ بصفاته. و**[ليس كمثلـه شيء]** الشورى:

ش: للناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثَة أقوال: فطائفةٌ تنفيها، وطائفةٌ تثبتها، وطائفةٌ تفصل، وهم المتبعون للسلف، لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمالٌ وإبهام، فليس كُلُّهم يستعمِلها في نفس المعنى اللغوي، ولهذا كان النُفاةُ ينفون بها حقاً وباطلاً، وبعض المثبتين لها يُدخِلُ فيها معنى باطلاً مخالفاً لقول السَّلَف.

-الإعتصام بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة-

ليس لنا أن نصِفَ اللهَ تعالى بما لم يصفْ به نفسَهُ، ولا وصفَه به رسولُه نفياً ولا إثباتاً، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون. **فما أثبته اللـه ورسولُه أثبتناه، وما نفاه اللـهُ نفيناه**، والألفاظ التي ورد بها النصُّ يُعتصم بها في الإثبات والنفي. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، فلا تُطلَقُ حتى يُنظرَ في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحاً قُبِلَ، لكن ينبغي التعبيرُ عنه بألفاظ النصوص دونَ الألفاظِ المجملَةِ إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المرادَ والحاجَةَ.

والشيخُ رحمه اللـه أراد الرد بهذا الكلام على المشبِّهة، القائلين: إن اللـهَ جسمٌ، وإنه جُثةٌ وأعضاء، وغير ذلك! تعالى اللـه عما يقولون علواً كبيراً.

اللـه سبحانه، ولا يعلمه العباد. وأما **"الغايات والأركان والأعضاء والأدوات"**، فمراده رحمه اللـه تنزيهه عن مشابهة المخلوقات في حكمته وصفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم ونحو ذلك، فهو سبحانه موصوف بذلك لكن ليست صفاته مثل صفات الخلق، ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم اللـه بها وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق. والمؤلف الطحاوي رحمه اللـه لم يقصد هذا المقصد؛ لكونه من أهل السُّنَّة المثبتين لصفات اللـه، وكلامه في هذه العقيدة يفسر بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، ويفسر مشتبهه بمحكمه، وهكذا قوله **"لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات"** مراده الجهات الست المخلوقة، وليس مراده نفي علو اللـه واستواءه على عرشه؛ لأن ذلك ليس داخلاً في الجهات الست بل هو فوق العالم ومحيط به، وقد فطر اللـه عباده على الإيمان بعلوه سبحانه وأنه في جهة العلو، وأجمع أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب النبي ε وأتباعهم بإحسان على ذلك، والأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة كلها تدل على أنه في العلو سبحانه ا-هـ.

فالمعنى الذي أراده الشيخ من النفي الذي ذكره هنا حق، ولكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقاً وباطلاً فيحتاج إلى بيان ذلك.

-اللـه تعالى لا تُحَدُّ صفاتُه بشيءٍ، وهو بائنٌ عن خلقه-

السلفُ متفقون على أن البشرَ لا يعلمون لله حداً، وأنَّهم لا يَحدِّون شيئاً من صفاته. قال أبو داود الطيالسي: كان سفيان، وشعبة، وحمادُ بن يزيد، وحماد بن سلمه، وشريك، وأبو عوانه، لا يَحدِّون ولا يُشبِّهون ولا يمثلون، يروون الحديث، ولا يقولون: كيف، إذا سُئلوا قالوا بالأثر. فعُلِمَ أن مُراده[1]: أن اللـه يتعالى عن أن يُحيطَ أحدٌ بحده، لا أنه غير متميزٍ عن خلقه، منفصل عنهم، مباينٌ لهم. سُئل عبد اللـه بن المبارك: بما نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائنٌ من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد[2]. ومن المعلوم أن الحدَّ يُقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به غيره، واللـه تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم بنفسه، المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى ليس وراء نفيه إلا نفي وجوب الرب، ونفي حقيقته[3].

وأما الحدُّ بمعنى العِلْمُ والقول، وهو أن يحدَّه العبادُ، فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السُّنَّة.

-لفظُ الأركان والأعضاء والأدوات-

أما لفظُ الأركانِ والأعضاء والأدوات، فيستدلُّ بها النُفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية، كاليد والوجه قال أبو حنيفة في (الفقه الأكبر): له يدٌ ووجهٌ ونفسٌ، كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يُقال: إن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة. ا-هـ.

وهذا الذي قاله الإمام τ ثابتٌ بالأدلة القاطعة. قال تعالى: **[ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدي]** ص:

ما في نفسي ولا أعلم ما فـي نفسك] المائـدة

الثاني: أن قوله: **"كسائر المبتدعات"** يُفهم منه أنه ما من مُبتدَعٍ إلا وهو محويٌّ وفي هذا نظر[1].

قولُه: "والمعراجُ حقٌّ، وقد أُسرِيَ بالنبي ε وعُرِجَ بشخصه في اليقظة، إلى السماء، ثم إلى حيثُ شاء اللـهُ من العُلاَ، وأكرمَهُ اللـهُ بما يشاء، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذَبَ الفؤادُ ما رأى. فصلى اللـه عليه في الآخرةِ والأولى".

ش: "المعراج" مفعال، من العروج، أي: الآلة التي يُعرج فيها، أي يصعد، لكن لا نعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته.

-ثبوتُ الإسراء والمعراج لنبينا ε، باليقظة بروحه وجسده، ومرة واحدة-

اختلف الناس في الإسراء، فقيل: كان الإسراء بروحه، ولمْ يُفْقَد جَسَدُه. وقيل: كان الإسراء مرتين، مرة يقظةً، ومرة مناماً. وقيل: مرة قبل الوحي ومرة بعده! ومنهم من قال: بل ثلاثَ مرات: مرةً قبل الوحي، ومرتين بعده!!

والذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، قبل الهجرة بسنةٍ، وقيل: بسنةٍ وشهرين، ذكره ابن عبد البر. قال ابن القيم: ياعجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مراراً! وكيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً، فيقول: "أمضيتُ فريضتي، وخففت عن عبادي"، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يَحطُّها إلى خمس؟![2] ا-هـ.

---

[1] أي لا يصح على إطلاقه، لأنه يستلزم التسلسل إلى ما لا نهاية، بمعنى أن ما من مخلوق إلا وهو محاط بمخلوق آخر إلى ما لا نهاية! وهذا لا يجوز التسليم به.

[2] أقول: بل أكثر كلام الشارح عن الإسراء والمعراج، هو من كلام ابن القيم، وحتى حديث الإسراء فقد نقله الشارح عن ابن القيم من كتابه زاد المعاد (3/34-42).

ومن حديث الإسراء: "أنه ε أُسرِيَ بجسده في اليقظة على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق، صحبه جبريل υ، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد. ثم عُرِجَ به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل، ففتح له، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأى فيها يحي بن زكريا، وعيسى ابنَ مريم، فلقيهما فسلم عليهما فردا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم رُفع إلى سدرة المنتهى، ثم رُفِعَ له البيتُ المعمورُ، ثم عُرِج به إلى الجبار جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى[1]، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بما أُمرت؟ قال: بخمسين صلاة، فقال: إن أُمّتك لا تطيق ذلك، إرجع إلى ربّك، فاسْأله التخفيف لأمّتك، فالتفتَ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار أن: نعم، إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه -هذا لفظ البخاري في صحيحه، وفي بعض الطرق- فوضع عنه عشراً، ثم نزل حتى مَرَّ بموسى فأخبره، فقال: إرجع إلى ربك فاسألْه التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين اللــه تبارك وتعالى، حتى جعلها خمساً، فأمره موسى

---

[1] قال الشيخ ناصر: إن الدنو المذكور في هذا السياق، هو من رواية شريك بن عبد اللــه ابن أبي نمر الذي غلّطه الحفاظ في ألفاظ من حديث الإسراء كما ذكر المؤلف آنفاً، ومن ذلك هذا اللفظ كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسير (الإسراء). ومن قبله البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص 440-442). ا-هـ.

بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربي ولكن أرضَ وأسلم، فلما نَفَذَ، نادى منادٍ: قد أمضيتُ فريضتي وخَفَّفْتُ عن عبادِي"[1].

ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة، قوله تعالى: **[سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى]** الإسراء: 1. والعبد عبارة عن مجموعة الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح.

-ترجيحُ رؤيةِ النبي ε لربه بقلبه، دونَ عينه-

قد تقدم ذِكرُ اختلاف الصحابة في رؤيته ε ربَّه عز وجل بعين رأسه، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه، وقولُه: **[ما كذب الفؤاد ما رأى]** النجم:

من أمتـي، فيقـال: إنـك لا تـدري مـا أحـدثوا بعـدك"[1]. وقـال ε: "أنـا فَرطُكم على الحوض"[2] وقال: "إنـي فَرطُكم علـى الحـوض، مـن مرَّ علـيَّ، شَرِبَ ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردَنَّ علـيَّ أقوامٌ، أعرِفُهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم"[3]. والفَرط: الذي يسبق إلى الماء.

والـراجح أن الحـوض فـي العَرَصَـات قبـل الصـراط، لأنـه يُختلَجُ عنـه، ويُمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

-صفات الحوض ملخصة من الأحاديث الواردة-

يـتلخص مـن الأحاديـث الـواردة فـي صـفة الحـوض: انـه حـوضٌ عظـيم وموردٌ كريم، يُمَدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرَدُ من الثلج، وأحلـى مـن العسل، وأطيبُ ريحـاً مـن المسك، وهو في غاية الإتساع، عَرْضُه وطولُه سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، فسبحان الخالق الذي لا يُعجزه شيء. وقد ورَدَ في أحاديث: "إن لكل نبيٍّ حوضاً وإن حوضَ نبينا ε أعظمُها وأجلها وأكثرها وارِداً"[4]. جعلنا اللـه منهم بفضله وكرمه.

قولُـه: "والشـفاعةُ التـي ادَّخرهـا لهـم حـق، كمـا رُوي فـي الأخبار".

ش: عن أبـي هريـرة τ، قـال: قـال رسـولُ اللــه ε: "أنـا سيدُ النـاسِ يومَ القيامـة، وهـل تـدرون مـم ذاك؟ يجمـع اللــه الأولـين والآخـرين فـي صـعيد واحدٍ، فيقول بعض النـاس لبعض: ألا تـرون مـا أنتم فيـه؟ ألا تـرون مـا قد بلغكم؟ ألا تنظـرون مـن يشـفع لكـم إلـى ربكـم؟ فيقـول بعضُ النـاس لـبعضٍ: أبـوكُم آدمُ، فيـأتون آدَمَ، فيقولـون: يـا آدم، أنـت أبـو البشـر، خلقكَ اللــهُ بيده، ونفخَ فيك من رُوحـه، وأمـر الملائكـةَ فسجدوا لـك، فاشفع لنـا إلـى ربـك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فيقول آدم: إن ربـي قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبله مِثْلَهُ، ولن يغضب بعده مثلَهُ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُ، نفسي نفسي نفسـي، اذهبوا إلـى غيـري، اذهبـوا إلـى نـوحٍ، فيـأتون

---

[1] أخرجه أحمد، ومسلم.

[2] متفق عليه.

[3] متفق عليه.

[4] حسن، أخرجه الترمذي، انظره في السلسلة الصحيحة: (1589).

نوحاً، فيقولون: يانوح، أنت أولُ الرسُلِ إلى أهل الأرض، وسماك اللـهُ عبداً شكوراً فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلَغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليومَ غضباً لم يغضب قبله مِثلَه، ولن يغضب بعده مِثلَه، وإنه كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي اللـه وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليومَ غضباً لم يغضب قبله مثلَه، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته[1]، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: ياموسى، أنت رسولُ اللـه، اصطفاك اللـه برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليومَ غضباً لم يغضب قبله مثلَه ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول اللـه وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه -قال: هكذا هو- وكلمتَ الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غَضِبَ اليوم غَضباً لم يغضب قبلَه مِثلَه، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ε، فيأتوني، فيقولون: يامحمدُ، أنت رسول اللـه، وخاتم الأنبياء، غفر اللـه لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلغنا؟ فأقومُ فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي Y، ثم يفتح اللـه علي، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يامحمد، ارفع رأسك، سل تُعطَه، اشفَعْ تُشفَّع، فأقول: يارب أمتي أمتي، يارب أمتي أمتي، يارب أمتي أمتي، فيقال: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب"[2].

---

[1] هي ثلاث كذبات: قوله: (إني سقيم)، وقوله: (فعله كبيرهم)، وقوله: لجبار من الجبابرة عن سارة أنها أخته.

[2] متفق عليه.

وممن يشفع لهم النبي ε يوم القيامة، شفاعَتُه في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النارَ، فيخرجون منها، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون[1].

---

[1] الشفاعة هي ملك لله وحده، ولا تكون إلا بإذنه، ولمن يأذن لهم بالشفاعة ورضي لهم قولاً، والذي يعتقد في الشفيع أن له سلطة مستقلة تمكنه من مشاركة اللـه تعالى في الشفاعة، فيشفع من غير إذن ولمن يريد فهو كافر مشرك، وقد اعتقد عقيدة أهل الشرك في الصالحين والأنبياء، حيث ظنوا فيهم سلطة تقربهم إلى اللـه زلفا، وتمكنهم من الشفاعة لهم.

قال الشيخ حافظ الحكمي في كتابه أعلام السنة: قد أثبت اللـه Y الشفاعة في كتابه في مواضع كثيرة بقيود ثقيلة وأخبرنا تعالى أنها ملك له، ليس لأحد فيها شيء فقال تعالى: **[قل لله الشفاعة جميعاً]**، فأما متى تكون، فأخبرنا Y أنها لا تكون إلا بإذنه، كما قال تعالى: **[من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه]**، **[ما من شفيع إلا من بعد إذنه]**، **[وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن اللـه لمن يشاء ويرضى]**، **[ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له]**. وأما ممن تكون فكما أخبرنا تعالى أنها لا تكون إلا من بعد إذنه، أخبرنا أيضاً أنه لا يأذن إلا لأوليائه المرتضين الأخيار كما قال تعالى: **[لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا]** وقال: **[لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا]** وأما لمن تكون فأخبرنا أنه لا يأذن أن يُشفع إلا لمن ارتضى، كما قال تعالى: **[ولا يشفعون إلا لمن ارتضى]**، **[يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً]**، وهو سبحانه لا يرتضي إلا أهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم فقال تعالى: **[ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع]** وقال تعالى عنهم: **[فما لنا من شافعين ولا صديق حميم]**، وقال تعالى فيهم: **[فما تنفعهم شفاعة الشافعين]**. وقد أخبرنا النبي ε أنه أوتي الشفاعة، ثم أخبرنا أنه يأتي فيسجد تحت العرش، ويحمد ربه بمحامد يعلمه إياها لا يبدأ بالشفاعة أولاً حتى يقال له: "ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفَّع" الحديث.

ثم أخبر أنه لا يشفع في جميع العصاة من أهل التوحيد دفعة واحدة بل قال: "فيُحد لي حداً فأدخلهم الجنة"، ثم يرجع فيسجد وكذلك فيحد له حداً إلى آخر حديث الشفاعة.

وقال له أبو هريرة τ مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: "من قال لا إله إلا اللـه خالصاً من قلبه". ا-هـ.

عن أنس قال: قال رسول الله ε: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[1].

ومن حديث أنس أيضاً: "فيُقال: يامحمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، واشفع تشفَّع، وسلْ تُعطَه، فأقول: يارب، أمتي أمتي، فيقال: إنطلق فأخرج من كان في قلبه مثقالُ شعيرةٍ من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخِرُّ له ساجداً، فيُقال: يامحمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، واشفع تشفع، وسلْ تُعطه، فأقول: يارب، أمتي أمتي، فيقال: إنطلق فأخرج من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ، أو خردَلةٍ من إيمان، فأنطلق فأفعل[2]، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقول: يامحمد، ارفع رأسك وقل يُسمع لك، وسلْ تُعطه، واشفع تشفع، فأقول يارب أمتي أمتي، فيقول: إنطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان،

---

[1] صحيح، وله شواهد، "المشكاة" (5598-5599). أقول: يستثنى من أهل الكبائر اثنان فلا تنالهما شفاعة الرسول ε: الإمام الظلوم الغشوم، والغالي في الدين المارق منه، كما جاء ذلك في قوله ε: "رجلان ما تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشومٌ وآخر غالٍ في الدين مارق منه". الحديث: رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج: (141) ثم من كان من أهل الكبائر، يشترط فيه أن يكون من أهل التوحيد، وأن لا يكون قد ختم له بالكفر والشرك، فإن شفاعة نبينا ε هي نائلة لأهل الكبائر من أهل التوحيد، كما في قوله ε: "أُعطيت الشفاعة وهي نائلة من لا يشرك بالله شيئاً" وقوله: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من نفسه". أما من مات على الشرك فهو لا تنفعه شفاعة الشافعين، وهو خالد في نار جهنم أبداً، كما قال تعالى: **[إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء]** النساء: 48.

[2] إنه رسول الله الذي عُرف في الدنيا بشدة قلقه وحرصه على سلامة أمته، وهداية الناس، وشدة همه وحزنه إذا ما أصاب المسلمين مكروه، وهو كذلك شأنه في الآخرة فلا يستريح حتى تستريح أمته، ولا يطيب له المقام في نعيم الجنة العظيم حتى تدخل جميع أمته الجنة! وها هو لا يهدأ له بال ما دام واحد من أمته في النار .. ويكفي نبينا صلوات ربي وسلامه عليه، وصف ربه له: **[لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم]** التوبة: 128. اللهم صل على سيدنا وحبيبنا وأسوتنا وعبدك ورسولك محمد، عدد خلقك ورضى نفسك، وزِنَةَ عرشك، ومِداد كلماتك، وسلم تسليماً كثيراً.

فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال: يامحمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تُعْطَه، واشفع تشفع، فأقول: يارب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقال: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأُخرِجَنَّ منها من قال: لا إله إلا الله[1]" رواه البخاري.

ومن حديث أبي سعيد مرفوعاً، قال: "فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفَعَ النبيُّون، وشَفَعَ المسلمون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطَّ[2]"[3].

-حكم التوسل بالأنبياء والصالحين إلى الله تعالى-

فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك؛ أو بحق فلان، يقسم على الله بأحدٍ من مخلوقاته، فهذا محذورٌ من وجهين: أحدهما: أنه أقسم بغير الله. والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقَّاً. ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقَّهُ على نفسه، كقوله تعالى: **[وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين]** الروم:

اللـه على عباده؟ قال: قلت: اللـه ورسوله أعلم، قال: حقَّه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقُّ العبادِ على اللـه إذا فعلوا ذلك؟ قلت: اللـه ورسوله أعلم، قال: حَقُّهم عليه أن لا يعذِّبَهَم"[1]. فهذا حقٌّ وجب بكلماته التامة ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه يستحق على اللـه شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق.

وإن كان مُرادُه الإقسام على اللـه بحق فلان، فذلك محذور أيضاً، لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟! وقد قال ε: "من حلف بغير اللـه فقد أشرك"[2]. ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه ψ: يُكره[3] أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، ونحو ذلك. وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، لم ينقل عن النبي ε، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة ψ. والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع.

وتارة يقول: بجاه فلان عندك، أو يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده: لأن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة، فأجب دعاءنا، وهذا أيضاً محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ε لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يُؤمِّنُون على دعائه[4]، كما في

---

[1] متفق عليه. قلت: حق اللـه على العباد أن يعبدوه العبادة بمعناها العام والشامل لجميع ما يحبه اللـه من الأعمال الظاهرة والباطنة، والبراءة من كل ما ينافيها، والعبادة بهذا المعنى والشمولية قلَّ من يوفيها حقها وبخاصة في زمان تزاحم الآلهة المزعومة التي تستشرف خصائص الإلهية والربوبية.

[2] صحيح، رواه أحمد، والحاكم وصححه. قلت: الحلف بغير اللـه تعالى نوعان: عادة، وعبادة، فما كان منه عادة كحلف المرء بأبيه، أو قوله وحياتك ونحو ذلك مما اعتاده الناس فهو شرك أصغر. وما كان منه يطلق على وجه العبادة والتعظيم للمحلوف به فهو شرك أكبر يخرج صاحبه من الملة، وكلا النوعين قد دلت عليهما النصوص الشرعية.

[3] الكراهة هنا تحمل على التحريم.

[4] عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر، أتى النبيَّ ε، فقال: ادع اللـه أن يعافيني، قال: "إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خيرٌ لك". قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك

الاستسقاء وغيره، فلما مات ε، قال عمر τ -لما خرجوا يستسقون-: "اللهم إنا كنا إذا أُجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيَنا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا"[1] معناه بدعائه هو ربَّهُ وشفاعتِه وسؤاله، ليس المراد أن نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ε أعظم وأعظم من جاه العباس.

-التوسُّل المشروع-

وتارة يقول: باتباعي لرسولك ومحبتي له، وإيماني به وبسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم، ونحو ذلك، فهذا من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والإستشفاع. كما في حديث الثلاثة الذين أَوَوْا إلى الغار، فإن الصخرة انطبقت عليهم فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة، وكل واحد منهم يقول: فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرُج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرةُ فخرجوا يمشون[2]. فهؤلاء دعَوا اللهَ بصالح الأعمال،

وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيَّ" وفي المسند للإمام أحمد زيادة: "وشفعني فيه"، قال: ففعل الرجل فبرأ، الحديث رواه الترمذي وغيره، وهو صحيح. وقوله: "فشفعني فيه" لهو دليل أن المراد بالشفاعة هو طلب الدعاء وليس التشفع بالذات، وإلا كيف يكون الرجل الضرير شفيعاً للنبي ε؟! فعلم أن المراد هو الدعاء، أي: اللهم اقبل دعاء النبي ε فيَّ، واقبل دعائي فيه. وهذا المعنى يدل عليه أول الحديث وهو قوله ε: "إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ". وهذا الحديث رغم وضوح دلالاته ومعانيه إلا أنه استغل استغلالاً سيئاً من قبل أهل الأهواء والبدع، حيث اعتبروه دليلاً على صحة كثير من إطلاقاتهم وتعبيراتهم الشركية والبدعية!!.

[1] لو كان المراد بالتوسل بالذات، لما حاد الصحابة عن النبي ε بعد مماته وتوسلوا بغيره، لأن ذات النبي ε -حياً وميتاً- لا يفضلها ذات مخلوق، ومنه نعلم أن التوسل كان بالدعاء.

[2] متفق عليه. وتمام الحديث كما في صحيح البخاري، عن ابن عمر، عن النبيِّ ε قال: "خرجَ ثلاثةُ نفَرٍ يمشون فأصابهم المطرُ، فدخلوا في جبلٍ، فانحطَّتْ عليهم صخرةٌ، فقال بعضُهم لبعضٍ ادعو اللهَ بأفضلِ عملٍ عَمِلْتُمُوه. فقال أحدُهم: اللهمَّ إني كان لي أبوانِ شيخان كبيران، فكنت أخرجُ فأرعى، ثمَّ أجيءُ فأحلُبُ، فأجيءُ بالحِلابِ فآتي به أبوَيَّ فيشرَبان، ثمَّ أسقي الصبيَةَ وأهلي

لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى اللـه، ويتوجه به إليه، ويسأله به.

-الشفاعَةُ عند اللـه ليست كالشفاعة عند البشر-

فإن الشفيعَ عند البشر كما أنه شافِعٌ للطالب شفَعَهُ في الطلب، بمعنى أنه صار به شَفْعَاً فيه بعد أن كانَ وِتْراً، فهو أيضاً قد شَفَعَ المشفُوعَ إليه[1]، فبشفاعته بعد أن كان وِتْراً، فهو أيضاً قد شَفَعَ الطالِبَ والمطلوبَ منه، واللـه تعالى وِتْرٌ، لا يشفَعُهُ أحدٌ[2]، فلا يشفَع عنده أحدٌ إلا بإذنه، فالأمر كله لله، كما قال تعالى: **[قل إن الأمرَ كله لله]** آل عمران:

ياعباس عمَّ رسول اللـه، لا أملِكُ لك من اللـه شيء"[1]. فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص النـاس بـه: "لا أملك لكم من اللــه من شـيء" فما الظن بغيره[2]؟!

قولُه: "والميثاقُ الذي أخذَهُ اللـهُ تعالى من آدَمَ وذرِّيـَّتِـهِ حَقٌّ".

ش: قـال تعـالى: **[وإذ أخـذ ربُّـكَ مـن بنــي آدَمَ مـن ظهـورهم ذريَّـتَهُم وأشهدَهُم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يومَ القيامة إنا كنا عن هذا غافلين]**[3]. يخبر سبحانه أنـه استخـرج ذريَّـةَ بنــي آدم مــن أصلابهم شاهديـن علـى أنفسهم أن اللـهَ ربَّهم ومليكُهم، وأنه لا إله إلا هو.

وعن ابن عباس، عن النبي ε، قال: "إن اللـه أخذ الميثاق من ظهر آدم υ بنعمان -يعني عرفه- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرَأَها، فنثرها بين يدَيه، ثـم كلَّمَهُـم قُـبُلاً، قـال: **[ألسـتُ بـربكم قــالوا بلــى شــهدنا]** إلــى قولــه: **[المبطلون]**"[4].

وعن أنس بن مالك، عن النبي ε، قـال: "يُقـال للرجل من أهل النـار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنت مفتدياً بـه؟ قـال:

---

(1) متفق عليه.

(2) في ذلك موعظة للصوفيين وغيرهم، الذي يتجهون إلى المخلوق من دون اللـه تعالى، ويطلبون منه المدد والعون، ويستغيثون به في الملمات!! قال تعالى: **[ولا تدع من دون اللـه ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظـالمين، وإن يمسسك اللـهُ بضرٍّ فلا كاشف له إلا هو وإن يـردك بخير فلا راد لفضلـه يصيب به من يشـاء من عبـاده وهو الغفور الرحيم]** يونس 106-107. وقولـه تعـالى: **[فإنك إذاً من الظالمين]** أي من المشركين، فالظلم يطلق أحياناً ويراد منه الشرك الأكبر كما هو في هذه الآية.

(3) إلى قوله تعالى: **[أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنـا ذريـةً مـن بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون]** الأعراف: 172-173. وهاتان الآيتان دليل علـى أن اللـه أشهد بني آدم على توحيد الربوبيـة والألوهيـة، ولـيس علـى توحيد الربوبيـة فقط كما يشير البعض، وأن هذا الميثاق حجة عليهم يوم القيامة، يحسم أعذارهم، ولكن قضت حكمة اللـه تعالى ورحمته أن لا يعذب أحداً إلا بعد قيام حجة الأنبياء والرسل عليه.

(4) رواه النسائي، وأحمد، وابن جرير، والحاكم في المستدرك. قال الشيخ ناصـر: صحيح، لطرقه وشواهده.

فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهونَ من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تُشرك بي شيئاً، فأبيتَ إلا أن تُشرك بي[1]" متفق عليه.

-التوحيد أمرٌ فطري، والشرك مكتسبٌ طارئ-

ولا شك أن الإقرارَ بالربوبية أمرٌ فطري، والشركَ حادثٌ طارئ، والأبناء تقلَّدوه عن الآباءِ[2]، فإذا احتجُّوا يومَ القيامة بأن الآباءَ أشركوا،

---

[1] واضح أن هذا الميثاق حجة على بني آدم يوم القيامة، ممن قارَف منهم الشرك ولا عذر لهم بتقليد الآباء ومواكبة العادات السائدة في المجتمع، أو أنهم كانوا عن هذا الميثاق غافلين. فإن قيل كيف التوفيق بين هذا وبين كون المرء لا يعذب إلا بعد بلوغ نذارة الرسل؟ أقول: الميثاق حجة من حجج الله تعالى على عباده، كحجة الفطرة، وحجة الآيات التي أودعها الله تعالى في النفس البشرية وفي الكون، وهم يحاجون بها يوم القيامة ويُفاتشون، ولكن العذاب فإن حكمة الله ورحمته قضت أن لا يكون إلا بعد بلوغ نذارة الرسل وجحدها ومعاندتها والإعراض عنها، زيادة في قيام الحجة وتبكيتاً لأعذارهم. كما قال تعالى: **[وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً]**.

وقوله تعالى لأهون أهل النار عذاباً: "قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تُشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك، فيؤمر به إلى النار". لايفهم منه أن أهون أهل النار عذاباً أمر به إلى النار لمجرد مخالفته لحجة الميثاق قبل أو من دون قيام حجة الرسل عليه، وبخاصة أن أهون أهل النار عذاباً هو "أبو طالب" كما في صحيح مسلم: "أهون أهل النار عذاباً أبو طالب". وأبو طالب لاشك أنه قد بلغته نذارة الرسل، وأقام عليه الحجةَ شخصُ النبي ε، فأبى إلا الشرك. فإذا كان هذا الذي هو أهون أهل النار عذاباً، قد بلغته نذارة الرسل، فمن باب أولى من كان أشد منه عذاباً، أن تكون نذارة الرسل قد بلغته فقابلها بالجحود والعناد. ولكن فهم إضافة إلى حجة الرسل -الذي يُعقد العذاب والحساب على أساسها- محجوجون بحجة الميثاق وغيره من الحجج، والمسألة قد أوفيناها بحثاً في كتابي: (العذر بالجهل وقيام الحجة) فليراجع.

[2] كما في قوله ε: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". وفي رواية: "كل مولود يولد على الملة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويشركانه". وفي الحديث القدسي: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ..." وقوله: "حنفاء"، قال النووي في الشرح: أي مسلمين ا-هـ. بقي أن نشير إلى أمر، وهو أن الميثاق الذي أخذ الله

ونحن جرينا على عادتهم، كما يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن، يُقال لهم: أنتم كنتم مُعترفين بالصَّانع، مقرين بأن اللـهَ ربُّكم لا شريك له، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم فلِمَ عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إِلى الشرك؟! بل عدَلْتُم عن المعلومِ المتيقَّن إِلى ما لا يعلم له حقيقة، تقليداً لمن لا حُجَّة معه.

-اتباع الرسل في الدين دون الآباء-

إن كان الآباءُ مخالفين للرسل، كان عليه أن يَتبعَ الرسلَ، كما قال تعالى: **[ووصينا الإنسان بوالديه حُسْناً وإن جاهداك لتُشرِكَ بي ما ليس لك به علم فلا تُطعهما]** العنكبوت: 8. فمن اتبع دين آبائِه بغير بصيرةٍ وعِلم، بل يعدل عن الحقِّ المعلوم إليه، فهذا اتبعَ هواهُ، كما قال تعالى: **[وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل اللـه قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءَنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون]** البقرة:

اللــه ε، فقعد وقعدنا حولَـه، ومعـه مَخْصَـرَةٌ[1] فنكَّس رأسَـهُ، فجعل ينكُتُ بمخصرته، ثم قال: ما من نفْسٍ منفوسَةٍ إلا قد كتب اللــه مكانها من الجنـة والنار، وإلا وقد كُتِبَت شقيَّةً أو سعيدةً، قال: فقال رجل: يارسول اللــه، أفلا نمكث على كتابنا وندَعُ العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصيرُ إلـى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، ثم قال: اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة" ثم قرأ: **[فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحُسنى، فسنيسِّرُه لليُسرى، وأما من بَخِل واستغنى، وكذَّبَ بالحسنى، فسنيسره للعُسرى]** الليل: 5-

خرجاه في الصحيحين، وزاد البخاري: "وإنما الأعمال بالخواتيم[1]".

وقال ε: "إن أحدَكُم يُجمعُ خلقُه في بطن أمه أربعين يوماً نُطفةً، ثم علقةً مثل ذلك، ثم يكن مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر باربع كلمات: يُكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أم سعيد، فوالذي لا إله غيرُه، إن أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبقُ عليه الكتاب[2]، فيعملُ بعمل أهل النار فيدخُلُها، وإن أحدَكُم ليعملُ بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبقُ عليه الكتابَ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"[3].

قولُه: "وأصلُ القدرِ سرُّ اللـه تعالى في خلقهِ، لم يَطَّلِعْ على ذلك ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسل، والتعمُّقُ والنظرُ في ذلك ذريعة

كما قال تعالى: **[فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى]** وقال: **[ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل اللـه يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا]**.

وإذا كان المرء لا يستطيع أن يزكي نفسه على اللـه، وهو أدرى الخلق بها، فمن باب أولى أن لا يستطيع تزكية الآخرين بأعيانهم، لـذا صح عن النبي ε أنه قال: "من كان منكم مادحاً أخاه ولا محالة، فليقل: أحسب فلاناً، واللـه حسيبه، ولا أزكي على اللـه أحداً، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه". فإذا كان مدحه لأخيه في الدنيا -بما يعلم- يجب عليه أن يتوخى هذه الدقة، وأن لا يزكيه على اللـه، فكيف به لو أراد أن يتألى على اللـه، ويحكم على الغيب الذي لا يعلمه إلا اللـه، بأن صاحبه من أهل الجنة؟!

وهل يقال لفلان شهيد، أو يحكم لمعين بالجنة؟! فالراجح أنه لا يشهد لمعين بالجنة إلا لمن جاء فيه نص كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، والمسألة قد استوفيناها بحثا واستدلالاً في كتابي "قواعد في التكفير" فليراجع.

[1] أي بما يُختم به على المرء من عمل، فإن ختم له بعمل صالح فقد فاز، وإن ختم له بعمل طالح فقد هلك وخسر مهما تقدمه من عمل صالح. ومن فقه الحديث التوقف عن الخوض في مصير أحد بعينه يوم القيامة، قبل العلم بما ختم له من عمل، وعلى أي عمل أدركته المنية، لذا يحسن بالمرء، دائماً أن يسأل اللـه تعالى لنفسه ولإخوانه الثبات على الحق وحسن الختام، ولا يغرنه عمله الصالح، وتاريخه الحافل بالمواقف والجهاد، وفي قصة "بلعام" عبرة لمن أراد أن يعتبر.

[2] أي يسبق المقدور المكتوب في الكتاب، الذي هو اللوح المحفوظ.

[3] متفق عليه.

الخِذْلان، وسُلَّم الحِرمان، ودرجَـةُ الطغيـان، فالحـذَرَ كُـلَّ الحـذر مـن ذلك نظراً وفكراً ووَسْوسَةً، فإن اللـه تعالى طوى علـم القدر عن أنامِه، ونـهاهم عن مَرامه، كما قال تعالى في كتابه: [لا يُسـأَلُ عمـا يفعلُ وهم يُسـألُون[1]] الأنبيـاء:

وخالف في ذلك القدرية المعتزلة، وزعموا أن اللــه شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافرَ شاء الكفرَ- فرُّوا إلى هذا، لئلاَّ يقولوا: شاء الكفرَ من الكافر، وعذبه عليه! فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرٌّ منه، فإنه يلزمهم أن مشيئةَ الكافر غلبت مشيئةَ الله تعالى، فإن اللــه قد شاء الإيمان منه -على قولهم- والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة اللــه تعالى! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قولٌ لا دليلَ عليه[2].

روى عمرُ بن الهيثم، قال: خرجنا في سفينةٍ، وصحبنا فيها قدريٌّ ومجوسيٌّ، فقال القدري للمجوسي: أسلم، قال المجوسي: حتى يريدَ اللــه، فقال القدريُّ: إن اللــه يريد، ولكن الشيطان لا يريد، قال المجوسي: أراد اللـه، وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! فأنا مع أقواهما!!

ووقف أعرابي على حلقةٍ فيها عمرو بن عبيد[3]، فقال: يا هؤلاء، إن ناقتي سُرقت، فادعوا اللــهَ أن يردها عليَّ، فقال عمرو بن عُبيد: اللهمَّ إنك لم تُرِد أن تُسرق ناقَتُه فسرقت، فاردُدْها عليه، فقال الأعرابيُّ: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولِمَ؟ قال: أخاف -كما أراد أن لا تُسرق فسرقت- أن يريد ردَّها فلا تُرَدُّ[4]!!

فمنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبَّة والرضى.

-الدليلُ من الكتاب والسنة على الفَرْقِ بين المشيئة والمحبة-

أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد قال تعالى: **[ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هداها]** السجدة:

وأما نصوصُ المحبَّةِ والرضى، فقال تعالى: **[واللـهُ لا يُحبَّ الفساد]** البقرة:

كمال قدرته وعزته وملكه وسُلطانه. فخلُوُّ الوجود عن بعضها بالكلية تعطيلٌ لحكمته، وكمالِ تصرُّفهِ، وتدبير مملكته.

ومنها: ظهورُ آثار أسمائه القهرية، مثلُ: القهَّار، والمنتقم، والعدل، والضَّارِ، والشديد العقاب، والسريعِ الحساب، وذي البطشِ الشديد، والخافض، والمُذلِّ، فإن هذه الأسماءَ والأفعال كمالٌ، لا بد من وجودِ متعلَّقِهَا ولو كان الجنُّ والإنسُ على طبيعة الملائكة لم يظهرْ أثرُ هذه الأسماء.

ومنها: ظهورُ آثارِ أسمائِه المُتَضَمِّنَةِ لِحلْمِهِ وعَفوِهِ ومَغْفرَتِهِ وسَتْرِه وتجاوزِهِ عَن حَقِّهِ وعَتْقِه لِمَنْ شاءَ مِنْ عبيدِه، فلولا خَلْقُ ما يكرههُ مِنَ الأسبابِ المُفضيَةِ إلى ظهورِ آثارِ هذه الأسماء، لتعطَّلتْ هذه الحِكَمُ والفوائدُ، وقد أشارَ النبيُّ ε إلى هذا بقولِه: "لَوْ لَمْ تُذنبوا، لَذَهبَ اللهُ بكم، ولَجَاءَ بقومٍ يُذنبونَ، ويستغفرونَ فيغفِرُ لَهُم" رواه مسلم.

ومنها: ظهورُ آثارِ أسماءِ الحكمةِ والخبرَةِ، فإنَّه الحكيمُ الخبير، الذي يضَعُ الأشياءَ مواضِعَها ويُنزِلُها منازِلَها اللائِقَةَ بها، فهو أعلم حيثُ يجعلُ رسالاتِه، وأعلَمُ بمن يَصلُحُ لِقبولِها ويشكرُهُ على انتهائها إليه، وأَعْلَمُ بمن لا يَصلُحُ لذلك. فلو قُدِّرَ عَدَمُ الأسبابِ المكروهَةِ، لتعطَّلَتْ حِكَمٌ كثيرَةٌ، ولَفاتَتْ مصالِحُ عديدَةٌ، ولو عُطِّلَتْ تلكَ الأسبابُ لِما فيها مِن الشَرِّ، لتعطَّلَ الخيرُ الذي هو أعظمُ مِن الشَّرِّ الذي في تلك الأسبابِ، وهذا كالشمسِ والمطرِ والرِّياحِ، التي فيها مِن المصالحِ ما هو أضعافُ أضعافُ ما يحصلُ بها مِن الشرِّ.

ومنها: حُصولُ العبودية المتنوعة التي لولا خَلْقُ إبليسَ لَمَا حصَلَتْ، فإنَّ عبوديَّةَ الجهادِ مِن أحبِّ أنواعِ العبوديَّةِ إليه سبحانه، ولو كان الناسُ كُلُّهُم مؤمنين لتعطَّلَتْ هذه العبوديَّةُ وتوابِعُها من الموالاة لله I والمعاداة فيه، وعبوديَّةُ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكَرِ، وعبوديةُ الصبرِ، ومخالَفَةِ الهوى، وإيثارِ محَابِّ اللهِ تعالى، وعبوديةُ التوبةِ والاستغفارِ، وعبوديةُ الاستعاذَةِ بالله أن يُجيرَهُ مِنْ عدوِّهِ، ويعصِمَهُ مِنْ كيدِهِ وأذاه. إلى غيرِ ذلك مِن الحِكَمِ التي تعجزُ العقولُ عن إدراكِها.

فإن قيل: فهَلْ كان يُمْكِنُ وجودَ تلكَ الحِكَم بدونِ هذه الأسباب؟

فهذا سؤالٌ فاسِدٌ! وهو فرضُ وجود الملزوم بدونِ لازمِهِ، كفرضِ وجودِ الابنِ بدونِ الأبِ، والحرَكَةِ بدونِ المتحرِّكِ، والتوبَةِ بدون التائب.

فإن قيلَ: كيفَ يرضى لعبدهِ شيئاً ولا يُعِينُه عليه؟ قيل: لأنَّ إعانَتَهُ عليه قد تستلزِمُ فواتَ محبوبٍ له أعظمَ مِنْ حُصولِ تلكَ الطاعَةِ التي رضيها له، وقد يكونُ وقوعُ تلكَ الطاعةِ منه يتَضَمَّنُ مَفْسدَةً هي أكرَه إليه سبحانه مِنْ محبتهِ لتلكَ الطاعَةِ. وقد أشارَ تعالى إلى ذلك في قوله: **[ولو أرادُوا الخروجَ لأعَدُّوا له عُدَّةً ولكن كَرِهَ اللهُ انبعاثَهُم فثبَّطَهُم]** التوبة:

فـإنْ قيـلَ: إذا كـانَ الكُفْـرُ بقضــاءِ اللـــهِ وقَـدَرِهِ[1]، ونحـنُ مـأمورونَ أنْ نرضى بقضاءِ اللـهِ، فكيفَ نُنكِرُهُ ونكرَهُه[2]؟!

فالجوابُ: أن يُقالَ أوَّلاً: نحنُ غَيْرُ مأمورين بالرِّضى بكُلِّ مايقضيه اللـهُ ويُقدِّرُهُ، ولم يَرِدْ بذلك كتابٌ ولاسُنَّةٌ، بل مِن المقضيّ ما يُرضَى به، ومنه ما يُسْخَطُ ويُمْقَتُ[3].

ويُقالُ ثانياً: هنا أمرانِ: قضاءُ اللـهِ وهو فعلٌ قائمٌ بذات اللـهِ تعالى، ومقضيٌّ: وهو المفعولُ المنفصِلُ عنه، فالقضاءُ كله خيرٌ وعَدْلٌ وحِكمةٌ، فيُرضى به كُلِّه، والمقضيُّ قسمان: منهُ مايُرضَى بهِ، ومنه ما لا يُرضى به.

ويُقالُ ثالثاً: القضاءُ له وجهان: أحدُهما تعَلُّقُهُ بالرَّبِّ تعالى ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يُرضَى به. والوجه الثاني: تعَلُّقُهُ بالعبدِ ونسبته إليهِ، فمن هذا الوجه ينقسِمُ إلى ما يُرْضَى بهِ، وإلى ما لا يُرْضَى به. مثالُ ذلك: قَتْلُ النفسِ، له اعتباران: فمن حيث قدَّرَهُ اللـهُ وقضاهُ وكَتَبَهُ وشاءَهُ، وجَعَلَهُ أجلاً للمقتولِ ونهاية لعمرِه، نرضى بهِ، ومِن حيثُ صَدَرَ مِن القاتِل وباشَرَهُ وكسَبَهُ، وأقدَمَ عليه باختيارِه، وعصى اللـهَ بفعلِهِ، نسخَطُه ولا نرضى به.

-المبالَغةُ في الكلام في القضاء والقدر وسيلَةٌ إلى الخِذلانِ-

---

وأحياناً ينزل البلاء لرفع المقامات والدرجات في الجنان يوم القيامة، كما في الحديث: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإنْ كان في دينه صُلباً اشتدَّ بلاؤه؛ وإن كان في دينه رقةٌ ابتلي على قدر دينه". وقال ε: "يقول اللـه Y: مَنْ أذهبتُ حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثواباً دون الجنة". وقال ε: "يَودُّ أهلُ العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاءِ الثوابَ لو أن جلودهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقاريض". وهذه الأحاديث كلها صحيحة ولله الحمد.

[1] أي أن الكفر يكون بقضاء مِن اللـه وقدره ..

[2] القاريء المؤمن بغنى عن ذكر هذه التساؤلات والشبهات، ولكن لما كان أعداء الإيمان ومن في قلوبهم مرض وزيغ يتعرضون أهل الإيمان بهذه الأسئلة، رأينا إثباتها وإثبات الجواب عليها...

[3] كل ما يدخل في معنى المعاصي مِنْ كفر وظلم وفسق وغير ذلك مِن الذنوب التي تُغضِب اللـه تعالى هو مِن القضاء الذي يجب أن يُسخط ويُمقت، وكل ما يرضي اللـه فهو مِن القضاء الذي يجب أن يرضى به العباد ويحبوه.

وقولُه: "والتعَمُّقُ والنَّظَرُ في ذلكَ ذريعَةُ الخِذْلانِ".

المعنى: أنَّ المبالغة في طلبِ القَدَرِ والغوصِ في الكَلامِ فيه، ذريعَةُ الخذلان[1]. الذريعةُ: الوسيلة، والذريعةُ والدرَجةُ والسُّلَّمُ، متقاربُ المعنى.

وقولُه: "فالحذَرَ كُلَّ الحذَرِ مِنْ ذلك نَظَراً وفِكْراً ووسْوَسَةً".

---

[1] ليست الغاية مِنْ دراسة عقيدة القضاء والقدر، المعرفة النظرية المجرَّدة، لمواجهة شبهات وتساؤلات جاحدي القضاء والقدر -فهذا يحصل مِنْ دون أن يكون هو المقصود- وإنما الغاية مِنْ دراسة عقيدة القضاء والقدر، تكمن في أمرين:

أولهما: يتعلق بمعرفة العبد لصفات الربِّ I، وهو أن عقيدة القضاء والقدر تُعرِّف المسلم على عظمة الخالق سبحانه، وكمال قدرته وعلمه، فهو عندما يعلم أنَّ الله تعالى قدَّرَ الأشياءَ قبل خلقها، وأحاط بها علماً، وأنه لا يحصل في سلطانه شيء -مهما عظم أو صغر- إلا بإذنه وإرادته ومشيئته، وأنه لا يكون إلا ما يريد، يُدرك بالمقابل أن الإله الذي يستحق أن تتوجه إليه العباد بالعبادة بمعناها العام الشامل، هو الله وحده I، ثم أن هذه العقيدة تورث المرء كمال التنزيه للرب I، وهذا مطلب مِنْ مطالب الشريعة.

الثاني: وهو ما يتعلق بجانب العبد، فإنَّ عقيدة القضاء والقدر تورثه الشجاعة، وعدم الخوف مِن المخلوق أو فوات الرزق، وهو كذلك يعلق قلبه بالله وحده ولا يرجو إلا الله، وكيف لا ما دام كل شيء بقدر، والضر والنفع كله بيد الله، ولا يكون إلا ما شاء الله له أن يكون، وهي كذلك تورثه الإطمئنان وراحة النفس والفهم الصحيح لما يجري حوله ويطرأ عليه، وتعينه على الصبر واحتساب الأجر عند الله إذا ما حلَّ به بلاء.. وهذا أيضاً مطلب مِنْ مطالب الشريعة.

وإلى جانب ما تقدم فإنَّ الغاية مِنْ دراسة عقيدة القضاء والقدر تحقيق الإيمان به إذ يعتبر مِنْ أهم أركان الإيمان، حيث لا يصح إيمان ولا يكتمل إلا بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، كما جاء في الحديث: "ولو كان لرجل أُحد أو مثل أُحد ذهباً ينفقه في سبيل الله، لا يقبله الله Y منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإنك إن مت على غير هذا أدخلت النار". وقال: "إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه". رواه ابن أبي عاصم في السنة وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

عن أبي هريرة، قال: جاءَ ناسٌ مِنْ أصحابِ النبيِّ ε إلى رسولِ اللـه ε، فسألوه: إنا نَجِدُ في أنفسنا ما يتعاظَمُ أحدُنا أن يتكلم به؟ قال: "وقد وجدتُموُه؟" قالُوا: نعَمْ، قال: "ذاكَ صريحُ الإيمان". رواه مسلم.
الإشارَةُ بقوله: "ذاك صريحُ الإيمان" إلى تعاظمهم أن يتكلَّموا به. فمدافعَةُ الوَسْوسَةِ الشيطانيةِ، واستعظامُها صريحُ الإيمانِ، ومحضُ الإيمان.
هذه طريقةُ الصحابة ψ، والتابعين لهم بإحسانٍ، ثمَّ خلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ، سَوَّدُوا الأوراقَ بتلكَ الوساوس، التي هي شكوكٌ وشُبَهٌ، بل وسَوَّدُوا القلوبَ، وجادَلُوا بالباطِلِ ليُدحِضُوا به الحقَّ.

-اتباع سنن اليهود والنصارى، والخوض بما خاضوا!-

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جَدِّهِ، قال: خرجَ رسولُ اللـهِ ε ذاتَ يومٍ والنَّاس يتكلمونَ في القدَرِ، قال: فكأنَّما تَفَقَّأَ في وَجهِهِ حَبُّ الرُّمان مِن الغضبِ، قال: فقال: "ما لَكُمْ تضرِبونَ كِتابَ اللـهِ بَعْضَهُ ببعضٍ؟! بهذا هلَكَ مَنْ كانَ قبلَكم"(1).
وقال تعالى: **[فاستمتعتم بخلاقِكُم كما استمتَعَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بخلاقِهِم وخُضْتُم كالَّذِي خاضُوا]**التوبة:

وعن عبد اللـه بن عمرو، قال: قال رسولُ اللـه ε: "ليأتيَنَّ على أُمَّتي ما أَتَى على بَني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ، حتى إنْ كانَ مِنْهُمْ مَنْ أتَى أُمَّهُ علانيَّةً، كانَ في أُمَّتي مَنْ يصنعُ ذلك، وإنَّ بني إسرائيلَ تفرَّقُوا على اثنتينِ وسبعينَ مِلَّةً، وتَفترِق أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ في النارِ إلاَّ مِلَّةً واحِدَةً" قالوا: مَنْ هي يارسُولَ اللـهِ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"[1].

وعن أبي هُريرة، أنَّ رسولَ اللـهِ ε قال: "تَفَرَّقَتِ اليهودُ على إحْدَى وسبعينَ فِرْقَةً أو اثنتَيْن وسبعينَ فِرْقَةً، والنصَارَى مِثْلَ ذلك، وتفترقُ أُمَّتِي على ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقَةً"[2].

وعن معاوية بن أبي سفيان، قال: قال رسولُ اللـه ε: "إنَّ أَهْلَ الكتابَيْنِ افترَقُوا في دينِهِمُ على ثِنْتَيْنِ وسبعينَ مِلَّةً، وإنَّ هذه الأُمَّةَ ستفتَرِقُ على ثلاثٍ وسبعين مِلَّةً -يعني الأهواءَ- كُلُّها في النَّارِ إلاَّ واحِدَةً، وهي الجماعَةُ"[3].

تابعوا اليهود والنصارى في جميع شؤون الحياة ومجالاتها، فما مِنْ صوت يُرفع في الغرب الصليبي إلاَّ ويوجد صداه في أخلاق وسلوك وعقائد الأمة..

[1] قال الشيخ ناصر: ضعيف بهذا السياق، وقد حسنه الترمذي في بعض النسخ، وهو ممكن باعتبار شواهده، ولذلك أوردته في "صحيح الجامع" (5219)، "الصحيحة" (1348).

[2] رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. قال الشيخ ناصر: صحيح، وهو مخرج في "الصحيحة" (203).

[3] رواه أحمد، وأبو داود، وهو صحيح. في الحديث والذي قبله أنَّ الفرقة الناجية الْمَرْضِية، هي الجماعة التي تكون على ما كان عليه النبي ε وصحبه الكرام، فالدين الأمجد دينهم، وما سواه ليس بدين. ومنه يُعلم فساد القول القائل: بأنَّ الخلف أحكم من السَّلف!!! ساء ما يقولون. وفيه كذلك أن الجماعة هي التي تكون على ما كان عليه النبي ε وأصحابه وإن قل عددها، فالجماعة تعرف بالاتباع والاقتداء لا بالكم الهائل الشارد عن الحق والمتابعة لهدي النبوة.

وهنا تُثار مسألة -كثر كلام الناس حولها- هل الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة الظاهرة الوارد ذكرها في الأحاديث، أم أنه يوجد فارق بينهما من بعض الوجوه؟

والجواب على هذه المسألة: أن الفرقة الناجية تشتمل على الطائفة المنصورة الظاهرة، فكل فرد من الطائفة المنصورة هو من الفرقة الناجية ولا يستلزم ذلك العكس، والذي حدد هذا الفارق بين الفرقة والطائفة هي النصوص الشرعية، وصفة كل من الفرقة والطائفة كما بينتها الأدلة الشرعية.

1- دلالة النصوص الشرعية على الفارق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة:

قال تعالى: **[ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون]** آل عمران: 104.

فهذا خطاب موجه لمجموع الأمة المتمثلة في "الفرقة الناجية" بأن تنفر منهم طائفةٌ -وهو المراد بالأمة- تتخصص وتتفرغ للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالنص فرَّق بين "الفرقة الناجية" وهي المعنية من الخطاب، وبين الطائفة المنصورة وهم النفر الذين يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن كثير في التفسير (398/1): يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون. قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ا-هـ.

قلت: واضح أن الطائفة المنصورة هم صفوة الفرقة الناجية، إذ يستحيل أن يكون كل فردٍ من الفرقة الناجية عالماً ومجاهداً.

وكذلك قوله تعالى: **[وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين]** آل عمران: 146.

فالربيون هنا هم الطائفة المنصورة الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخشون في الله لومة لائم، ومن قال أن الربيين الوارد ذكرهم في الآية يراد بهم الفرقة الناجية بما فيهم العوام من الشيَّب والنساء فقد أخطأ وأبعد.

وكذلك قوله تعالى: **[لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضررِ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكُلاً وعدَ الله الحسنى وفضل اللهُ المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً]** النساء: 95. ففرق الله تعالى بين القاعدين الذين يدخلون في الفرقة الناجية، وبين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الذين يدخلون في الطائفة المنصورة الظاهرة، فهما لا يستويان صفة ومهمة ولا من حيث الأجر والدرجات يوم القيامة، وإن كانا يشتركان بصفة النجاة من العذاب بدليل قوله تعالى: **[وكُلاً وعدَ اللهُ الحسنى]** ولكن **[فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً]**.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ε أنه قال: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خذلَهم حتى يأتي أمر اللـه وهم كذلك" وقال: "لن يزال قوم مِنْ أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر اللـه وهم ظاهرون" وقال: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة" وقال: "لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة". وهذه أحاديث كلها صحيحة ولله الحمد بعضها مخرج في الصحيحين، والشاهد منها قوله ε: "لا تزال طائفة مِنْ أمتي .. لا يزال قوم مِنْ أمتي .. عصابة من المسلمين" حيث أن مِنْ هنا تفيد التبعيض، فالمسلمون من أمة محمد ε هم الفرقة الناجية، والطائفة أو العصابة منهم الوارد ذكرها في الأحاديث أعلاه هم الطائفة المنصورة خواص الفرقة الناجية، هذا من حيث دلالة النصوص الشرعية.

2- أما من حيث دلالة الصفات، فقد ميزت النصوص الشرعية بين صفات الفرقة وصفات الطائفة المنصورة، فالفرقة الناجية تتصف بسلامة الاعتقاد وحسن الإتباع، لذلك عندما سُئل النبي ε عنها فأجاب بأنها هي التي تكون على "ما أنا عليه وأصحابي".

بينما الطائفة المنصورة -بدلالة النصوص المتقدم ذكرها- فهي إضافة إلى صفة سلامة الاعتقاد وحسن الاتباع، فهي تجاهد في سبيل اللـه، وهي ظاهرة على عدوها بحجة السنان والبيان لا تخشى في اللـه لومة لائم، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر..

قال النووي عنهم في شرحه لصحيح مسلم (67/13): يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ا-هـ. وهذه صفات مستحيل أن تتوفر في كل فرد من أفراد الفرقة الناجية، حيث أن الفرقة الناجية تضم هؤلاء وغيرهم من العجزة والشيوخ والنساء وغيرهم من العوام الذين يتوفر فيهم سلامة الاعتقاد والاتباع.

ومما تقدم نستخلص النقاط التالية:

ا- أن كل فرد من الطائفة المنصورة هو من الفرقة الناجية وليس العكس..

ب- أن صفات الطائفة المنصورة الظاهرة المجاهدة يستحيل أن تتوفر في كل فرد من أفراد الفرقة الناجية، فلزم التفريق بينها وبين الفرقة الناجية..

ج- الطائفة المنصورة بالنسبة للفرقة الناجية تعتبر الطليعة أو الصفوة التي توكل إليها المهام العظام، والتي تقود الأمة إلى الخير والفلاح والجهاد..

-مَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتابِ من غير شُبهةٍ أو تأويلٍ، فقد كفَرَ-

وقولُه: "فمن سألَ: لِمَ فَعَلَ؟ فقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكتابِ، ومَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتابِ، كانَ مِنَ الكافرين".

اعلم أنَّ مبنى العبوديَّةِ والإيمان باللهِ وكُتُبِهِ ورُسلهِ، على التسليمِ وعدَمِ الأسئلةِ عن تفاصيلِ الحكمةِ في الأوامرِ والنَّواهي والشَّرَائعِ، ولهذا كانَ سلفُ هذهِ الأمَّةِ، التي هي أكملُ الأُمَمِ عقولاً ومعارِفَ وعلوماً، لا تَسأَلُ نبيَّها: لِمَ أمرَ اللهُ بكذا؟ ولِمَ نهى عن كذا؟ ولِمَ قَدَّرَ كذا؟ ولِمَ فعَلَ كذا؟ لعلمهم أنَّ ذلكَ مُضادٌ للإيمانِ والاستسلامِ، وأنَّ قدَمَ الإسلامِ لا تَثْبُتُ إلاَّ على درَجَةِ التسليم[1].

د- الفرقة الناجية والطائفة المنصورة يشتركان في صفة سلامة الاعتقاد وحسن المتابعة والاقتداء، ويفترقان في بقية الصفات..

هذا -باختصار- أبرز ما يميز الطائفة المنصورة عن الفرقة الناجية، ولصفات الطائفة المنصورة أفردنا مصنفاً مستقلاً أسميناه "صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تكثر سوادها" فليراجعه من أراد أن يستزيد.

- الفائدة من هذا التفريق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة:

توجد فوائد عديدة من هذا التفريق، منها: إنزال الناس منازلهم، ومعرفة كل امرءٍ قدره وأين هو من دين الله، وقد وجدنا أناساً ممن يتشبعون بما لم يُعطوا، ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، يزكون أنفسهم على الله ويدعون أنهم هم الطائفة المنصورة!، وفي حقيقتهم لا يتعدون أن يكونوا من الفرقة الناجية، ولقد وجدنا بعضهم يعادي بغير علم هذا التفريق -الذي دلّت عليه نصوص الشريعة- بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وذلك لما رأوا بُعد الشقة بينهم وبين صفات وخصال الطائفة المنصورة الظاهرة بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحتى لا يخرجوا من دائرة الطائفة المنصورة قالوا: الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة ولا فرق بينهما، فأدخلوا العجايز مع العلماء العاملين المجاهدين، وسووا بينهما!!.

[1] التسليم الذي يلازمه الرضى وانتفاء الحرج في النفس، أمَّا التعقيب على حكم الله وعرضه للتصويت والإختيار، فما تختاره الأكثرية هو المختار وإن ضاد حكم الله -كما هو شأن الديمقراطية ودعاتها- فإنَّ ذلك من أوضح ما يُنقض به الإيمان. ومما يشتد له العجب أن أولئك الذين استهوتهم عقولهم وغرَّتهم الديمقراطية، الذين لا يرون حرجاً في التعقيب على حكم الله، هم أنفسهم يُسلمون للقوانين الوضعية والدساتير الطاغوتية من دون تعقيب أو اعتراض -

فأوَّلُ مراتبِ تعظيمِ الأمرِ: التصديقُ بهِ، ثمَّ العَزْمُ الجازمُ على امتثالِه، ثـمَّ المسـارَعةُ إليـه والمبـادَرَةُ بـه القواطِعَ الموانِعَ، ثـمَّ بـذلُ الجهدِ والنصـحِ فـي الإتيانِ بـه علـى أكملِ الوجوهِ، ثمَّ فِعْلُه لِكونِـهِ مـأموراً بـه، بحيث لا يتوقَّفُ الإتيانُ بـه علـى معرفـةِ حِكمتـهِ، فـإنْ ظهرتْ لـه، فَعَلَهُ وإلاَّ عطَّلَهُ، فـإنَّ هذا يُنافي الانقيادَ، ويقدَحُ في الإمتثالِ.

ولا شَكَّ فـي تكفيرِ مَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتـابِ[1]، ولكِنْ مَنْ تـأوَّلَ حُكمَ الكتـابِ لِشُبهةٍ عَرَضَتْ له، يُبيَّنٍ له الصوابُ ليرجعَ إليه[2].

قولُه: "فهذا جُملَةُ ما يحتاجُ إليهِ مَن هو مُنَوَّرٌ قلبُـهُ مِن أوليـاءِ اللـه تعالى، وهـي درَجَـةُ الرَّاسخينَ فـي العِلْمِ، لأنَّ العِلْمَ عِلْمـانِ: عِلْـمٌ فـي الخَلْـقِ موجـودٌ، وعِلْـمٌ فـي الخَلْـقِ مفقـودٌ، فإنكـارُ العِلْـمِ الموجود كُفرٌ، وادعـاءُ العِلْمِ المفقودِ كُفْرٌ، ولا يثبُتُ[3]الإيمـانُ إلاَّ بقبولِ العلمِ الموجودِ، وتَرْك طَلَبِ العِلْمِ المفقودِ".

ش: الإشارَةُ بقولِه: "فهذا" إلى ما تقدَّمَ ذِكْرُه، مِمَّا يجبُ اعتقـادُهُ والعملُ به، مما جاءَت به الشريعَةُ. ويعني بالعلمِ المفقود: عِلْمَ القدَرِ الذي طـواهُ اللـهُ عن أنامهِ[4]، ونـهاهم عن مرامـهِ[5]، ويعنـي بـالعلمِ الموجـودِ: عِلْمَ الشريعَةِ،

فالتسـليم لحكـم اللــه عبوديـة وتخلّـف، والتسـليم لحكـم الطــاغوت ديمقراطيــة وحرية!!- ويحتكمون إليها على أنها "فوق الجميع" وغير قابلة للرد، علماً أنَّ أكثـر هـذه الدسـاتير تضـمن لواضـعها "أنّـه لا يُسـأل عمَّـا يفعـل أو أنَّـه فـوق المساءلة!! ". **[فما كان لشركائهم فلا يصلُ إلى اللـه وما كان لله فهو يصلُ إلى شركائهم ساءَ ما يحكمون]** الأنعام: 136.

[1] مـن ردَّ حكـم الكتـاب والسـنة جحـوداً، أو تكـذيباً، أو عنـاداً وكبـراً، أو بغضـاً وكرهاً، أو استهانة بقدره ظناً منه أنه يمكنه الخروج عن حكم اللـه إلى أي حكم شاء فهو كافر مرتد، ومن شكَّ في كفره فهو كافر لجعله الكفر إيماناً وإسلاماً.

[2] ولكـن مـن ردَّ حكـم الكتـاب والسـنة تـأويلاً لشـبهةٍ معتبـرة، فمثـل هـذا لا يحكـم بكفره، إلاَّ بعد قيام الحجـة الشرعية عليه التـي تـدفع عنصـر الجهل عنده، فـإنْ رَدَّها وأصرَّ على قوله الكفري، حينها يُكَفَّرُ بعينه. ومسـائل التكفيـر قد استوفيتها بحثاً في كتابي "قواعد في التكفير"، فليراجع.

[3] أي لايصح ولا يُقبل ..

[4] أي خلقه.

[5] أي نهاهم عن التطلع إليه والبحث عنه.

أُصولَها وفروعَها، **فمن أنكرَ شيئاً مِمَّا جاءَ به الرَّسولُ كان مِنَ الكافرينَ**[1]، ومن ادَّعى عِلْمَ الغيبِ كان من الكافرينَ، قال تعالى: **[عالِمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غيبهِ أحَداً إلاَّ مَنِ ارتضَى مِن رسولٍ]** الجن:

ش: قال تعالى: **[بَلْ هو قُرءانٌ مجيدٌ. في لـوحٍ محفـوظٍ]** الـبروج:

-أَيُّهما خُلِقَ أَوَّلاً القلَمُ أَمِ العَرْش؟-

اختلـفَ العلمـاءُ: هَـلِ القلَـمُ أوَّلُ المخلوقـاتِ أو العـرش؟ علـى قـولين أصحُّهُما: أنَّ العَرْشَ قبلَ القلَمِ[1]، مِمَّا ثبتَ في (الصحيح) من حديث عبد اللـه بن عمرو، قال: قالَ رسولُ اللـه ε: "قَدَّرَ اللـهُ مقادِيرَ الخلْقِ قبل أنْ يخلُقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سَنَة. وعرْشُهُ على الماءِ"[2]. فهذا صريحٌ أنَّ التقديرَ وقعَ بَعْدَ خَلْقِ العرشِ، والتقديرُ وقع عند أوَّلِ خَلْقِ القلم[3]، بحديث عبادَة هذا.

-وجودُ أقلامٍ غيرَ القلَمِ الذي كُتِبَ به اللوح المحفوظ-

فهذا القلم -الذي خُطَّ بـه اللوح المحفوظ- أوَّل الأَقْلامِ وأفضَلُها وأجَلُّها، وقالَ غيرُ واحدٍ من أهل التفسير: إنَّهُ القلَمُ الذي أقسمَ اللـهُ به في قولِه تعالى: **[ن. والقلَمِ وما يَسطُرونَ]** القلم: 1-2.

تعالى القلم، ثم خلق العرش، ثمَّ قدَّر المقادير وأمر القلم بأن يكتب كل شيء يكون، وعلى هذا الإعتبار يكون العرش مستثنى مِمَّا كتبه القلم، لحصول خلقه قبل حصول الكتابة، واللـه أعلم. والأحاديث التي استشهد بها الشيخ ناصر، تدل على أن القلم كان أوَّل مخلوق، وليس على أنَّ الكتابة حصلت قبل خلق العرش، وبخاصة أن "ثمَّ" -التي بسببها حصل الإشكال والخلاف- تفيد أنَّ الكتابة حصلت بعد زمن- اللـه يعلمه- من خلق القلم..

[1] بل الذي دلَّت عليه السنة أن أول المخلوقات كان القلم، لقوله ε: "إنَّ أوَّلَ شيء خلقه اللـه تعالى القلمُ، وأمره أن يكتب كل شيء يكون". (السلسلة الصحيحة: (133)). وما استدل به الشارح ليس فيه دليلٌ على أسبقية العرش للقلم، وإنما فيه أن خلق العرش متقدم على كتابة المقادير، وهناك فرق بين خلق القلم وكتابة المقادير كما تقدم بيان ذلك.

وفي قول الشَّارح : هل القلم أول المخلوقات أو العرش..؟ تسليم منه بأنَّ المحدَث له بداية وله أوَّل، وأوله العرش -على قوله- وهذا مغاير لما قاله من قبل: أنَّ الحوادث متسلسلة إلى ما لا بداية، وليس لها أول، وأنَّ ما من مخلوق إلاَّ وقبله مخلوق إلى ما لا نهاية!! فتأمل.

[2] صحيح وتقدم تخريجه.

[3] هذا على إفتراض صحة الكلمة: "فقال" أمَّا أنها لا تصح كما تقدم، لا يصح بالمقابل أن تكون دليلاً يُردُّ به الصحيح الثابت وهو: "ثم قال".

والقلم الثاني: قلَمُ الوحي وهو الذي يُكتبُ به وحيُّ اللـهِ إلى أنبيائِـه ورُسُلِه، وقد رُفعَ النبيُّ ε ليلَةَ أُسريَ به إلى مستوىً يَسْمَعُ منه صَريفَ الأقلامِ، فهذه الأقلامُ هي التي تَكتُبُ ما يوحيه اللـه تبارك وتعالى من الأمورِ التي يُدَبِّرُ بها أمرَ العالَمِ العُلوي والسُّفلي.

قولُه: "فَلَوِ اجتَمعَ الخَلْقُ كُلَّهُمْ على شيءٍ كتَبَهُ اللـهُ تعالى أَنَّـهُ كائنٌ، ليَجْعَلُوهُ غيرَ كائنٍ، لَمْ يَقْدِرُوا عليه، ولو اجتمَعُوا كُلُّهُم على شيءٍ كَتبَهُ اللـهُ تعالى فيهِ أنَّهُ غيرُ كائنٍ ليجعَلُوهُ كائناً، لم يَقْدِرُوا عليهِ. جفَّ القَلَمُ بما هو كائنٌ إلى يومِ القِيامَةِ".

ش: تَقدَّمَ حديثُ جابرٍ عن رسولِ اللـه ε، قال: جاء سُرَاقَةُ بنُ مالكِ بن جُعْشُمْ، فقال: يارسولَ اللـهِ بَيِّن لنا ديننا كأنَّا خُلِقْنا الآنَ، فيمَ العملُ اليومَ؟ أفيما جَفَّتْ به الأقلامُ، وجَرَتْ به المقاديرُ؟ أَمْ فيما يُستَقْبَلُ؟ قال: "لا، بل فيما جَفَّتْ به الأقلامُ، وجَرَتْ به المقاديرُ"[1]

وعن ابن عباس، قال: كنتُ خَلْفَ النبيِّ ε يوماً، فقال لي: "ياغُلامُ أَلا أُعلِّمُكَ كلماتٍ: احْفظِ اللـهَ يَحْفَظْكَ، احفَظِ اللـهَ تجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فَاسألِ اللـهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاستَعِنْ باللـهِ، واعلَمْ أنَّ الأمَّـةَ لو اجتمعَت على أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لَمْ ينفعُوكَ إلاَّ بشيءٍ قَدْ كتبَهُ اللـهُ لكَ، وإن اجتمعوا على أَنْ يَضرُّوكَ بشيءٍ لم يضرُّوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللـه عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ". رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2].

---

[1] أي أن العمل يكون فيما قد كُتب وقدر، فالمرء يعمل ويتحرك في المكتوب والمقدور عليه لا يستطيع أن يتخلف عن شيء منه، كما صح عن النبي ε: "اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له".

[2] قال الشيخ ناصر: صحيح لغيره، وقد خرَّجته في "السنة" لابن أبي عاصم (

وفي رواية غير الترمذي: "احفظِ اللـهَ تجِدْهُ أمَامَكَ، تعَرَّف إلى اللـهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، واعلَمْ أنَّ ما أخطَأَكَ لم يكن ليُصِيبَكَ، وما أصابكَ لم يَكُن ليُخطِئَكَ، واعلَمْ أنَّ النَّصْرَ معَ الصبرِ، وأنَّ الفرَجَ معَ الكرْبِ، وأنَّ معَ العُسْرِ يُسْراً".

-الأقلامُ أَربَعَةٌ-

الذي دلَّت عليه السُّنَّة أنَّ الأقلامَ أربعةٌ:

القَلَمُ الأوَّل: العَامُّ الشَّامِلُ لجميعِ المخلوقاتِ، وهو الذي تقدَّم ذِكْرُهُ معَ اللوح.

القَلَم الثاني: حينَ خُلِقَ آدَمُ عليه السلام، وهو قلمٌ عامٌ أيضاً، لكن لبني آدم، ورَدَ في هذا آياتٌ تدُلُّ على أنَّ اللـهَ قَدَّرَ أعمال بني آدَمَ وأرزاقَهُم وآجالَهُم وسعادَتَهم عقيبَ خَلْقِ أبيهم.

القلَمُ الثالث: حين يُرْسَلُ الملَكُ إلى الجنينِ في بطنِ أُمِّهِ، فَيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ، ويُؤمَرُ بأربع كلماتٍ: يَكتبُ رزقَهُ، وأَجَلَه، وعملَهُ، وشَقيٌّ أو سعيد(1).

فيعود لتلقيهم العقيدة من غير الكتاب والسنة، وانشغالهم بكتب يغلب عليها طابع الفلسفة وعلم الكلام، لاتمت إلى الحق بصلة..

لذا نقول: كما يجب تلقين الأبناء العقيدة والتوحيد، يجب اعتماد الكتاب والسنة في هذا التلقين. فجريمة أيما جريمة أن يبلغ المرء سنَّ الحلم وهو يعرف الصلاة، لكنه لا يعرف لِمن يُصلي!! وما هي صفات وخصوصيات من يصلي له.

وكان السَّلف يتعلمون أولاً الإيمان والتوحيد ثم ينصرفون إلى غيره من العلوم الشرعية بحسب الحاجة والأهمية، كما في الحديث الذي يرويه جندب بن عبد اللـه، قال: كنا مع النبيِّ ε ونحن فتيان فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلمَ القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازدَدْنا به إيماناً. صحيح سنن ابن ماجه: "

القلـمُ الرَّابـعُ: الموضـوع علـى العبـدِ عنـدَ بلوغـهِ، الـذي بأيـدي الكـرامِ الكاتبينَ، الذين يكتبونَ ما يفعَلُه بنو آدَمَ(1).

-إذا كانَ الخيرُ والشَّرُّ بيدِ اللـهِ Y، وأَنَّهُ لا يكونُ إلاَّ ما يُريدُ، فالواجبُ إِفْرادُهُ سبحانه بالخَشْيَةِ والتقوى-

إذا عَلِمَ العبدُ أَنَّ كُـلاًّ مِنْ عِنْدِ اللـهِ، فالواجِبُ إِفْرادُهُ سبحانه بالخشية والتقوى. قال تعالى: **[فلا تخشَوا النـاسَ واخشَون]** المائدة:

تُـدْرَكُ، فعليكَ بـالأمرِ الـذي يُصـلِحُكَ[1] فالْزَمْـهُ، ودَعْ مـا سـواهُ، فـلا تُعَانِـهِ، فإرضاءُ الخَلْقِ لا مَقدُورٌ ولا مَأمورٌ[2]، وإرضاءُ الخالِقِ مَقْدورٌ ومأمورٌ[3].

-ثِمـارُ تَقْوَى اللـهـ-

فإذا اتَّقى العبدُ ربَّـهُ، كفاهُ مَؤُونَـةَ النَّـاسِ، كمـا كتبت عائشـةُ إلـى معاويـة، روي عنهـا مرفوعـاً وموقوفـاً: "مَنْ أرضَـى اللهَ بِسُخْطِ النَّـاسِ، رضـيَ اللـهُ عَنهُ وأرضَى عنه النَّاسَ. ومَنْ أرضَـى النَّـاسَ بِسُخْطِ اللـهِ، عـادَ حامِدُهُ مِنَ الناسِ ذاماً"[4]. فَمَنْ أرضـى اللـهَ، كَفـاهُ مؤْنــةَ النَّـاسِ ورضـيَ عنـه، ثـمَّ فيمـا بعـد يَرضَـوْنَ، إذ العاقِبَـةُ للتقوى، ويُحِبُّـهُ اللــهُ، فيُحِبُّــهُ النــاسُ، كمـا فـي (الصحيحين) عن النبي ε، أَنَّهُ قـالَ: "إذا أَحَبَّ اللــهُ العبدَ، نـادَى: ياجبريـل، إني أُحِبُّ فلاناً فَأَحِبَّهُ، فيُحِبُّهُ جبريلُ، ثمَّ ينـادي جبريـل فـي السماءِ: إنَّ اللــهَ يُحِبُّ فُلانـاً فَـأحِبُّوه، فيُحِبُّـهُ أهلُ السَّماءِ ثمَّ يُوضَـعُ لـه القَبُولُ فـي الأرضِ"، وقالَ في البغض مثل ذلك.

قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ما احتاجَ تقيٌّ قَطُّ، لقولِه تعالى: **[ومَن يَتَّقِ اللــهَ يَجْعَل لـهُ مَخْرَجـاً. ويَرزُقْهُ مِن حيثُ لا يَحْتَسِبُ]** الطـلاق: 2-3. فقد ضَمِنَ اللــهُ للمتقين أنْ يجعلَ لهم مخرجاً مِمَّا يضيقُ على الناسِ، وأن يَرْزُقَهم مِن حيثُ لا يحتسِبُونَ، فـإذا لـم يَحْصُلْ ذلك، دَلَّ علـى أنَّ فـي التقوى خَلَلاً، فليستغفر اللـه وليَتُبْ إليه، ثمَّ قال تعالى: **[ومَن يَتَوَكَّلْ على اللـهِ فهو حَسْبُهُ]** الطلاق: 3. أي: فهو كافيه، لا يُحْوِجُه إلى غيره[5].

---

[1] وهو كل أمرٍ فعله أو تركه يرضي اللـه تعالى.

[2] أي: غير مُستطاع، ولم يأمر به الشرع.

[3] أي: مُستطاع، والشرع قد أَمَرَ به.

[4] صحيحٌ، رواه الترمذي وغيره. وفي رواية حسنة الإسناد: "من التمسَ رِضـى اللــه بسخط الناس رضي اللــه عنه، وأرضـى عنه النـاس، ومـن التمس رضـى الناس بسخط اللـه، سخط اللـه عليه وأسخط عليه الناس".

[5] كان السَّلف رضوان اللــه عليهم أخوف مـا يخافونـه علـى أنفسهم، معاصيهم، لما يعلمون ما للمعاصي من آثار سيئة تجلب الذل والدمار على الأنفس والأهل والـديار، وروي عـن بعضـهم قولـه: إنـي لأرى أثـر معصـيتي فـي خلـقِ دابتـي وامرأتي، فتأمَّل حتى الدواب فهي لا تسلم من آثار معاصي بنـي آدم. لذا نقول: لا شيء أفضل لرفع المصائب والكروب، من تقوى اللــه والإستغفار، ويتأمل معاصيه التـي بسببها وقـع الكرب والضيق، فيقلـع عنهـا ويتوب إلـى اللــه.. ثـم

ينظر كيف تنجلي عنه همومه ومصائبه، وكيف يفتح اللـه عليه بركـات السماء والأرض، كما قال تعالى: **[ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون]**. أي أخذناهم بالعذاب بما كذَّبوا وكانوا يكسبون من الذنوب والمعاصي.

وفي الحديث القدسي: "وعزَّتي وعظمتي، لا يعتصم بِيَ عبدٌ من عبادي دونَ خلقي، أعرف ذلك من نيتـهِ، فتكيده السماوات السبعِ ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلاَّ جعلتُ له من بينهنَّ مخرجاً..".

وعن البراء بن عازب، مرفوعاً: "ما اختلَجَ عِرْقٌ ولا عَينٌ، إلاَّ بذنبٍ، وما يدفعُ اللـه عنه أكثر". السلسلة الصحيحة: "

-تعاطي الأسبابَ والإكتسابَ لا يُنافي التوكل-

ظنَّ بَعْضُ الناس أنَّ التوكل يُنافي الإكتسابَ، وتعاطي الأسباب(1)، وأنَّ الأمورَ إذا كانت مُقدَّرةً، فلا حاجَةَ إلى الأسباب! وهذا فاسِدٌ، فإنَّ الإكتسابَ: منه فَرْضٌ، ومنه مُسْتحَبٌّ، ومنه مُباحٌ، ومنه مكروه، ومنه حرام(2). وقد كانَ النبيُّ ε أفضَلَ المتوكلين، يَلْبَسُ لأْمَةَ الحَرْبِ(3)، ويمشي في الأسواقِ

كتابه القيم "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي". وللذنوب آثار سلبية أخرى على صاحبها فليراجعها من يشاء في الكتاب المذكور.

(1) ولكن الذي يمكن قوله: أنَّ التوكل يُنافي تعلق القلب بالأسباب ونسيان خالق وميسر هذه الأسباب، كما يُنافي القلق على العيش، والإستشراف لما في أيدي الناس..

قال رسول اللـه ε: "لو أنَّ ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت". السلسلة الصحيحة.

وقال: "إنَّ الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله". رواه ابن أبي عاصم في السنة، وحسنه الشيخ ناصر في التخريج. وقال ε: "من تكفل لي أن لايسأل الناس شيئاً أتكفل له بالجنة". صحيح الترغيب والترهيب: "807".

أتى النبيَّ ε رجلٌ، فقال: يارسول اللـه أوصني وأوجِزْ! فقال النبي ε: "عليك بالإياس ممَّا في أيدي النَّاس، وإياكَ وما يُعتذر منه". صحيح الترغيب : "852".

(2) وذلك عندما يكون المرء في غنى، فيسعى مكاثراً لماله، مُنشغلاً به عن فرائض الإسلام : كالجهاد، والصلاة، والحج..

قال رسول اللـه ε: "وما سبيلُ اللـهِ إلاَّ مَن قُتِلَ؟! مَن سعى على والديه ففي سبيل اللـه، ومَن سعى على عياله ففي سبيلِ اللـهِ، ومَن سعى على نفسه ليَعِفَّها فهو في سبيل اللـه، ومَن سعى مُكاثِراً ففي سبيل الطاغوت، وفي رواية: سبيل الشيطان". السلسلة الصحيحة: "2232".

وقال ε: "إنَّ اللـه قال: إنَّا أنزلنا المالَ لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. ولو كان لابن آدم وادٍ لأحبَّ أن يكون له ثانٍ، ولو كان له واديان لأحبَّ أن يكون لهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب، ثم يتوبُ اللـه على من تاب" صحيح الجامع: "1781".

(3) كان النبي ε، يُرزق بالجهاد في سبيل اللـه -أنعم بها من حرفة- كما جاء ذلك في الحديث، قال رسول اللـه ε: "بُعثتُ بالسيفِ حتى يُعبَدَ اللـهُ لا شريكَ له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على مَن خالف أمري،

للاكتسـابِ، حتـى قـال الكافـرون: **[مــالِ هذا الرَّسُولِ يأكُلُ الطعامَ ويَمشِـي في الأسواقِ]** الفرقان: 7.

قولُـه: "ومَـا أخطـأَ العَبْـدَ لَـمْ يَكُـنْ ليُصـيبَهُ، ومَـا أَصَـابَهُ لَـمْ يَكُـنْ ليُخطِئَهُ".

ش: هذا بِناءٌ على ما تَقَدَّمَ مِنْ أنَّ المقْدُورَ كائِنٌ لا مَحَالَةَ[1].

قولُه: "وعلى العَبْدِ أَنْ يعْلَمَ أَنَّ اللـهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ في كُلِّ كائنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فقَدَّرَ ذلك تَقْديراً مُحكَمَاً مُبْرَماً، ليسَ فيـهِ نـاقِضٌ[2]، ولاَ مُعَقِّبٌ[3]، ولا مُزِيلٌ ولا مُغَيِّرٌ، ولا مُحَوِّلٌ ولا نـاقِصٌ، ولا زَائِـدٌ مِنْ خلْقِهِ في سَماواتِهِ وأرْضِهِ[4]".

ش: هذا بناءٌ على ما تَقَدَّمَ، مِن أنَّ اللــهَ تعـالى قّدْ سَبَقَ علمُـهُ بالكائنـاتِ، وأنَّه قَدَّرَ مَقاديرَها قبلَ خَلْقِها، كما قـالَ ε: "قَدَّرَ اللــهُ مَقـادِيرَ الخَلْـقِ قبلَ أَنْ يَخْلُـقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألـفَ سَنَـةٍ، وعَرْشُـهُ علـى المـاءِ". فـإنَّ حصولَ المخلوقاتِ على ما فيها مِن غرَائبِ الحِكَمِ، لا يُتَصَوَّرُ إِيجَادُها إلاَّ

ومن تشبَّه بقوم فهو منهم". رواه أحمد وغيره. قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح: "5114".

(1) صحَّ عن النبي ε أنَّه قال: "إنَّ العبدَ لا يبلغُ حقيقةَ الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابَه لم يكن ليُخطئه، وما أخطأَهُ لم يكن ليصيبَه". رواه ابن أبي عاصم في "السنة"، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

(2) أي باطلٌ يُبطلُ ما قَدَّرَه اللـهُ في خَلْقِه وأراده، فالله تعالى أعلى وأجل من أن يكون له ندٌّ في خَلْقِه له أدنى تصرف فيه.

(3) كما أنَّ اللـهَ لا مُعقِّبَ لحكمِهِ وتشريعه، كذلك لا مُعقِّبَ لقضائه وقدره، وإسلام المرء لا يتحقق إلاَّ بعد الإستسلام الكامل لتشريعه، ولِقضائه وقدَره، فاللـه تعالى أعلى وأجل من أن يُسأل عما يفعل ويُقَدِّر، كما قال تعالى: **[لايُسأل عما يفعل وهم يُسألون]** وهذا من أخص خصائصه وصفاته.

(4) انتفاء المعارض والمعقب من خلقه، لدليل على وحدانيته، وعظمته وكمال قدرته وعلمه، سبحانه وتعالى.

مِن عالِمٍ قَدْ سَبَقَ علمُه على إيجادِها، قالَ تعالى: **[ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطِيفُ الخبيرُ]**[1] الملك:

وقولُـه: **"والاعتـرافُ بتوحيـدِ اللــهِ ورُبُوبيَّتِــهِ"** أي: لايـتِمُّ التوحيـدُ والاعترافُ بالرُّبوبيةِ إلاَّ بالإيمانِ بصفاتِهِ تعالى، فإنَّ مَنْ زَعَمَ خالِقاً غَيْرَ اللـهِ، فَقَد أشركَ، فكيفَ بِمَن يَزْعُمَ أنَّ كُلَّ أحَدٍ يَخْلُقُ فِعْلَهُ[1]؟! ولهذا كانت القَدَريَّةُ مجوس هذهِ الأمَّـةِ.

روى أبو داود عن ابن عمَرَ، عن النبيِّ ε، قال: "القَدَرِيَّةُ مجوسُ هذهِ الأُمَّةِ، إنْ مَرِضُوا، فلا تَعودُوهُم، وإنْ ماتُوا فلا تَشْهَدُوهُم"[2].

قولُه: "فَوَيْلٌ لِمَنْ صارَ للهِ تعالى في القدَرِ خَصيماً، وأحضَرَ للنَّظَرِ فيهِ قَلْباً سقيماً، لَقد التَمسَ بوَهمِهِ في فَحْصِ الغيبِ سِرَّاً كتيماً، وعَادَ بِمَا قالَ فيهِ أَفَّاكاً أَثِيْماً".

ش: اعلَمْ أنَّ القَلْبَ لـه حياةٌ وموتٌ، ومرضٌ وشِفَاءٌ، وذلكَ أَعْظَـمُ مِمَّـا للبدَنِ، قال تعالى: **[أَوَ مَنْ كانَ ميتاً فأحييناهُ وجعلنا لَهُ نوراً يمشي بهِ في النَّاسِ كمن مَثَلُه في الظُّلُماتِ ليسَ بخارِجٍ منها]** الأنعام:

-مَرَضُ القَلْبِ نوعانِ-

قلبه المعروف وينكر المنكر. قال الهيثمي في "المجمع" 275/7: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. وعنه قال: إذا رأيتَ الفاجر فلم تستطع أن تغير عليه، فاكفهر في وجهه. قال الهيثمي في "المجمع" 276/7: رواه الطبراني باسنادين في أحدهما شريك وهو حسن الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح. ومن علامات إيمان المرء أن تسره حسنته، وتسيئه سيئته، كما جاء في الحديث: "مَنْ سَرَّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن". لذا كان من نواقض الإيمان، عدم إنكار القلب للمنكر؛ لأنه ليس بعد إنكار القلب سوى الرضى، والرضى بالكفر كفر، كما هو منصوص عليه.

قال تعالى: **[وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم]**. فهو مثلهم لأنَّ جلوسه معهم من غيرِ إكراهٍ أو إنكارٍ، قرينة دالة على الرضى بحالهم وكفرهم، ولو كان صادقاً أنه غير راضٍ بصنيعهم لخرج من عندهم وما جلس معهم.

وقال ε عن تغيير المنكر: "فإنْ لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان". وقال: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردَل". لأنه ليس وراء ذلك سوى الإقرار والرضى.

وقيل لابن مسعود من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لايعرف معروفاً ولا يُنكِرُ منكراً.

قال ابن تيمية في "الفتاوى" 41/7: فإنْ لم يكن مبغضاً لشيءٍ من المحرمات أصلاً، لم يكن معه إيمان أصلاً ا-هـ.

وقد دلَّت السنَّةُ أنَّ الراضي بالمنكر كان كفاعله وإن لم يشهده، قال رسول الله ε: "إذا عُملت الخطيئة في الأرض، كان مَن شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومَن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها". صحيح الجامع الصغير: "689".

لذا من الممكن القول: أنَّ من فعل المنكر عن ضعفٍ وهو كاره، غير مستحل له، أخفُّ جرماً وأهون بكثير ممن يرضى بالمنكر وإن لم يأته، والرضى غالباً ما يكون له قرائن عملية ظاهرة تدلُّ عليه، والمسألة قد استوفيتها بحثاً في كتابي "قواعد في التكفير" فليراجع.

ومرَضُ القلبِ نوعانِ: مرَضُ شَهْوَةٍ، ومرَضُ شُبْهَةٍ، وأَرْدَؤُهُما مرضُ الشُّبهَةِ[1]، وأَردأُ الشُّبَهِ ما كانَ مِنْ أمرِ القَدَرِ. وقَدْ يَمْرَضُ القلْبُ، ويشتدُّ مرضُهُ، ولا يَعْرِفُ به صاحِبُه، لاشتغالِهِ وانصرافِهِ عَن مَعْرِفَةِ صحَّتِه وأسبابِها، بَلْ قد يموتُ وصاحِبُهُ لا يشعرُ بموتِهِ، وعلامَةُ ذلك أَنَّهُ لا تؤلِمُهُ جِراحاتُ القبائِحِ، ولا يُوجِعُهُ جَهْلُهُ بالحَقِّ وعقائِدُهُ الباطِلَةِ. فإنَّ القلبَ إذا كان فيه حياةٌ، تألَّم بورودِ القبيحِ عليه، وتألَّمَ بجَهْلِهِ بالحقِّ بحَسْبِ حياتِهِ.

وقد يشعرُ بمرضِهِ، ولكن يشتَدُّ عليه تحَمُّلُ مرارَةِ الدواءِ والصَبْرِ عليها، فيُؤْثِرُ بقاءَ أَلَمِهِ على مَشَقَّةِ الدَّواء، فإنَّ دواءَهُ في مخالفةِ الهوى[2]، وذلك أصْعَبُ شيءٍ على النَّفسِ، وليس لهُ أنفَعُ منه.

---

(1) هو أردؤهما لأن صاحبه في الغالب لا يحس بمرضه، وبالتالي فلا ينهض لمعالجته بالدواء النافع، وهو من الذين ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

(2) اعلم أن من الهوى ما يكون طاغوتاً ومعبوداً من دون الله تعالى، وذلك عندما يُطاع ويُتَّبع في معصية الله تعالى، بحيث يجعل مصدراً للحكم على الأشياء من غير سلطان من الله، فما يراه هواه حقاً فهو الحق عنده. وما يراه باطلاً فهو الباطل عنده وإن جاء حكمه مخالفاً لشرع الله تعالى.

ومن صور طغيان الهوى والعبودية له أن تعقد الموالاة والمعاداة فيه وعليه، وليس على أساس هدي الله ووحيه، فهو يوالي ما يهواه لا ما يجب عليه أن يواليه، ويعادي من يهوى معاداته وإن كان الواجب الشرعي يقضي بموالاته ونصرته. فالهوى في هذه الصورة يكون إلهاً معبوداً من دون الله، وصاحبه في حقيقة أمره يتأله ما يهواه لا ما يجب عليه أن يتألهه ويعبده، وقد جعل من هواه طاغوتاً ونداً لله تعالى في كثير من خصائصه، كما قال تعالى: **[ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبَه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً]**، وقال: **[أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلَّه اللهُ على علم]**. وقال: **[أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا]**.

قال ابن تيمية في الفتاوى "359/8": فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، فما هويه إلهه فهو لا يتألَّه من يستحق التأليه، بل يتأله ما يهواه، وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم، ومحبة عباد العجل له، وهذه محبة مع الله لا محبة لله، وهذه محبة أهل الشرك. والنفوس قد تدَّعي محبة الله، وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله ا-هـ. نعوذ بالله من الشرك واتباع الهوى، أو نضل بعد إذ هدانا الله.

-علامَةُ مرضِ القَلْبِ عُدُولُه عنِ الأغْذِيَةِ النَّافِعَةِ إِلى الأغذيةِ الضَّارَّةِ-

وعلامَةُ مَرضِ القلبِ عُدُولُه عنِ الأغذيَةِ النَّافِعَةِ المُوافِقَةِ له إِلى الأغذيَةِ الضَّارَّةِ، وعُدولُه عن دوائهِ النَّافعِ[1] إلى دوائِهِ الضَّار. فالقلبُ الصحيحُ يؤثِرُ النَّافِعَ الشَّافي على الضَّارِّ الـمُؤْذي، والقلبُ المريضُ بِضدِّ ذلك.

-أَنْفَعُ الأَغذِيَةِ والأَدْوِيَةِ الإيمانُ والقرآنُ-

أنفَعُ الأغذيَةِ غِذاءُ الإيمانِ، وأنفعُ الأدويةِ دواءُ القرآنِ، وكلٌّ منهما فيه الغِذاءُ والدَّواءُ.

قال تعالى: **[قل هو للذين آمنُوا هُدىً وشِفَاءً]** فصلت:

قالَ عبدُ الرحمن بنُ إسماعيل المعروف بأبي شَامَة في كتابِ (الحوادث والبدع): "حيث جاء الأمر بلزومِ الجماعةِ، فالـمُرادُ لُزُومُ الحَقِّ واتباعُهُ، وإنْ كان المتمَسِّكُ به قليلاً، والـمُخالِفُ له كثيراً، لأنَّ الحَقَّ هو الذي كانت عليه الجماعةُ الأولى من عهدِ النبيِّ ε وأصحابِهِ ψ ولا نَظَرَ إلى كثرَةِ أهلِ الباطِلِ بعدَهم[1]".

وعن الحسن البصري رحمه الله أنَّه قال: "والسُّنَّةُ -والذي لا إله إلاَّ هو- بينَ الغالي والجافِي، فاصبِروا عليها رَحِمَكُمُ الله، فإنَّ أهلَ السُّنَّة كانوا أقَلَّ النَّاسِ فيما مضى وهم أقل الناس فيما بَقِيَ[2]، الذين لم يذهبوا مع أَهْلِ الإتراف في إترافِهم، ولا معَ أَهْلِ البدَعِ في بدَعِهِمْ، وصبَرُوا على سُنَّتِهِمْ حتى لَقُوا رَبَّهُم، فكونوا كذلك"[3].

---

(1) قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، لعمرو بن ميمون: جمهور الجماعة هم الذين فارَقُوا الجماعَة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعَةَ حينئذٍ.

قال ابن القيم في (أعلام الموقعين): اعلم أَنَّ الإجماعَ والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض ا-هـ.

أقول: مِمَّا تقدَّم يُعلم بطلان مذهب الديمقراطيين، حيث يعتبرون الحق الذي يجب اتباعه يكون دائماً مع الأكثرية، ولو اجتمعوا على الباطل!! ولا شك أن الأكثرية بهذا الاعتبار طاغوت يُعبَدُ من دون الله.

(2) يصدق ذلك قوله ε في (صحيح مسلم): "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء". وفي رواية: "طوبى للغرباء"، قيلَ: ومَن الغرباء يارسول الله؟ قال: "ناسٌ صالحون قليل في ناسِ سوءٍ كثير، ومَن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم". وفي رواية: "طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يُترَك، ويعملون بالسنة حين تُطفأ".

(3) قال ابن مسعود: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم كلَّ ضلالة. وقال: عليكم بالعلم، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق. وعن ابن عباس قال: عليكم بالإستقامَةِ والأثر وإياكم والتبدّع. وعن عبد الله بن المبارك، قال: أَعلم أَنَّ الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السُّنَّة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا وذَهاب الإخوان، وقِلّة الأعوان، وظهورِ البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأمة مِن ذهاب العلماء وأهل السُّنَّة، وظهور البدع.

وقولُـه: **"لقـد الـتمسَ بوهمـهِ فـي فَحْـصِ الغيـبِ سِـرَّاً كتيمـاً"** أي طلـبَ بوهمه في البحث عن الغيبِ سِراً مكتوماً، إذِ القَدَرُ سِرُّ اللـهِ فـي خَلْقِـهِ. فهو يَرومُ ببحثِهِ الاطـلاعَ علـى الغيـبِ، وقَدْ قـال تعـالى: **[عـالِمُ الغيـبِ فـلا يُظْهِرُ على غيبهِ أحداً]** الجن:

ش: قــال تعــالى: **[ذُو العَـرْشِ المَجيــدُ]** البــروج:

وفي الحديث: "ما الكرسي في العرشِ إلاَّ كَحَلْقَةٍ مِن حَديدٍ أُلقِيَتْ بينَ ظَهْرَي فلاةٍ من الأرض"[1].

وقال غيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ: الكرسيُّ بين يديّ العرشِ كالمِرْقاةِ[2] إليه.

قولُه: "وهو مُسْتَغْنٍ عِنِ العَرْشِ وما دُونَه، مُحِيطٌ بكُلِّ شيءٍ وفَوْقَهُ، وقَدْ أَعْجَزَ عنِ الإحاطَةِ خَلْقَهُ".

ش: قال تعالى: **[فإنَّ اللهَ غنيٌّ عَنِ العالمين]** آل عمران:

وليس الـمُرادُ مِن إحاطتـهِ بخلقه أنَّـه كالفلك، وأنَّ المخلوقاتِ داخِلُ ذاتـهِ الـمُقدَّسةِ، تعـالى اللـه عن ذلك عُلُوَّاً كبيراً، وإنَّما المرادُ: إحاطـةُ عظَمَـةٍ وسَعَةٍ وعِلْمٍ وقُدْرَةٍ[1]، وأنها بالنسبة إلى عظمته كالخردلةِ، كما رُوي عن

[1] مثل هذا النوع من التأويل صحيح، ومطلوب حتى لانقع في المحظور ونرد المحكم بالمتشابه، والمحكم هنا: أنَّ اللـه بائن عن خلقه غير حالٍ فيه أو العكس، وكل لفظ أو عبارة مغايرة لهذا المعنى -ظاهراً- فهو متشابه لا بُدَّ من رَدِّه إلى المحكم. وهو كقوله تعالى: **[وهو معكم أينما كنتم]** فالمعية هنا معية علم وقدرة وإرادة كما يقول ابن عباس وغيره من السَّلف، وهذا التأويل لا بد منه لأن المحكم الذي دلت عليه النصوص الشرعية أن اللـه تعالى في السماء بائن عن خلقه، ومستوٍ على عرشه استواءً يليق بكمال جلاله وصفاته. والشاهد أنه عندما تأتي ألفاظ المتشابه متعارضة في وجه من الوجوه مع المحكم فلا بد من تقديم المحكم وجعله حكماً على المتشابه، وهذا لا يعتبر من التأويل الذي يفضي إلى التعطيل والجحود، كما لو قدم المتشابه على المحكم فإنه يؤدي إلى التعطيل والجحود، كما قال تعالى: **[هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمُّ الكتاب وأخَرُ متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله]** آل عمران: 7.
قال ابن كثير في التفسير: يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من النَّاس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحَكَّمَ محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، **[وأُخر متشابهات]** أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد، وقوله: **[ابتغاء الفتنة]** أي الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم، وقوله تعالى: **[وابتغاء تأويله]** أي تحريفه على ما يريدون ا-هـ.
ومن صور التحريف الباطل المحدث في هذا الزمان، تسمية دعاة الضلالة تحريفاتهم الباطلة، وتأويلاتهم الفاسدة بالتجديد، أو فقه التجديد، أو تطوير الفقه والدين لمواكبة حاجيات العصر.. وغير ذلك من الألقاب البراقة المزخرفة الخداعة، وذلك لتمرير باطلهم وضلالهم على الأمة!!.

ابن عباس أنه قال: ما السَّماواتُ السَّبعُ، والأرضونَ السَّبعُ وما فيهنَّ وما بينَهُنَّ في يَدِ الرحمنِ، إلاَّ كَخَرْدلَةٍ في يَدِ أحدكم[1].

-إثباتُ صِفَةِ العلُوِّ والفَوْقِيَّةِ لله Y-

وأمَّا كونهُ فوقَ المخلوقات، فقال تعالى: **[وهو القاهِرُ فوقَ عبادِهِ]** الأنعام:

استوى].[1] وعرشُهُ فوقَ سبعِ سماواتٍ، قلتُ: فإنْ قالَ: إنَّهُ على العرشِ، ولكن يقول: لا أدري العرشُ في السَّماءِ أم في الأرضِ؟ قال: **هو كافِرٌ**، لأنه أنكرَ أنَّهُ في السَّماءِ، فَمَن أنكَرَ أنَّه في السَّماءِ، **فقد كَفَر**. وزادَ غَيْرُه: لأنَّ اللهَ في أعلى عليين، وهو يُدْعى مِن أَعْلَى، لا مِنْ أسْفَل[2].

-إثباتُ صِفَةِ العُلُوّ بالفطرةِ-

وأمَّا ثبوتُه بالفطرة، فإنَّ الخَلْقَ جميعاً بطباعِهم وقلوبِهم السَّليمَةِ يرفعونَ أَيْدِيَهم عندَ الدُّعاءِ، ويَقْصِدُونَ جِهَةَ العُلُوِّ بقلوبهم عندَ التضرُّعِ إلى اللهِ تعالى، وذكرَ محمد بن طاهر المقدسي، أنَّ الشيخَ أبا جعفر الهمذاني حضرَ مجلسَ الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين[3]، وهو يتكلمُ في نفي صِفَةِ العُلُوِّ، ويقول: كانَ اللهُ ولا عَرْشَ وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أَخْبِرْنَا ياأُستاذُ عن هذه الضرورة التي نجِدُها في قلوبنا؟ فإنَّهُ ما قال عارفٌ قَطُّ: يا الله، إلاَّ وجدَ في قلبهِ ضرورةً تطلُبُ العُلُوَّ[4]، لا يَلْتفتُ يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، فكيفَ ندفَعُ هذهِ الضرورةَ عَن أنْفُسِنا؟ قال: فلَطَمَ أبو المعالي على رأسِهِ ونزَلَ! وأَظُنُّهُ قال: وبكى، وقال: حَيَّرَني الهَمَذانيُّ حَيَّرني الهمذاني!

---

(1) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في مقدمة التفسير في معنى الاستواء: لفظ"استوى" في القرآن على ثلاثة أوجه: إن عُدِّيَ بـ"على" كان معناه العلو والإرتفاع كقوله تعالى: **[ثمَّ استوى على العرش]**. وإن عُدِّيَ بـ"إلى" فمعناه قصد، كقوله: **[ثمَّ استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات]**. وإن لم يُعَدَّ بشيءٍ، فمعناه "كمل"، كقوله تعالى: **[ولما بلغ أشده واستوى]** ا-هـ.

(2) أين أحناف هذا الزمان من عقيدة الإمام أبي حنيفة رحمه الله في الصفات، تراهم يتعصبون لذكره ومذهبه في العبادات والمعاملات، بينما في (الاعتقاد) الفقه الأكبر، فهم يُحايدونه ويتبعون غيره؟!!

(3) هو صاحب كتاب (غياث الأمم في التياث الظُّلَم).

(4) من العادات الحسنة التي لفتت نظري في اليمن أن عوام النَّاس عندما يأتيهم سائل يسألهم حاجته، تراهم يرفعون إصبعهم إلى السماء؛ تعبيراً على أن الرازق هو الله الذي في السماء.

قولُـه: "ونقـولُ: إنَّ اللـــهَ اتَّخَـذَ إبـراهيمَ خلـيلاً، وكَلَّـمَ موســى تكليماً، إيماناً وتَصديقاً وتَسليماً[(1)]".

ش: قال تعالى: **[واتَّخَذَ اللـهُ إبراهيمَ خَليلاً]** النسـاء:

الجَهميَّةُ حقيقَةَ المحبَّة مِنَ الجانبينِ، وكذلك أَنكَروا حقيقةَ التكليم، وكانَ أَوَّلُ مَن ابتدَعَ هذا في الإسلام هو الجَعْدُ بنُ دِرهَم، في أوائلِ المئةِ الثانيةِ، فَضَحَّى به خالِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَسْرِي أميرُ العراقِ والمشرق بواسط، خطبَ النَّاسَ يومَ الأضحى فقالَ: أَيُّها النَّاسُ ضَحُّوا، تَقَبَّلَ اللهُ ضَحاياكُم، فإنِّي مُضَحٍّ بالجعد بنِ دِرْهَم، إنَّه زعَمَ أنَّ اللهَ لم يتخِذْ إبراهيمَ خليلاً، ولم يُكَلِّم موسَى تكليماً، ثمَّ نزَلَ فذبحَهُ. وكان ذلك بفَتْوَى أَهل زَمانهِ مِنْ عُلماءِ التَّابعين ψ، فجزاهُ اللهُ عنِ الدينِ وأهله خيراً[1].

وأخذَ هذا المذهب عن الجعد الجَهْمُ بن صَفْوان[2]، فأظهره وناظرَ عليه، وإليهِ أُضيفَ قوْلُ: (الجهمية). فقتَلَهُ مسلمُ بنُ أحوز أميرُ خُراسان بها، ثمَّ انتقلَ ذلك إلى المعتزلَةِ أتباع عمرو بنِ عُبيد، وظَهرَ قَولُهم في أثناءِ خلافَةِ المأمونِ، حتى امتُحِنَ أَئمَّةُ الإسلامِ، ودَعَوْهُم إلى الموافَقَةِ لهم على ذلك.

[1] تأمَّل كيف أنَّ الجعد بن درهم قُتِل، لقوله: أن اللهَ لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، وكان ذلك بفتوى من عُلماء التابعين. فكيفَ بمن يقول: أنَّ شريعة الإسلام لا تصلح لكل زمان، وهي متخلفة عن متطلبات العصر! أو بفصل الدين عن الدولة والحياة، ويستحل الحكم بغير ما أنزلَ الله، أو بمن يشتم اللهَ والدين، وغير ذلك من العبارات الكفرية -التي توقع صاحبها في الكفر البواح- التي تكاد أن تكون مألوفة على الأسماع في مجتمعاتنا المعاصرة، التي تُسمى إسلامية!! وما من منكر، بل كل الإنكار يكون على مَن ينكر هذا الكفر والمجون، تحت ذريعة التطاول على الحريات الشخصية التي تضمن للمرء ممارسة الكفر من أوسع أبوابه!!

[2] قال الذهبي عنه في ميزان الاعتدال 426/1: الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً ا-هـ.

وله كلام في الإيمان غريب عجيب، مفاده أن الإيمان هو تصديق القلب ومعرفته وإن جاء مجرَّداً عن النطق والعمل، وهذا لزمه أن يحصر الكفر في التكذيب القلبي المضاد للتصديق القلبي، ورغم بطلان هذا المذهب وتكفير السَّلَف للقائلين به، فإنه يوجد كثير ممن يتصدرون مجالس الدعوة والافتاء في زماننا المعاصر الذين يقولون بهذا القول، وإن لم يُسَمُّوا أنفسهم جهميين، فالعبرة بالتحلي وليس بالتسمي.

قولُـه: "ونُـؤْمِنُ بالملائكَـةِ والنَّبيـينَ، والكُتُـبِ الـمُنْزَلَةِ علـى المُرسَلِينَ، ونَشْـهَدُ أَنَّهُم كانُوا على الحَقِّ المُبينِ".

ش: هذه الأمور مِن أركانِ الإيمان، قال تعالى: **[آمنَ الرَّسولُ بما أُنْزِلَ إليهِ مِنْ رَّبِّهِ والمؤمنونَ كُلٌّ آمَنَ باللـه وملائكتـهِ وكُتُبـهِ ورُسُلِه]** البقرة:

[ومَنْ يكفُرْ باللــهِ وملائكتـهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ فقَدْ ضَلَّ ضلالاً بعيدَاً]
النساء:

قال تعالى: [**فالمُدَبِّراتِ أَمْرَاً**][1] النازعات: 5. [**فالمُقَسِّماتِ أَمْرَاً**][2] الذاريات: 4. وهم الملائكةُ عندَ أهلِ الإيمان وأتباع الرُّسُلِ. فالملائكةُ أَعظَمُ جنودِ الله، ومِنْهُم: المُرْسَلاتُ عُرْفاً[3]، والنَّاشِراتُ نَشْرَاً[4]، والفارِقاتُ فَرْقاً[5]، والمُلْقياتُ ذِكْراً[6].

وَمنهُمْ: النَّازِعات غَرْقاً[7]، والنَّاشِطات نَشْطاً[8]، والسّابِحَات سَبْحَاً[9]، فالسَّابقات سَبْقاً[10].

ومنهم: الصَّافات صفَّاً[11]، فالزَّاجِرات زجْراً[1]، فالتاليات ذِكْراً[2].

---

(1) قال ابن عباس: هم الملائكة وُكِّلُو بأمورٍ عَرَّفهم الله Y العمل بها.

(2) قال البغوي: هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلقِ على ما أُمِروا به.

(3) قال البغوي: يعني الرياح أُرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل عرفاً أي كثيراً، هذا معنى قول مجاهد وقتادة.

(4) قال البغوي: يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشراً بين يدي رحمته. وقال مقاتل: هي الملائكة ينشرون الكتب.

(5) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرقُ بين الحق والباطل.

(6) قال البغوي: يعني الملائكة تُلقي الذكر إلى الأنبياء.

(7) قال البغوي: يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم. والمراد بالإغراق المبالغة في المد.

(8) قال البغوي: هي الملائكة تنشطُ نفس المؤمن، أي تحل حلاً رفيقاً فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير. قال ابن عباس: هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة.

(9) قال البغوي: هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلاً رفيقاً، ثمَّ يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرفق به. وقال مجاهد وأبوصالح: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يُقال له سابح إذا أسرع في جريه.

(10) قال مجاهد: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

(11) قال ابن عباس: والحسن وقتادة: هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة .

ومـنهم ملائكـةُ الرَّحمـةِ، وملائكـةُ العـذابِ، وملائكـةٌ قَـدْ وُكِّلُـوا بِحمـلِ العرْشِ، وملائكةٌ قد وُكِّلُوا بِعمـارَةِ السماوات بالصـلاةِ والتسبيحِ والتقديس، فهُم رُسُلُ اللـهِ في خَلْقِهِ وأَمْرِه، وسُفراؤهُ بينَـهُ وبـينَ عبـادِهِ، ينزِلُـونَ بـالأمرِ مِنْ عندِهِ في أقطارِ العالَم، ويصعدونَ إليه بالأمر.

-الملائِكَـةُ عِبَادُ اللـهِ وَجُندهُ يَفعلُونَ ما يُؤمَرونَ-

الملَك رسولٌ مُنَفِّذٌ لأَمرِ مُرسِلِه، فليسَ لهم من الأمر شـيءٌ، بل الأمـرُ كُلُّـهُ للهِ الواحـدِ
القَهَّار، وهم يُنفِّذونَ أَمرَه: **[لا يسبِقُونَـهُ بالقَوْلِ وهم بأمرِهِ يعمَلُون. يَعْلَـمُ مـا بـينَ أَيْـديهِمِ ومـا خَلْفَهُـم ولا يشـفعُونَ إلاَّ لِمَـنِ ارتضـى وَهُـمْ مـن خَشْـيَتِهِ مُشْـفِقُونَ]** الأنبيـاء:

-فِي الـمُفاضَلَةِ بينَ الملائِكَةِ وصَالِحي البَشَرِ-

وقد تكَلَّمَ النَّاسُ في المفاضَلَةِ بينَ الملائِكَـةِ وصـالِحي البَشَـرِ، ويُنسَـبُ إِلـى أهلِ السُّنَّةِ تفضيلُ صـالحـي البَشَـرِ أو الأنبيـاء فقط علـى الملائِكَـة. والشـيخُ رحمـه اللـه لَمْ يتعـرَّضْ إلـى هذه المسألةِ بنفيٍ ولا إثبـاتٍ، ولَعَلَّـهُ يكونُ قد تَرَكَ الكلامَ فيها قَصْداً، فـإنَّ الإمـامَ أبـا حنيفة رحمـه اللـه وقَفَ فـي الجوابِ عنها، علـى مـا ذكره فـي (مآل الفتـاوى) [1]، فإنَّـهُ ذكرَ مسـائِلَ لـم يَقطَـعْ أبـو حنيفـةَ فيهـا بجـوابٍ، وعَدَّ منهـا: التفضـيل بـينَ الملائِكَـة والأنبيـاء. وهذا هو الحَق فإنَّ الواجِبَ علينا الإيمانُ بالملائكةِ والنبيين، وليسَ علينـا أنْ نَعتقِدَ أيُّ الفريقينِ أفْضَلُ، فإنَّ هذا لو كان من الواجِبِ لَبُيِّنَ لنـا نَصّـاً، وقد قـال تعـالـى: **[اليـومَ أكملـتُ لَكُـم ديـنَكُم]** المائـدة: 3. **[ومـا كـانَ رَبُّـكَ نَسـيّاً]** مـريم:

وحاصِلُ الكلامِ: أنَّ هذه المسألَةَ مِن فضولِ المسائِلِ، ولهذا لم يتعَرَّضْ لها كثيرٌ مَن أهلِ الأصولِ، واللـه أعلم بالصواب.

-وُجوبُ الإيمانِ بجميعِ الأَنبياءِ والرُّسُلِ-

وأَمَّا الأنبياءُ والمرسَلونَ، فعلينا الإيمانُ بِمَنْ سَمَّى اللـهُ تعالى في كتابِهِ من رسله، والإيمانُ بأنَّ اللـهَ تعالى أرسلَ رُسُلاً سواهم وأنبياء لا يَعلَمُ أَسماءَهُم وعدَدَهم إلاَّ اللـهُ تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمانُ بهم جُملَةً، لأنَّه لم يأتِ في عددهم نَصٌّ.

قال تعالى: **[ولقد أرسَلْنَا رُسُلاً مِن قبلِكَ مِنهم مَّنْ قَصَصْنا عليكَ ومِنْهُمْ مَّنْ لم نَقْصُصْ علَيْكَ]** غافر:

تعالى: **[فَهَلْ على الرُّسُلِ إلاَّ البلاغُ الـمُبينُ]** النحل:

اللـهِ، وأنَّها حقٌّ وهُدى ونورٌ وبيانٌ وشفاءٌ. وأمَّا الإيمانُ بالقرآنِ، فالإقرارُ بِهِ، واتباعُ ما فيهِ، وذلك أمرٌ زائدٌ على الإيمان بغيرِهِ من الكتبِ[2].

قولُه: "ونُسَمِّي أَهْلَ قبلَتنَا مُسلمين مؤمنينَ، ما داموا بما جاءَ بِهِ النبيُّ ε مُعتَرِفينَ، ولَهُ بِكُلِّ ما قالَهُ وأخبرَ مُصَدِّقينَ".

ش: قالَ رسُولُ اللـهِ ε: "مَن صَلَّى صَلاتَنا، واستقبلَ قبلَتَنا، وأكَلَ ذَبيحَتَنا فهو الـمُسْلِمُ، له ما لَنا وعليه ما علينا"[3].

---

(1) مع الإنتباه أنَّ الأناجيل الموجودة الآن في أيدي النصارى واليهود، قد اعتراها التحريف والتغيير والتبديل من قبل أحبارهم ورهبانهم، وبالتالي لا يجوز نسبتها إلى اللـه تعالى.

(2) لأن القرآن جاء خاتماً للكتب السماوية، ومهيمناً عليها، وناسخاً لها، وبالتالي فهو الكتاب الذي يجب على البشرية أن تدين به وتعمل بجميع ما جاء فيه، ومهما التمست الهداية من غير طريق القرآن، فقد ضلَّت ووقعت في الهلاك والخسران.

قال رسُول اللـه ε: "القرآن حجة لك أو عليك".

وقال: "أبشروا فإنَّ هذا القرآن طرفه بيد اللـه، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبداً". رواه الطبراني، صحيح الجامع الصغير: (34).

(3) رواه البخاري وغيره. فيه أن من كانت هذه صفته لا يجوز الإقدام على تكفيره، ما لم يظهر منه ما ينقض الإيمان، وكذلك من كانت هذه صفته يُحكم عليه بالإسلام ومن دون أن يُسأل عن عقيدَته، أو يُجرى له اختبار في التوحيد، فمثل هذا الصنيع لم يؤثر عن السَّلَف الصالح، بل هو من خلق الخوارج الغلاة.

وكذلك فيه: أنَّ تارك الصلاة، أو من انتفت عنه هذه الصفات فهو غير مسلم، هذا ما يقتضيه مفهوم المخالفة للحديث واللـه تعالى أعلم. قال حنبل: حدثنا الحميدي قال: وأخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً. إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: **هذا الكفر الصراح**، وخلاف كتاب اللـه وسنة رسُوله وعلماء المسلمين، قال تعالى: **[وما أُمروا إلاَّ ليعبدوا اللـه مخلصين له الدين]**.

يشير الشيخُ أنَّ المسلمَ لا يَخْرُجُ مِنَ الإسلامِ بارتكابِ الذنبِ[1] ما لم يَستحِلُّه، أو يُكذِّبْ بشيءٍ مِمَّا جاءَ به الرَّسُول ε[2].

قولُه: "ولا نَخُوضُ في اللـهِ، ولا نُماري في دينِ اللـهِ".

ش: يُشيرُ الشيخُ إلى الكفِّ عَن كلامِ المتكلمين الباطلِ، وذَمِّ علمهم، فإنهم يتكلَّمونَ في الإله بغيرِ عِلْمٍ وغيرِ سُلطانٍ أتاهم: **[إنْ يَتَّبِعونَ إلاَّ الظنَّ وما تَهوى الأَنْفُسُ ولَقَدْ جاءَهُمْ مِن رَّبِّهِمُ الهُدى]** النجم:

قولُـه: "وَلا نُجَـادِلُ فـي القـرآنِ، ونَشْـهَدُ أَنَّـهُ كَـلامُ رَبّ العـالَمينَ، نَـزَلَ بِـهِ الـرُّوحُ الأمـينُ، فعَلَّمَـهُ سَيِّدَ المرسلين مُحَمَّـداً صلى اللــه عليه وعلى آلِه أجمعينَ. وهو كَلامُ اللـه تعالى لا يُساويه شيءٌ مِنْ كــلامِ الــمَخْلُوقينَ، ولا نقــولُ بخَلْقِــهِ، ولا نُخــالِفُ جماعَــةَ الـمُسلِمينَ".

ش: فقوله: **"ولا نجادِلُ في القرآن"** أي: لا نقولُ فيه كما قال أهلُ الزيـغِ واختلَفوا، وقالوا: (هو مخلوق)، بل نقول: **"إنـه كـلامُ ربِّ العالَمين نـزَل بـه الرُّوحُ الأمين".**

وكذلك لا نُجادِلُ في القراءاتِ الثَّابتَةِ، بل نقرَؤُه بكُلِّ ما ثبَتَ وصَحَّ، عن عبد اللـهِ بن مسعود، قال: سمعتُ رَجُلاً قَرأَ آيـةً سمعتُ رسولَ اللـهِ ε يقرأ خِلافَها، فأخذتُ بيده، فانطلقتُ به إلى رسُولِ اللـهِ ε، فذكرتُ ذلك له، فعَرَفتُ في وجهِ الكراهَةَ، وقال: "كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، ولا تختَلِفُوا، فإنَّ مَنْ كانَ قبلَكُم اختلَفُوا فَهلكُوا"[(1)].

وقولُه: **"نَزَلَ به الرُّوحُ الأمينُ"**، هو جبريلُ عليه السلام، سُـمِّيَ رُوحـاً لأنَّـهُ حامِلُ الوحي الذي به حياةُ القلوبِ إلى الرُّسلِ من البشر صلواتُ اللـهِ عليهم أجمعين.

قال تعالى: [**نَـزَلَ بـهِ الـرُّوحُ الأمينُ. على قَلْبِكَ لتكونَ من الـمُنذِرِينَ**] الشعراء:

قولُه: "ولا نُكَفِّرُ أحداً من أَهْلِ القبلةِ بذنبٍ ما لم يستحِلَّهُ[1]، ولا نقولُ: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ لِمَن عَمِلَهُ".

والجماعة تُعرف بملازمتها الحق وإن قلَّ عددها، فقد جاء في صحيح مسلم وغيره "إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلاَّ رجلٌ واحد".

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لعمرو بن ميمون: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذٍ.

قال ابن القيم في أعلام الموقعين: اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض ا-هـ.

فإذا عرفت ذلك -يا مسلم- فعليك بحبل الله المتين فاستعصم به، ولا يغرنك كثرة سواد الباطل وزينة الدنيا التي اجتمعت له، فإنما هم حطب لجهنم يوم القيامة، ولا يصدنك عن الحق وتكثير سواده قلة أهله وأعوانه، فإنَّ الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وكون مخالفة جماعة المسلمين زيغاً وضلالاً وبدعة، فهو لقوله تعالى: **[ومن يشاقق الرَّسُول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً]** النساء: 115.

قال ابن تيمية في الفتاوى (38/7): فإنهما متلازمان فكل من شاق الرَّسُول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرَّسُول من بعد ما تبين له الهدى، فإنَّ كان يظن أنه متبع سبيل المؤمنين وهو مخطئ فهو بمنزلة من ظن أنه متبع للرسول وهو مخطئ.

وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرَّسُول، وإن كان ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن الرَّسُول، فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فإنها مِمَّا بين الله فيه الهدى، **ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البين**. وأمَّا إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به، فهنا قد لا يقطع بأنها مِمَّا تبين فيه الهدى من جهة الرَّسُول، ومخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر. وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر ا-هـ.

[1] يُراد من الذنب الذنب الذي هو دون الكفر والشرك؛ كالسرقة، والزنى، وشرب الخمر وغيرها من الذنوب التي هي دون الكفر الأكبر -مخالفة

ش: يشيرُ الشيخُ إلى الردِّ على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب[1].
واعلم أن بابَ التكفير وعدَم التكفير[1]، بابٌ عَظُمَت الفتنةُ والمحنة فيه،

للخوارج الذين يُكفِّرون بكلِّ ذنب- فمثل هذه الذنوب لا يصح تكفير صاحبها إلاَّ إذا مارسها على وجه الاستحلال والتحسين، لوجود أدلة وقرائن شرعية تصرف الكفر الأكبر عن صاحب هذه الذنوب، أما إذا كان الذنب كفراً أكبر فصاحبه يُكفَّر سواء استحله أو لم يستحله، فالاستحلال نوع من أنواع الكفر وليس كل أنواع الكفر، والشرك كفر مخرج من الملة لذاته سواء ضُم إليه عنصر الاستحلال أو لم يُضم.

وقد روى الخلاّل بسنده إلى الإمام أحمد بن حنبل، قال جاء رجلٌ فسأل أبا عبد الله فقال: يا أبا عبد الله إجماع المسلمين على الإيمان بالقدر خيره وشره؟ قال أبو عبد الله: نعم، قال: ولا نكفر أحداً بذنب؟ فقال أبو عبد الله: اسكت، **من ترك الصلاة فقد كفر، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر** ا-هـ.

وقال ابن تيمية في الفتاوى (302/7): ونحن إذا قلنا: أهل السُّنَّة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب، **فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب** ا-هـ.

ومن غرائب مرجئة العصر -الذين يتتبعون العثرات والزلات والمتشابهات- أنهم يعتبرون الاستحلال شرطاً للتكفير في مطلق الذنوب بما في ذلك الذنوب التي تعتبر شركاً وكفراً أكبر، مستدلين على شذوذهم هذا بمقولة أَهْل العلم "لا نكفِّر أحداً من أَهْل القبلة بذنب ما لم يستحله"!، ودرءاً لهذا الإستغلال السيء أرى أن تقيد هذه المقولة بالقيد التالي، حيث تصبح: **"لانكفِّر أحداً من أَهْل القبلة بذنب دون الكفر ما لم يستحله"** والله تعالى أعلم.

(1) تأمل كيف فسر الشارح -رحمه الله- المقولة على أنها رد على الخوارج وأصولهم الذين يكفِّرون بكل ذنب. والخوارج فرقة ضالة -اختُلف في تكفيرها- أبرز ما يميزهم محاربتهم لأَهْل القبلة من المسلمين، وتركهم لأهل الشرك والأوثان، وتكفيرهم النَّاس بالظنون المرجوحة وبالكبائر والذنوب التي هي دون الكفر. وقد خصهم النبيُّ ε بطائفة من الأحاديث، محذراً الأمة من فتنتهم وشرِّهم، حاضاً على قتلهم وقتالهم إلى أن يعودوا عن غلوِّهم إلى دين الحق راشدين تائبين، منها ما ذكره البخاري في صحيحه تحت باب (قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم":

قال رسُول الله ε: "سيخرج قومٌ آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من

الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة".

وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

وكذلك قوله ε: "يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد". (متفق عليه).

وقال ε: "سيخرج من أمتي قوم يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلواتكم إلى صلواتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يرون أنه لهم وهو عليهم، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية". (مسلم).

وقال: "إن بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يُجاوز تراقيهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثمَّ لا يعودون فيه، هم شرُّ الخلق والخليقة". (مسلم).

ومن صفاتهم كذلك قوله ε فيهم: "يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يجد شيئاً، ثمَّ ينظر في القدح فلا يوجد شيئاً" (أحمد وغيره).

وقال: "يدعون إلى كتاب الله وليسوا من الله في شيء، فمن قاتلهم كان أولى منهم"، فكان أول من قاتلهم علي بن أبي طالب τ في النهروان.

وقال ε: "طوبى لمن قتلهم وقتلوه"، وقال: "الخوارج كلاب أَهْل النار". (ابن أبي عاصم في السُّنَّة). وغيرها كثير من الأحاديث التي تحذر من الخوارج وفتنتهم وشرهم، أعاذنا الله منهم ومن شرهم، ومن أن نكثر سوادهم بشيء، أو نقف في ظلهم، أو ننصر باطلهم ولو بشطر كلمة واحدة.

ومما يحسن ذكره هنا -انصافاً للحق، وانتصاراً لإخوان غيَّبتهم سراديب سجون الطواغيت، لا ذنب لهم سوى أنهم دعاة إلى الله- أن مرجئة العصر ومن لفَّ لفهم من علماء الطواغيت والسوء يحملون هذه الأحاديث الآنفة الذكر -التي قيلت في الخوارج- على الموحدين المجاهدين من أَهْل السُّنَّة والجماعة الذين آلوا على أنفسهم مقارعة الكفر والظلم والطغيان، ترهيباً وتشكيكاً لهم ولأتباعهم عما هم عليه من الحق المبين، وانتصاراً وذوداً عن طواغيت الكفر والفجور. ومن قياساتهم الباطلة الجائرة أنهم يقيسون خروج أهل الجهاد والتوحيد على طواغيت الكفر الذين اجتمعت فيهم جميع خصال الكفر والنفاق على خروج الخوارج على علي بن أبي طالب τ!! بئس القياس ما يقيسون وما يقولون.

وكثُـرَ فيـه الافتـراق. وتشـتَّــت فيــه الأهـواءُ والآراءُ، وتعارضَــت فيــه دلائِلُهـم، فالنـاسُ فيـه علـى طرفـين ووسـط[2].

-القول بأنَّا لا نكَفِّرُ من أَهْل القبلة أحداً، لا يَصُحُّ على إطلاقه-

فطائِفةٌ تقول: لا نُكَفِّرُ من أهل القبلـة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عامّـاً، مـع العلـم بـأن فـي أهـل القبلـة المنـافقين، الـذين فـيهم مَـنْ هـو أكفَرُ مـن اليهـود والنصارى، وفيهم مَنْ قد يُظهرُ بعض ذلك حيث يُمكِنُهم، وهم يتظـاهرون بالشهادتين[3].

---

[1] هذا ما يقتضيه الإنصـاف، وهو الإشـارة إلـى الإفراط والتفريط الحاصـل في التكفيـر وعـدم التكفيـر، ظاهـرة الغلـوّ والإرجــاء ســواء، أمـَّا الإشــارة إلــى الإنحـراف في جانب وغض الطرف -رهبة أو رغبـة- عن الجانب الآخر، فهذا بخلاف ما تقتضيه الأمانة العلمية والبيان الذي يرتضيه ربنا سبحانه وتعالى.

[2] الطرفان هما: طرف يتمثل فـي الخـوارج ومـن كـان علـى شـاكلتهم مـن الغـلاة، وطرف يتمثل في

المرجئـة الـذين أرجـأوا وأخَّـروا العمـل عـن الإيمـان، وقـالوا: الإيمـان تصـديق وقول، وغلاتهم من الجهمية قالوا: الإيمان هو التصديق بالجنـان فقط، ورتبـوا على إعتقادهم الفاسد هذا حصـر الكفـر فـي الجحـود أو التكـذيب القلبـي المضـاد للتصديق!!

ومن سماة المرجئـة أنهم يقللون مـن أهميـة العمـل، ويهتمـون بأحاديث الوعد دون غيرها من نصوص الوعيد!.

أمَّا الطرف الوسط: فهو طرق الحق المتمثل في عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعـة في الإيمـان؛ وهـو أن الإيمـان اعتقـاد وقـول وعمـل، وكـذلك الكفـر يكـون بـالاعتقـاد وبالقول والعمل، وهذه مسألة سنأتي إلى بحثها بشيء من التفصيل في موضعها إن شاء اللـه.

[3] وهـذه ظـاهرة قد تكـون مألوفـة فـي زماننـا المعاصـر -وعلـى مستوى الحـاكم والمحكوم- فلا حرج عند القوم أن ينطقوا بشـهادة التوحيد وكلما طلب منهم ثـمَّ بالمقابل يمارسـون الكفـر مـن أوسـع أبوابـه ومجالاتـه، ولا شـك أن مِمَّـا أعـانهم على هذا الكفر والنفاق مشايخ الإرجاء الـذين يُفتـونهم بـأنهم مسلمون ومـن أَهْـل الجنـة، وشـفاعة الشـافعين تطـالهم، ولا حـرج عليهم مـا دامـوا ينطقـون بشـهادة التوحيد!

وللإعذار والتنبيه فإننا نقول: من اجتمع فيه كفر أو شرك وإيمـان فـإنَّ إيمانـه لا ينفعه فـي شـيء، لأن الشـرك يحبط الإيمـان والأعمـال كليـاً، كمـا قـال تعـالى:

ولهذا **امتنع كثيرٌ من الأئمة** عن إطلاق القول: بأنَّا لا نكفِّر أحداً بذنبٍ، بل يُقال: لا نكفرهُم بكل ذنبٍ كما تفعل الخوارج[1].

[لئن أشركت ليحبطن عملُك ولتكونَنَّ من الخاسرين]. وقال تعالى: **[ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون]**. فمن يأتي بالإيمان والكفر معاً كمن يأتي بالشيء وضده أو بما ينافيه في آنٍ معاً، ومثله مثل من يقر بالتوحيد ثمَّ من جهة يقر بآلهة أخرى مع الله ويعبدها من دون الله، وهذا أنَّى أن يثبت له إيمانه وتوحيده فإنَّ الإيمان والكفر لا يمكن اجتماعهما في قلب واحد، كما جاء في الحديث الصحيح: "لا يجتمع إيمان وكفر في قلب امرئٍ"، فالله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: دين النبي ε التوحيد، وهو معرفة لا إله إلا الله محمد رسُول الله والعمل بمقتضاها، فإنْ قيلَ: كل النَّاس يقولونها، قيلَ: منهم من يقولها ويحسب معناها أنه لا يخلق إلاَّ الله ولا يرزق إلاَّ الله وأشباه ذلك، ومنهم لا يفهم معناها، ومنهم من لا يعمل بمقتضاها، ومنهم من لا يعقل حقيقتها، وأعجب من ذلك من عرفها من وجه وعاداها وأهلها من وجه! وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها!! يا سبحان الله العظيم أتكون طائفتان مختلفتين في دين واحد وكلهم على الحق؟! كلا والله، فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال ا-هـ (الرسائل الشخصية:

-إنكارُ ما هو معلومٌ من الدين بالضرورَةِ، كُفرٌ-

فلا خلافَ بين المسلمين أنَّ الرجُلَ لو أظهر إنكارَ الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرماتِ الظاهرة المتواترة، فإنه يُستتابُ[1].

كان بواحاً يُمارَسُ على غير وجه الاعتقاد أو الاستحلال القلبي لا يُخرِجُ عنده من الملة!!.

فانظر مثلاً ماذا يقول في كتابه الأخير (التحذير من فتنة التكفير!!) الذي جاء تأصيلاً لعقيدة

جهم في الإيمان والوعد والوعيد: (وخلاصة الكلام: لا بد من معرفة أن الكفر -كالفسق والظلم- ينقسم إلى قسمين: كفرٌ وفسق وظلم يُخرِج من الملة، **وكلٌّ ذلك يعود إلى الاستحلال القلبي**. وآخرُ لا يُخرِج من الملة؛ يعود إلى الاستحلال العمليّ)!! ا-هـ، ص68.

مفاد كلامه أن أي كفر مهما كان بواحاً ومُستحلاً في الظاهر والعمل ولكن لا ينعقد استحلاله في القلب فهو لا يُخرِج من الملة، وهذا مطابق لعقيدة جهم بن صفوان الذي يحصر الكفر في التكذيب القلبي وحسب!.

وللشيخ شريط بعنوان: (الكفر كفران) فيه من العجب العجاب -وهو لا يختلف عما أصله في كتابه التحذير!- قد رددنا عليه بمصنف يزيد عن المائتي صفحة، بإمكان القارئ مراجعته.

تنبيه: نسجل هذه الملاحظة على عنوان كتاب الشيخ (التحذير من فتنة التكفير) إذ كيف يحذر من التكفير وفتنته، والتكفير حكم شرعي ومصطلح أطلقه الشارع في الكتاب والسُّنَّة؟! وكان الصواب أن يقول: (التحذير من فتنة الغلو في التكفير)، فهذا أصح وأدق والله تعالى أعلم.

[1] فإنه يُستتاب على أنه قد كفر وارتدَّ، إلاَّ إذا كان إنكاره بسبب عجزه عن معرفة الحق فيما قد خالف فيه، فهنا تقام عليه الحجة الشرعية وهي تختلف عن الاستتابة التي تأتي بعد معاندة الحجة الشرعية. فقيام الحجة تكون لمن يقع في الكفر -لجهل لا يمكن دفعه- لكن هو لم يكفر، أمَّا الاستتابة تكون لمن وقع في الكفر وكفر بعينه.

والاستتابة مذهب جمهور أَهْل العلم وأكثر الصحابة، قال القاضي عياض في الشفا (2/

فإنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ كافراً مرتداً[1].

-البِدَعُ والفجورُ مظنتان للنفاق والردَّةِ-

النفاقُ والردة مظنتهما[2] البِدَعُ والفجورُ، كما ذكره الخلاَّلُ في كتابه (السُّنَّة) بسنده إِلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرَعَ النَّاس رِدَّةً أَهْل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: **[وإذا رأيتَ الذين يخوضون في آياتنا فأعرِضْ عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرهِ]** الأنعام:

الكفر طاعة. فهؤلاء في طرَفٍ، والخوارج[1] في طرَف، فإنهم يقولون: نكفِّرُ المسلمَ بكل ذنبٍ كبير.

هو (القلب) والنظر إليه: (فإنْ كان القلبُ مؤمناً والعملُ كافراً، فهنا يتغلب الحكم المستقر في القلب على الحكم المستقر في العمل)!! هكذا يقولون، وهكذا يُدَرِّسون وينشرون!!

لذا لا غرابة ولا عجب من هذا الإحترام والكرم المتبادلين -والملحوظين عبر التاريخ وإلى أيامنا هذه- بين طواغيت الحكم والكفر ومشايخ الإرجاء؛ فالطواغيت يمنون على مشايخ الإرجاء بالمال والعطايا والهبات والامتيازات ويجعلونهم من المقربين، ومشايخ الإرجاء بالمقابل يكرمون على الطواغيت بمزيد من التأويلات والتسويغات والتبريرات والفتاوى الباطلة التي تمنع من تكفيرهم وتبقيهم في دائرة الإسلام..!! فالإحترام متبادل، والمصالح مشتركة!!.

وهذه النفَس الإرجائي الإتكالي التبريري لا شك أنه انعكس سلباً على أخلاق وسلوك الأمة، وعلى مستوى الحاكم والمحكوم؛ فهذه مظاهر التفريط بالحكم بما أنزل الله نراها -على مدار الساعة- أمام أعيننا، وكذلك ظاهرة ترك الصلاة، وغيرها من الواجبات، ولم يبق لكثير من النَّاس -بفعل سموم الإرجاء- من إسلامهم سوى أسمائهم الإسلامية التي تنم عن انتسابهم لأبوين مسلمين، وهذا يكفيهم لأن يعاملوا معاملة المسلمين من حيث الحقوق والواجبات..!!

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (394/7): فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء حتى قال إبراهيم النخعي لفتنتهم -يعني المرجئة- أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة. (والأزارقة هم فرقة من الخوارج نسبة إلى نافع بن الأزرق).

وقال الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضرُّ على أَهْله من الإرجاء.

وقال الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كثير، وقتادة يقولان: ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء.

وقال شريك القاضي -وذكر المرجئة فقال-: هم أخبث قوم، حسبك بالرافضة خبثاً، ولكن المرجئة يكذبون على الله.

وقال سفيان الثوري: تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابري. ا-هـ. والثوب السابري: هو الثوب الشفاف الرقيق الذي يشف ما تحته، تشبيهاً لدين المرجئة الرقيق الذي ليس على شيء.

[1] قال ابن تيمية فيهم في الفتاوى (7/

-الفَرق بين الخوارج والمعتزلة في مسألة الوعيد-

المعتزلةُ يقولون: يَحبَطُ إيمانُهُ كُلُّه بالكبيرَةِ، فلا يبقى مَعَهُ شيءٌ من الإيمانِ. لكن الخوارج يقولون: يخرجُ مِنَ الإيمان ويدخُلُ في الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرجُ من الإيمانِ، ولا يدخلُ في الكفرِ، وهذه المنزِلَةُ بين المنزلتين!! وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلودَ في النارِ[1]!.

-تكفيرُ العّام غير تكفير المـعَيَّن[2]-

ε: "يقتلون أَهْل الإسلام ويدعون أَهْل الأوثان"، وكفَّروا علياً بن أبي طالب، وعثمان بن عفان ومن والاهما، وقتلوا علياً بن أبي طالب مستحلين لقتله؛ قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي منهم، وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهالاً فارقوا السُّنَّة والجماعة. فقال هؤلاء: ما النَّاس إلاَّ مؤمن أو كافر، والمؤمن فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلد في النار، ثمَّ جعلوا كل من خالف قولهم كذلك. ا-هـ.

[1] اتفقت المعتزلة مع الخوارج في أنَّ أَهْل الكبائر خارجون عن الإيمان، ومخلدون في النار، وأن شفاعة الشافعين يوم القيامة لا تطالهم ولا تنفعهم، واختلفوا معهم في وصفهم، فالخوارج قالوا عن أهل الكبائر: كفار، والمعتزلة أمسكوا عن هذا الإطلاق، وقالوا: هم ليسوا بمؤمنين ولا كفار وإنما فساق، فاتفقوا في الأصل واختلفوا في الوصف والاسم!

[2] أي أن تكفير العام لا يستلزم دائماً تكفير المعين؛ لاحتمال وجود موانع التكفير المعتبرة شرعاً عند المعين التي تمنع من تكفيره أو لحوق الوعيد به، أمَّا في حال انتفاء موانع التكفير عنه، فإنَّه يجري عليه حكم الكفر الذي وقع فيه ويُكفَّر بعينه لا محالة، وعليه فإننا نقول: **من أظهر لنا الكفر -من غير مانعٍ شرعيٍّ معتبر يمنع من تكفيره- أظهرنا له التكفير بعينه.**

ومما يشيعه وينشره مشايخ الإرجاء -في هذا الزمان- أن التكفير ينبغي أن يكون بالعموم لا بالتعيين، مهما كان الكفر بواحاً وقد انتفت عن المعين موانعه، فانظر مثلاً ماذا يقولون في كتابهم الأثري السَّلَفي -كما زعموا- (إحكام التقرير) والذي جاء تشويهاً لعقيدة السَّلَف: (فمن قامت عنده حجة على مسلم أنه مستحل لما حرم الله من قطعيٍّ من قطعيات الشريعة، فالأقوى والأتقى أن لا يُجزم إلاَّ بتكفير القول الصادر عنه أو الفعل وما شابه، ولا يُجزم بكفر الشخص عينه، فضلاً أن يدعو النَّاس إلى تكفيره، وغير ذلك من الهوَج المتلبِّس باسم الشريعة...) إلى أن قالوا: (فإذا انتفت هذه الاحتمالات كلها عندك

الأقوالُ الباطِلَـةُ المبتَدَعـةُ المُحَرَّمَـةُ المتضـمِّنَـةُ نَفـيَ مـا أثبتَـهُ الرَّسُـول، أو إثباتَ ما نفاهُ، أو الأمرَ بمانهى عنه، أو النَّهيَ عَمَّا أمَرَ به، يُقالُ فيها الحَقُّ، ويُثْبَتُ لها الوعيدُ الذي دَلَّت عليه النصوصُ، ويُبيَّنُ أنها كُفْرٌ، ويُقالُ: **مَنْ قالها، فهو كافِرٌ**. وأمَّا الشخصُ المُعَيَّنُ، إذا قِيلَ: هل تشهدونَ أنَّه مِن أَهْلِ الوعيدِ[1]، وأنَّهُ كافر؟ فهذا لا نشهَدُ عليه إلاَّ بأمرٍ تَجوزُ معهُ الشَّهادَةُ[1]،

-وهي جميع موانع التكفير المعتبرة وغير المعتبرة- فلا يلزم أن تنتفي عند غيرك من المسلمين، فيكفيك أن تحكم على القول أو الفعل أنه كفرٌ احتياطاً وورعاً..)!!.

فتأمل، فَهُم باسم ورعهم البارد هذا واحتياطهم المرجوح الخاطئ، يمسكون عن تكفير من يكفر على أصول جهم بن صفوان، ويريدون أن يظلَّ الكفر معلقاً عاماً لا واقع له ولا أعيان متلبسين به، وكأنهم يقولون: يوجد كفر ولكن لا يوجد كفار، وأن جهنم يوم القيامة ستمتلئ بالكفر لا بالكفار!!.

تنبيه: قد كثر الكلام -إفراطاً وتفريطاً- على موانع التكفير، فريق يوسع دائرة موانع التكفير فيدخل فيها ما ليس منها، وفريق يضيق دائرة الموانع فيخرج منها ما هو منها، ومن غير ضابط يضبط المانع المعتبر من غير المعتبر، لذا فإننا نقول: تُعرَفُ جميع موانع التكفير المعتبرة شرعاً -على اختلاف صورها وأشكالها- بضابط واحد؛ وهو **تحقيق العجز عند المخالف عن دفع الكفر الذي وقع فيه**، وأي مانعٍ لا يحقق العجز عند المخالف عن دفع الكفر الذي وقع فيه لا يعتبر مانعاً معتبراً في الشرع؛ لأنه قادر على دفع الكفر ولكنه ما فعل، والقادر محاسب ومسؤول على حسب قدرته واستطاعته، كما قال تعالى: **[لا يكلف اللهُ نفساً إلاَّ وسعها]**.

(1) يوجد فرق بين أنْ يُشهد على معين بالوعيد وأنه من أَهْل النار وبين أنْ يُشهد عليه بأنه كافر، فكل من يُشهد له بالنار والوعيد يُشهد له بالكفر، وليس كل من يُشهد له بالكفر يجوز أن يُشهد له بأنه من أَهْل النار والوعيد. وذلك أن العبرة بالخواتيم وبما يختم به على المرء، فمن كان كافراً يُشهد له بالكفر ولا يُشهد له بالنار إلاَّ إذا ختم له بالكفر، لقوله ε للأعرابي: "حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار"، فقال الأعرابي: لقد كلفني رسُول الله ε تعباً، ما مررت بقبر كافرٍ إلاَّ بشرته بالنار. (السلسلة الصحيحة: 18).

فالحكم على المعين بالكفر لا يستلزم الحكم عليه بأنه من أَهْل النار والوعيد، إلاَّ على اعتبار موافاته على الكفر فحينها يشهد له بالكفر والنار، والحكم على

فإنَّه من أعظمِ البغيِ أن يُشهَدَ على معينٍ أنَّ اللـهَ لا يَغفِرُ له ولا يرحمـه، بل يُخلِّدُهُ في النار، فإنَّ هذا حُكمُ الكافرِ بَعْدَ الموت.

عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسُولَ اللـهِ ε يقول: "كـانَ رَجُلانِ فـي بنـي إسرائيل مُتَواخيَيْنِ، فكان أحدهما يُذنِبُ، والآخَرُ مجتهدٌ في العبادَةِ، فكـان لا يزالُ المجتَهِدُ يَرى الآخرَ على الذَّنب، فيقـول: أَقْصِرْ، فوجدَهُ يوماً علـى ذَنبٍ، فقال له: أقصِرْ. فقال: خَلِّني ورَبِّي، أبُعِثْتَ عليَّ رَقيباً؟ فقال: واللَّـهِ لا يَغفِرُ اللـهُ لكَ، أو لا يُدخِلكَ الـجَنَّةَ(2)، فقبض أرواحَهُما، فاجتَمَعا عِندَ ربِّ العالَمين، فَقال لهذا المجتَهِدِ: أَكُنتَ بـي عالِماً؟ أو كُنتَ على ما في يَدَيَّ قادِراً؟ وقال للمذنبِ: اذهَبْ فادخُلِ الجَنَّةَ برحمتـي، وقـال للآخر: اذهبُوا بـه إلى النار".

المعين بأنه من أَهْل النار من دون تعليقه بخاتمة الكفر، يكون من ضروب التـألي على اللـه بغير علم، إذ لا يعلم الخواتيم قبل حدوثها إلاَّ اللـه سبحانه وتعالى.

(1) قد تبين لك من قبل أن المعين الذي يجوز لك أن تشهد لـه بـالكفر، هو كل من يقع في الكفر من غير مانعٍ شرعي معتبر يتحقق فيه الضابط الآنف الذكر. وكذلك يجوز لك أن تشهد على كل معينٍ يختم لـه بـالكفر بأنـه من أهل النـار والوعيد للحديث الآنف الذكر وغيره.

فـإنْ قيلَ: كيف يُعرف عن شخص معين أنـه قد ختم لـه بـالكفر؟. أقول: من خلال القرائن الكفرية الدالة على كفره، فإنْ مات عليها من غير توبـة معروفـةٍ عنه يُشهد له بالكفر والنار.

فـإنْ قيلَ: كيف بـه إذا كانت توبتـه بينـه وبين خالقـه، ولم يعلم الخلق منـه ذلك؟ أقول: يكـون الحكم عليه بناء على ما يُعلم منه، حيث يحكم عليـه بـالكفر والخلـود في النار، وهذا لا يمنع من عفو اللـه عنـه وتوبتـه عليـه لأن الحكم أولاً وآخـراً لله تعالى الواحد القهار، وخطأنا نحن في الحكم عليه بـالكفر والنـار مغفـور -إن شـاء اللـه- لأنه ناتج عن علم واجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ فله أجر، ولا يعتبر ذلك من باب التألي على اللـه أو القول عليه بغير علم.

(2) التـألي على اللـه تعالى بغير علم، هو الحكم على قضية بحكم واحد، وهي تحتمل عند اللـه تعالى العفو أو العقاب. أما من يحكم على قضية بحكم واحد وهي لا تحتمل عند اللـه تعالى إلاَّ هذا الحكم، فهذا لا يجوز أن يعتبر من باب التألي على اللـه بغير علم، بل هو من القول بقول اللـه ورسُوله ε.

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيدِهِ، لتكلمَ بكلمة أو بقتْ دُنياهُ وآخِرَتَه[1].

ثمَّ إذا كان القولُ في نفسه كفراً، قيلَ: إنـه كُفرٌ، والقائِلُ لـه يكفر بشروط وانتفاء موانع[2]، ولا يكونُ ذلك إلاَّ إذا صار منافقاً زنديقاً، فلا يُتصوَّرُ أن يَكفُرَ أحدٌ من أَهْلِ القبلةِ المظهرين الإسلامَ إلاَّ من يكونُ منافقاً زنديقاً. فإنَّ اللـه صنَّفَ الخلقَ في كتابه ثلاثةَ أصنافٍ: صِنفٌ كفار من المشركين ومن أَهْل الكتاب؛ وهم الذين لا يُقرُّون بالشهادتين، وصنفٌ مؤمنون باطناً وظاهراً، وصنفٌ أقرُّوا به ظاهراً لا باطناً. وهذه الأقسامُ الثلاثةُ مذكورةٌ في أول سورة البقرة، وكلُّ مَنْ ثبتَ أنـه كافرٌ وفي نفس الأمر كان مُقراً بالشهادتين، **فإنَّه لا يكونُ إلاَّ زنديقاً، والزنديقُ هو المنافق**[3].

---

(1) رواه أبو داود، وهو حديث حسن. والحديث فيه دلالة على ضرورة حفظ اللسان عما لا يعنيه، وأن هلكة ابن آدم غالباً ما تكون بسبب طول لسانه وخوضه فيما لا يعنيه، فلربَّ كلمة يقولها وهو لا يُلقي لها بالاً، ولا يظن أن تبلغ به ما بلغت، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، كما في الحديث: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار"، وقال ε: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار"، وقال ε: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها إلى النار أبعد مِمَّا بين المشرق والمغرب". وقال ε: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللـه ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب اللـه بها سخطه إلى يوم القيامة"، وقال ε: "من قال في مؤمن ما ليس فيه، حُبس في ردغة الخبال، حتى يأتي بالمخرج مِمَّا قال". فما بالك فيمن يقول في اللـه، وعلى اللـه ما ليس فيه وبغير علم؟!.

وعن عبد اللـه بن مسعود τ قال: ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان.
وقال أبو الدرداء τ: أنصف أذنيك من فيك، فإنما جُعلت لك أذنان وفم واحد لتسمع أكثر مِمَّا تتكلم به.

(2) الشروط: تكمن في بلوغ الحجة الشرعية بطريقة يندفع بها الجهل عند المخالف. أمَّا انتفاء الموانع، فهي تكمن في تحقيق القدرة وانتفاء العجز عند المخالف عن إدراك مراد الشارع فيما قد خالف فيه. وبالتالي فإنَّ أي امرئٍ تبلغه الحجة الشرعية، وينتفي عنه العجز عن إدراك مراد الشارع فيما قد خالف فيه، فقد تحققت فيه شروط التكفير وانتفت عنه موانعه التي تمنع من تكفيره بعينه.

(3) يوجد فرقٌ بين الزنديق والمنافق من حيث أن المنافق يبطن كفره ولا يظهره أو يعرف عنه ذلك، بينما الزنديق يظهر كفره الذي يعتقده، وإذا ما أُقيمت عليه

عن عُمرَ، أنَّ رجلاً كان على عهد النبيِّ ε، كان اسمُهُ عبدَ اللـه، وكان يُلقَّبُ حماراً، وكان يُضحِكُ رسُولَ اللـهِ ε، وكان رسُولُ اللـهِ ε قد جلدَه من الشَّرابِ، فأُتِيَ به يوماً، فأمرَ به فجُلِدَ، فقال رجلٌ من القومِ: اللهمَّ العنـهُ! ما أكثر ما يُؤتَى بهِ! فقال رسُولُ

الحجة والبينة على كفره، سرعان ما ينكر ويدعي الإسلام، ويتظاهر بالشهادتين لذا فالراجح أن الزنديق يُقتل ولا يُستتاب، لأن الاستتابة تكون من شيء، وهذا لا يعترف بشيءٍ، ولما قتل علي بن أبي طالب الزنادقة من دون أن يستتيبهم، سُئل عن سبب ذلك، فقال: جحدوني، أي لم يعترفوا له بكفرهم فعلام يستتيبهم.

روى أبو أدريس قال: أُتي علي τ بناس من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام، فسألهم

فجحدوا، فقامت عليهم البينة العدول، قال: فقتلهم ولم يستتبهم، قال: وأُتي برجلٍ نصرانياً وأسلم، ثمَّ رجع عن الإسلام، قال: فسأله فأقرَّ بما كان منه، فاستتابه، فتركه، فقيل له كيف تستتيب هذا ولم تستتب أولئك؟ قال: إنَّ هذا أقرَّ بما كان منه، وإنَّ أولئك لم يقرُّوا وجحدوا حتى قامت عليهم البينة، فلذلك لم أستتبهم. وفي رواية قال: أتدرون لِمَ استتبت هذا النصراني؟ استتبته لأنه أظهر دينه، وأمَّا الزنادقة الذين قامت عليهم البينة جحدوني، فإنَّما قتلتهم لأنَّهم جحدوا وقامت عليهم البينة اـهـ (عن الصارم المسلول: 3

اللـه ε: "لا تلعنهُ، فإنَّه يُحبُّ اللـهَ ورسُولَه"[1].

-من عيوب أَهْل البدَع تكفيرُ بعضهم بعضاً بالظنّ والشبهات-

فمن عيوبِ أَهْل البِدَعِ تكفيرُ بعضِهم بعضاً، ومن ممادِح أَهْل العلم أنَّهُم يُخطِّئون ولا يُكفِّرون[2].

-كفرٌ عمليٌّ أصغر، أو كُفرٌ دون كُفر[3]-

---

[1] رواه البخاري. والشاهد من الحديث أن اللعن العام لا يستلزم دائماً لعن المعين، وكذلك التكفير لاحتمال وجود موانع تمنع من لحوق الوعيد العام بالمعين، وبيان ذلك أن النبي ε قد صح عنه أنه قال: "أتاني جبريل فقال يا محمد إن اللـه Y لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومُسقيها"، وقال ε: "مدمن خمر كعابد وثن"، ومع ذلك فالنبي ε نهى عن لعن ذلك الرجل الذي كان يكثر من شربه للخمر لوجود حسنة عنده -وهي حبه لله ولرسوله- منعت من لحوق الحكم العام به.

وفي الحديث دلالة أيضاً وهي أن الحسنات يذهبن السيئات، ولكن ينبغي التنبيه إلى أمرٍ وهو أن الحسنات يتشفعن لصاحبها في الذنوب التي هي دون الكفر، وفي الكفر المحتمل الغير جليّ، أمَّا إذا كان الكفر جلياً بواحاً فإنَّ الحسنات لا تتشفع، ولا يمكن لها أن تقاوم الكفر البواح الذي يحبط جميع الأعمال والحسنات.

[2] مراده أن أَهْل العلم لا يُكفِّرون إلاَّ بعد التثبت والتبين، وفي الأوجه التي لا تحتمل غير الكفر، أمَّا عند ورود الشبهات والإحتمالات وحصول الظن لا اليقين فهم يخطئون ولا يُكفِّرون، بخلاف أَهْل البدع والأهواء فإنَّهم لأدنى شبهة، وبالظن الذي لا يغني من الحق شيئاً يطلقون حكم التكفير على المعين!!

قال ابن حجر في الفتح (314/12): قال الغزالي: ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإنَّ استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافرٍ في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم واحد ا-هـ.

وقد وهَمَ الشيخ الألباني في كتابه (حكم تارك الصلاة، ص 61) عندما نقل قول الغزالي الآنف الذكر حاذفاً كلمة (المصلين) وواضعاً مكانها كلمة (المسلمين) انتصاراً لمذهبه في تارك الصلاة!!.

[3] الكفر دون كفر هو كل قول أو عمل أطلق الشارع عليه حكم الكفر، ثمَّ في نصوص شرعية أخرى يصرف الكفر عن أصحابها ويثبت لهم صفة الإيمان.

وهذا النوع من الكفر -رغم أنه يعد من الكبائر- إلاَّ أنه لا يُخرِج صاحبه من

بقـي إشكالٌ، وهو: أنَّ الشارعَ قد سمَّى بعضَ الذنوبِ كُفراً، قال اللـه تعالى: [**ومن لم يحكُم بما أنزلَ اللـه فأولئك هم الكافرون**[1]] المائدة:

وقال ε: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"[1]. وقال: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ"[1].

فيما أقترفوه، وأنهم يستحقون العقوبة عليه.. فهؤلاء الحكام بصفاتهم هذه هم الذين يحمل عليهم قولَ أَهْل العلم: كفر دون كفر لاينقل عن الملة.

أمَّا الحكام الذين يرفضون حكم الله ويعرضون عنه، أو يحاربون دعاة الحكم إِلى الله، أو يُشرعون التشريع الذي يضاهي شرع الله، أو يُلزمون الأمة بشرائع وقوانين من غير شرع الله، أو يقاتلون دونها من يعاديها أو يحاربها، أو يقعون في التبديل لشرع الله بشرائع الطاغوت، وكل شريعة غير شريعة الله فهي طاغوت، فهؤلاء يحمل عليهم -وجوباً- الكفر الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر، وإن لم يصرحوا بلسانهم أنهم يجحدون حكم الله في قلوبهم، لأن لسان الحال أقوى وأصرح من لسان المقال، وهو شاهد عليهم بالكفر، كما قال تعالى: **[ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر]** التوبة:

و"إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باءَ بها أحدُهما"[2]. وقال: "أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافِقاً خلِصاً، ومن كانت فيه خِصلَةٌ منهنَّ كان فيه خَصلةٌ من النفاقِ حتى يدَعَها: إذا حدَّث كذَبَ، وإذا وعَدَ أَخلَفَ، وإذا عاهدَ غدرَ،

قال ابن حزم في الملل (3/

وإذا خاصمَ فجَرَ"(1). وقال: "لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يَسرقُ السَّارِقُ حين يَسْرقُ وهو مؤمن، ولا يَشرَبُ الخمرَ حين يشرَبُها وهو مؤمن، والتوبةُ معروضَةٌ بَعْدُ"(2). وقال: "بين المسلم وبين الكفر تركُ الصلاةِ"(3).

---

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه مسلم. قلت: مسألة حكم تارك الصلاة قد بحثتها في أكثر من موضع في كتبي، فأعيد هنا ما كتبته في كتابي (الانتصار لأهل التوحيد) فأقول: الراجح في تارك الصلاة كلياً أنه كافر بيقين خارج من دين الإسلام، وذلك كله مع الإقرار بوجوبها، هذا ما نصت عليه أدلة الكتاب والسُّنَّة، وأقوال السَّلَف من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المهتدين، وإليك بيان ذلك:

أمَّا أدلة الكتاب، فقد قال تعالى: **[فإنْ تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون]** التوبة: 11.

مفهوم الآية أنهم إذا لم يتوبوا من الشرك، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ليسوا إخواننا في الدين، ولا تنتفي أخوة الدين إلاَّ عن الكافرين. ولكن لما جاءت نصوص أخرى تصرف الكفر عن تارك الزكاة، كقوله ε في الحديث الذي يرويه مسلم وغيره: "ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه، إلاَّ جعله الله يوم القيامة يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يقضي الله تعالى بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مِمَّا تعدون، ثمَّ يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار"، فكونه يترك للمشيئة إما إلى الجنة وإما إلى النار، فهذا من شأن من يموت على التوحيد وليس على الكفر، لأن الكافر ليس له يوم القيامة إلاَّ النار.والشاهد أنه لما وجدت القرينة الشرعية التي تصرف الكفر عن تارك الزكاة دون تارك الصلاة، تعين القول بكفر تارك الصلاة دون تارك الزكاة.

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى: **[يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون]** القلم: 42-43.

وهذا وعيد بحق الكافرين والمنافقين الذين كانوا يُدْعَون في الحياة الدنيا إلى السجود لله تعالى والصلاة فيأبون، فكل من كان في الحياة الدنيا تاركاً للصلاة فهو معني بالوعيد الوارد في الآية، والنص يطاله ويشمله.

قال ابن كثير في التفسير (435/4): ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب Y فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين والمنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون ا-هـ.

وقال البغوي في التفسير: قوله Y: **[يدعون إلى السجود فلا يستطيعون]**، يعني الكفار والمنافقون، تصير أصلابهم كصياصي البقر فلا يستطيعون السجود ا-هـ.

وفي الحديث الذي يرويه مسلم وغيره، وفيه أن اللـه تعالى يلقي في نار جهنم جميع الكفار من عبدة الأصنام وكفار أهل الكتاب وغيرهم، حتى إذا لم يبق إلاَّ من كان يعبد اللـه من بَر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: ياربنا فارقنا النَّاس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ باللـه منك لا نشرك باللـه شيئاً مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها، فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلاَّ أذن اللـه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياءً إلاَّ جعل اللـه ظهره طبقةً واحدة، كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه.

والسؤال: إذا كان هذا حال من كان يجد لله من تلقاء نفسه ومن يسجد نفاقاً، فما هو حال الذي لم يسجد لله قط، وأين مكانه؟

فالحديث يدل على أنه ألقي في نار جهنم مع الكافرين، حيث لم يبق من العباد لمعاينة ذاك المشهد العظيم إلاَّ من كان يسجد طوعاً من تلقاء نفسه، أو من يسجد نفاقاً، ولم يشاركهما صنف آخر من العباد، كما أن تارك الصلاة والسجود لم يعد ممن يعبد اللـه من بَر أو فاجر، فتأمل.

وفي السُّنَّة فقد صح عن النبيِّ ε أنه قال في تارك الصلاة: "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة".

وقال:"العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"، وقال: "بين الكفر والإيمان ترك الصلاة". وقال: "بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك"، وقال: "آخر ما يُفْقَدُ مِنَ الدين الصلاة". فإذا فقد الصلاة لم يعد عنده شيء من الدين يبقيه في الإسلام ويبرر الحكم عليه بالإسلام. ونحوه قوله ε: "آخر عرى الإسلام نقضاً الصلاة"، وقال: "بين العبد والكفر أو

الشرك ترك الصلاة، فإذا ترك الصلاة فقد كفر"، وغيرها كثير من الأحاديث التي تدل على كفر تارك الصلاة.

وفي الأثر عن ابن مسعود قال: "من ترك الصلاة فلا دين له".

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له".

وعن حماد بن زيد عن أيوب قال: "ترك الصلاة كفر، لا يختلف فيه".

وعن محمد بن نصر المروزي: سمعت إسحق يقول: صح عن النبي ε أن تارك الصلاة كافر، وكذلك **كان رأي أهل العلم من لدن النبي ε أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر.**

وعن عبد الله بن شقيق العقيلي رضي الله عنه قال: **"كان أصحاب محمد ε لا يرون شيئاً من الأعمال تركها كفر غير الصلاة".**

قلت: والكفر الذي يرونه هو الكفر الأكبر المخرج من الملة، بدليل أنهم يرون كثيراً من الأعمال تركها كفر أصغر لا يُخرِج من الملة.

قال ابن حزم: وقد جاء عن عمر، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة ψ أن من ترك صلاة فرضٍ واحدة متعمِّداً حتى يخرج وقتها **فهو كافر مرتد، ولا نعلم لهؤلاء من الصحابة مخالفاً** ا-هـ.

وقال الحافظ المنذري: قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمِّداً لتركها، حتى يخرج جميع وقتها منهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله، وأبو الدرداء ψ. ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك، والنخعي، والحكم بن عتبة، وأيوب السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وغيرهم رحمهم الله تعالى ا-هـ. جميع ما تقدَّم من أحاديث وآثار تخصُّ تارك الصلاة هي صحيحة، انظر صحيح الترغيب والترهيب:

وقال: "مَن أَتى كاهِناً فَصَدَّقَهُ، أَوْ أتى امـرَأَةً فـي دُبُرِهَـا، فَقَـدْ كفَـرَ بِمَـا أُنْـزِلَ علـى مُحَمَّدٍ"(1).

وقال: "مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللـهِ فقد كَفَرَ"(2). وقال: "ثِنَتَانِ في أُمَّتي هُما كُفرٌ: الطَّعْنُ فـي النَّسَبِ، والنِّياحَةُ على الـمَيِّتِ"رواه مسلم. ونظائِرُ ذلك كثيرَةٌ.

السَّلَف من بعدهم كما يقول ابن تيمية، فأي الفريقين أحق بالحق والأمن والسلامة، من كان واقفاً في قوله مع الصحابة وأكثر السَّلَف، أم من كان واقفاً في صف الخلف ومن هم دون الصحابة مكانةً وعلماً؟!!

(1) صحيح، رواه أبو داود وغيره.

(2) رواه الحاكم، وهو صحيح. قلت: إذا كان الحلف بغير اللـه تعالى على وجه التعظيم والتقديس والعبادة للمحلوف به فهو شرك أكبر، وإذا كان على وجه اللغو والعادة فهو شرك أصغر. وكلا النوعين من الشرك دلت عليهما النصوص الشرعية ونص عليهما أهل العلم.

قال الشيخ سليمان بن عبد اللـه آل الشيخ في كتابه (شرح كتاب التوحيد، 593): فالجمهور: لا يُكَفِّر كفراً ينقل عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره. لكن الذي يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ماشئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً، فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين به إن كان كاذباً. فهذا شرك أكبر بلا ريب؛ لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من اللـه، وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام، لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف بالله كما قال تعالى: **[وأقسموا باللـه جهد أيمانهم لا يبعث اللـه من يموت]** النحل: 38. فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته، أو تربته فهو شركاً أكبر منهم، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة ا-هـ.

وقد أثر عن ابن مسعود قوله: لأنْ أحلفَ باللـه كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

قال الشيخ سليمان في كتابه (شرح كتاب التوحيد): فيه دليل على أن الحلف بغير اللـه صادقاً أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ا-هـ. المجردة عن صفة الكفر أو الشرك.

قلت: ومع ذلك فالحلف بغير اللـه تعالى ظاهرة متفشية بين النَّاس في هذا الزمان، فالذين يحلفون بغير اللـه أكثر من الذين يحلفون باللـه وحده، وهذا إن دل فهو يدل على اندراس التوحيد وغربته بين النَّاس.

والجوابُ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مُتفقون كُلُّهم على أنَّ مُرتكبَ الكبيرَةِ لا يكفرُ كُفْراً ينقلُ عَن المِلَّةِ بالكُليَّةِ، كما قالت الخوارج، إذْ لو كَفَرَ كُفراً ينقلُ عنِ الملَّةِ، لكانَ مُرْتَدَّاً يُقتَلُ على كُلِّ حال، ولا يُقْبَلُ عَفوُ وليِّ القِصاص، ولا تجري الحدودُ في الزِّنى والسَّرِقَةِ، وشربِ الخمرِ، وهذا القولُ معلومٌ بُطلانُه وفسَادُهُ بالضرورَةِ مِن دينِ الإسلام.

ومتفقونَ على أَنَّهُ لا يَخرجُ من الإيمانِ والإسلام، ولا يَدْخُلُ في الكفرِ، ولا يستحقُّ الخلودَ في النَّارِ مع الكافِرين، إذْ قد جعَلَ اللهُ مرتكِبَ الكبيرَة مِنَ المؤمنين، قال تعالى: **[يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عليكم القِصاصُ في القتلى]** إلى أن قال: **[فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِن أخيهِ شيءٌ فاتِّباعٌ بالمعروفِ]** البقرة:

حسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهُمْ فطُرِحَتْ عليه، ثمَّ طُرِحَ في النار"[1] .

ومن قال من أَهْل السُّنَّة: إن الإيمانَ قولٌ وعمل يزيدُ وينقص[2]، قال هو كفرٌ عمليٌّ[3] لا اعتقاديٌّ، والكفرُ عنده على مراتبٍ؛ كفرٌ دونَ كفرٍ، كالإيمان عنده.

-صِفَةُ الحاكم بغيرِ ما أنزلَ اللـهُ الذي يكفر كُفراً أكبر، والحاكم الذي يكفر كفراً أصغَر-

وهنا أمرٌ يجبُ أن يُتفَطَّنَ له، وهو: أنَّ الحُكمَ بغير ما أنزل اللـهُ قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصيةً: كبيرة أو صغيرة[4]، ويكون كفراً أصغر، وذلك بحسب حالِ الحاكم، فإنَّهُ إن اعتقد[5] أن الحكمَ بما أنزلَ اللـهُ غيرُ واجبٍ، وأنَّه مخيرٌ فيه، أو استهان به مع تيقُّنهِ أنَّهُ حكمُ اللـهِ، فهذا

---

(1) رواه مسلم وغيره، والشاهد من الحديث أن أَهْل الكبائر ليسوا كفاراً، ولو كانوا كفاراً بذنوبهم ومعاصيهم لحبطت عنهم جميع حسناتهم، ولما أمكنهم أن يعطوا الآخرين من ذوي الحقوق عليهم شيئاً من حسناتهم.

(2) هذا القول هو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة، وأقوال السَّلَف الصالح، والمسألة سيأتي مزيد كلام عليها عند الحديث عن الإيمان.

(3) من أطلق من أَهْل العلم على بعض الذنوب والمعاصي صفة (الكفر العملي) أرادوا به الكفر الأصغر، أو الكفر دون كفر، أو كفر النعمة. ولم يريدوا منه مطلق الكفر الظاهر على الجوارح كما فهم البعض، ودرءاً لهذا الفهم الخاطيء والاستغلال السيء أرى أن يقيد هذا الإطلاق بكلمة (الأصغر) بحيث يصبح **(الكفر العملي الأصغر)** ليتميز عن الكفر العملي الأكبر، وليشعر القارئ أن من الأعمال ما تعتبر كفراً لذاتها ولو جاءت مجردة عن الاعتقاد أو الاستحلال.

(4) قوله "أو صغيرة" فيه نظر؛ لأن ذنباً أطلق عليه الشارع سبحانه صفة الكفر أو الشرك لا يُعتبر صغيراً، بل هو -وإن كان كفراً دون كفر- أكبر من الكبائر التي لم توصف بالكفر أو الشرك، وقد تقدم كلام أَهْل العلم في تعليقهم على أثر ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً".

(5) الاعتقاد أمر باطني لا يعلمه إلاَّ اللـه تعالى، دليلنا إليه لسان القال أو لسان الحال والعمل، أو كلاهما معاً، وأحياناً يكون لسان الحال والعمل أكثر دلالة وإعراباً عما في الاعتقاد من غيره من القرائن، فالظاهر بريد الباطن ومرآة له، لذا لا يتصور ظاهر كافر مقترن بإيمانٍ حقيقي في الباطن.

كفـرٌ أكـبر[1]، وإن اعتقـدَ وجـوبَ الحُكـمِ بمــا أنـزلَ للــهُ، وعَلِمَـهُ فـي هذه الواقعة، وعدلَ عنه مع اعترافِه بأنه مستحقٌّ للعقوبَـةِ، فهذا عاصٍ، ويُسمَّى

---

[1] ومن الصفات التي توقع الحاكم في الكفر الأكبر أيضاً، كرهه للحكم بما أنـزل اللـه، أو معاداته ومعاداة من يطالبه بالحكم بما أنزل اللـه، أو إعراضه كلياً عن الحكم بما أنـزل اللــه واستبداله بشـرع آخـر مـن شـرائع الطـاغوت، أو وصـفه لحكم اللـه بالعبارات التي تنم عن الطعن والتهكم، والسخرية والاستهزاء، أو تحسينه ومدحه للحكم بغير ما أنزل اللــه .. فهذه حـالات كل واحدة منها تكفر المتصف بها من الحكام كفراً أكبر مخرجاً عن الملـة، وإليك بعض أقوال أَهْل العلم في ذلك:

1- ابن كثير:

قال في تفسير قوله تعالى: **[أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من اللـه حكماً لقومٍ يوقنون]** المائدة: 50. ينكر تعـالى علـى من خـرج عن حكم اللــه المحكم المشتمل علـى كل خير، النـاهي عن كل شر، وعدل إِلى مـا سواه مـن الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللــه كما كان أَهْل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مِمَّا يضـعونها بـآرائهم وأهـوائهم، وكمـا يحكـم بـه التتـار مـن السياسـات الملكيـة المـأخوذة عـن ملكهـم جنكزخان الذي وضع لهم (الياسق)، وهو عبارة عن كتـاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية، والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصـارت فـي بنيه شـرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب اللـه وسنة رسُول اللـه ع، **فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم اللــه ورسوله،** فلا يحكم سواه فـي قليل ولا كثير ا-هـ.

فتأمل كيف اعتبر الحكم (بالياسق) كفراً، وأن الذي يحكم به كافر يجب قتالـه، ثمَّ تأمل هل تجد فارقاً بين ياسق جنكزخان وبين ياسق القوانين الوضعية النافذة في أمصار المسلمين، التي يسهر على تنفيذها وتطبيقها طواغيت الحكم؟!

2- أحمد شاكر:

قـال معلقاً علـى كـلام ابن كثيـر السـابق فـي كتابـه (عمـدة التفسـير: 4؟171 و 174): أفيجوز مع هذا فـي شـرع اللــه أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشـريع مقتبس عن تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة، بل تشريع تدخلـه الأهواء والآراء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاؤون، لا يبالي واضعه وافق شرعة الإسلام أم خالفها..

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، **هي كفر بواح لاخفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام -كائناً من كان- في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها.. ا-هـ.**

وقال في تعليقه على الطحاوية: وهذا -أي الكفر الأكبر- مثل ما ابتلي به الذي درسوا القوانين الأوروبية من رجال الأمم الإسلامية، ونسائها أيضاً، الذين أُشربوا في قلوبهم حُبها، والشغف بها، والذبِّ عنها، وحكموا بها، وأذاعوها، بما رُبوا من تربية أساسها صنع المبشرين الهدامين، أعداء الإسلام، ومنهم من يُصرح، ومنهم من يتوارى، ويكادون يكونون سواء ا-هـ.

3- ابن تيمية:

قال رحمه الله في الفتاوى (524/28): ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ε **فهو كافر، وهو ككفر** من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب ا-هـ.

قلت: من التسويغ لغير دين الله التسويغ والدعوة إلى الديمقراطية أو الاشتراكية أو القومية وغيرها من المنطلقات والمذاهب العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة والحياة، وتجعل الحقوق والواجبات على غير أساس رابطة الدين والعقيدة.

ثمَّ ليت طواغيت الحكم في هذا الزمان وقفوا عند حد التسويغ لشرائع الكفر والإلحاد، بل تراهم -وبكل وقاحة وجرأة على الله- يروّجون لها، ويحسنونها في أعين النَّاس، ويأطرون الأمة أطراً إلى التحاكم إليها، والويل كل الويل لمن يعارضها، أو يتخلف عن تنفيذ أحكامها وقوانينها، أو يستهين بها .. **فأي كفرٍ يعلو هذا الكفر؟!**

4- محمد بن عبد الوهاب:

قال رحمه الله: نُكفِّر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك، **وكذلك نكفِّر من حسنه للناس،** أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، **وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد** -أي القبور- التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها، ونكفر من أقر بدين الله ورسوله **ثمَّ عاداه وصد النَّاس عنه** ا-هـ. (الرسائل الشخصية: 58 ، 60).

قلت: ونحوه الذي يقاتل دون قوانين الكفر والشرك، وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها -كما هو شأن طواغيت الحكم مع الدعاة إلى الحكم بما أنزل الله- فإنه كافر أيضاً. وكذلك الذي يروجها ويحسنها ويفرضها على الأمة **فإنه كافر.**

5- محمد بن إبراهيم بن عبد الطيف آل الشيخ:

حيث عدَّ أنواع الحكام الذين يكفرون كفراً أكبر ناقلاً عن الملة، فقال رحمه الله: **أحدهما** أن يجحد الحاكمُ بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسُوله، وهذا ما لا نزاع فيه بين أَهْل العلم.. **فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة.**

الثاني: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسُوله حقاً، لكن اعتقد أن حكم غير الرَّسُول ε أحسن من حكمه، وأتمُّ وأشملُ.. **وهذا أيضاً لا ريب أنه كفر.**

الثالث: أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسُوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين اللذين قبله، في كونه **كافراً الكفر الناقل عن الملة.**

الرابع: أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسُوله، فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه، لكن أعتقد جواز الحكم بما يخالف حكمَ الله ورسُوله، **فهذا كالذي قبله.**

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وحكماً وإلزاماً، ومراجع ومستندات. فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسُوله ε، فلهذه المحاكم مراجع، هي: القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السُّنَّة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، **فأي كفر فوق هذا الكفر**، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسُول الله بعد هذه المناقضة.

السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمونها (سلومهم)، يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به ويحضون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاءً على أحكام الجاهلية، وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسُوله اـهـ. (رسالة تحكيم القوانين).

قلت: من يتأمل واقع كثير من حكام هذه الأمة -بعين الإنصاف والتجرد للحق- يجد أن هذه الأنواع المكفرة الستة التي ذكرها الشيخ متوفرة فيهم

جميعاً، ويتصفون بها، ويزيدون عليها خصلة الاستهانة والطعن، والتهكم والاستهزاء بشرع الله، وخصلة أخرى ثامنة وهي: كرههم وبغضهم للحكم بما أنزل الله، وخصلة تاسعة: محاربتهم واضطهادهم لمن يطالبهم بالحكم بما أنزل الله. ومع ذلك نجد -من مشايخ الإرجاء- من يتوسع لهم -رهبة أو رغبة- في التأويل والتسويغ، ويحمل عليهم مقولة: كفر دون كفر، والكفر العملي الأصغر!!!.

6- الشنقيطي:

قال رحمه الله في التفسير (84/4): وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله ε، **أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلاَّ من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم** ا-هـ.

فتأمل كيف اعتبر مجرد اتباع القوانين الوضعية كفراً وشركاً مخرجاً لصاحبه من الملة.

7-عبد العزيز بن باز:

حيث قال: ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام النَّاس وآراءهم خير من حكم الله ورسُوله، أو تماثلها وتشابهها، **أو تركها وأحل محلها الأحكام الوضعية، والأنظمة البشرية، وإن كان معتقداً أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل.**

وقال: فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه، فهو العابد له، ومن خضع لغيره وتحاكم إلى غير شرعه، **فقد عبد الطاغوت وانقاد له** ا-هـ. (رسالة وجوب تحكيم شرع الله).

فانظر كيف اعتبر الشيخ أن مجرد ترك الحكم بما أنزل الله، واستبداله بالأحكام الوضعية، والأنظمة البشرية، يقتضي انتفاء مطلق الإيمان عن صاحبه، وإن ادعى سلامة اعتقاده نحو شرع الله وحكمه.

ومما تقدم من نقولات لأهل العلم عن الحالات التي يكفر فيها الحاكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر ناقلاً عن الملة، تعلم خطأ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الشنيع والمتكرر في أكثر من موضع، وهو حصره لكفر الحاكم في صيغة معينة واحدة، الكامن في قوله: (فلا تستطيع أن تقول بكفره -أي الحاكم بغير ما أنزل الله- حتى يعرب عما في قلبه بأنه لا يرى الحكم بما أنزل الله Y، **وحينئذٍ فقط** تستطيع أن تقول أنه كافر كفر ردة!!) فتنة التكفير.

كافراً كُفراً مجازياً، أو كفراً أصغر[1]، وإن جَهِلَ حُكمَ اللـه فيها، مع بذل جهدهِ، واستفراغ وِسعِهِ في معرفة الحكمِ وأخطأَهُ، فهذا مخطئٌ له أجرٌ على اجتهادِه، وخطؤه مغفور[2].

-خطأ من قال: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ-

وقوله: **"ولا نقولُ لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ لِمَن عمله"**، أراد الشيخُ مخالَفَة المرجئة[1]. وشُبهتُهم كانت وقعت لبعضِ الأولين، فاتفق

غير كتاب (التحذير من فتنة التكفير)!!. وانظر كتابنا (الانتصار لأهل التوحيد:

الصحابةُ على قتلِهم إن لم يتوبوا من ذلك، فإنَّ قُدامَةَ بن مظعون[2]شرِبَ الخمرَ بعد تحريمها هو وطائفةٌ، وتأوَّلوا[3]قولَه تعالى: **[ليس على الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات جناحٌ فيما طَعِمُوا إذا ما اتَّقوا وآمنوا وعَمِلُوا الصالحات]** المائدة:

وذلك أن هذه الآيةَ نزلَت بسبب أن اللــهَ سبحانه لَمَّا حرَّمَ الخمرَ، وكان تحريمُها بعد وقعة أُحُد، قال بعض الصحابَة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشرَبون الخمر؟ فأنزلَ اللــهُ هذه الآيةَ بيَّنَ أنَّ من طَعِمَ الشيءَ في الحال التي لم يُحَرَّمْ فيها، فلا جُناحَ عليه إذا كانَ من المؤمنين المتقين الصالحين، كما كان من أمرِ استقبالِ بيتِ المقدسِ، ثمَّ إنَّ أولئك الذين فعلوا ذلك ندِمُوا وعلموا أنهم أخطأوا، وأَيِسُوا من التوبةِ! فكتب عُمرُ إلى قُدامة يقول له: **[حَم. تنزيلُ الكتابِ مِنَ اللــهِ العزيزِ العليم. غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقاب]** غافر: 1-3. ما أدري أيُّ ذَنبكَ أعظمُ، استحلالُكَ المحرَّم أولاً أمْ يأسُكَ من رحمةِ اللــه ثانياً؟![1].

قولُه: "ونَرْجُو للمحسنينَ مِنَ المؤمنينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدخِلَهُم الجَنَّةَ بِرَحمتِهِ[2]، ولا نأمَنُ عَلَيْهِم[1]، ولا نَشْهَدُ لهم بالجَنَّةِ[2]، وَنستغفِرُ لِمُسِيئِيهِمْ، ونخافُ عليهم، ولا نُقَنِّطُهُم[3]".

---

[1] وذلك لأن اليأس من رحمة اللــه -كما سيمر معنا- كفر ينقل عن الملة، لقوله تعالى: **[إنه لا ييأس من روحِ اللــه إلاَّ القوم الكافرون]** يوسف:

ش: قـال تعـالى: **[أولـئـك الـذينَ يَـدعُونَ يبتغونَ إلى رَبِّهِمُ الوسيلَةَ أَيُّهُمْ أقـربُ ويرجـون رحمَتَـهُ ويَخـافونَ عذابَـهُ إنَّ عـذابَ ربِّـكَ كـان محـذوراً]** الإسـراء:

"لا، يا ابنَةَ الصديق، ولكنهُ الرجلُ يصومُ ويُصلي ويتصدَّقُ، ويخافُ أن لا يُقبَلَ منه"(1)

قال الحسَن τ: عَمِلُوا -واللـهِ- بالطاعاتِ، واجتهدوا فيها، وخافوا أَنْ تُرَدَّ عليهم، إنَّ المؤمِنَ جمعَ إحساناً وخشيَةً، والمنافِقَ جمعَ إساءةً وأَمناً.

-لوازِمُ الرَّجاءِ-

وممَّا ينبغي أَنْ يُعْلَمَ أنَّ مَن رَجَا شيئاً، استَلْزَمَ رجاؤُهُ أُموراً: مَحبَّةُ ما يَرْجُوهُ، وخَوْفُهُ مِن فواتِهِ، وسَعْيُهُ في تحصيلِهِ بحَسَبِ الإمكان.

وأمَّا رجاءٌ لا يُقارِنُه شيءٌ مِن ذلك، فهو من بابِ الأَمَانِيِّ، والرجاءُ شيءٌ، والأمانيُّ شيءٌ آخر، فكلُّ راجٍ خائفٌ، والسائِرُ على الطريقِ إذا خافَ أَسْرَعَ السَيْرَ مَخَافَةَ الفواتِ.

-الاستخفافُ بالصَّغائِرِ قَدْ يُلْحِقُها بالكبائِرِ-

الكبيرة قد يقترنُ بها مِنَ الحياءِ والخوفِ والاستعظامِ لها ما يُلْحِقُها بالصَّغائِرِ، وقد يقترنُ بالصغيرةِ، مِن قِلَّةِ الحياءِ، وعَدَمِ الـمُبالاةِ، وتَرْكِ الخوفِ والاستهانةِ بها ما يُلْحِقُها بالكبائرِ(2)، وهذا أمرٌ مَرجِعُهُ إِلى ما يقومُ بالقلْبِ(3)، وهو قَدْرٌ زائِدٌ على مُجَرَّدِ الفعل.

-الأسبابُ التي تمنع من لحوقِ الوعيد بالمعيَّن(4)-

فإنَّ فاعِلَ السيئات تسقطُ عنه عقوبَةُ جهنم، بنحو عشرةِ أسبابٍ(1)، عُرِفَت بالإستقراء من الكتاب والسُّنَّةِ.

---

(1) رواه أحمد، والترمذي، وهو حديث حسن.

(2) وذلك يكون لعدم المبالاة بها، فهو يمارسها شبه مستحل لها، حيث لا يرى فيها ضيراً على دينه، معتقداً أنها ذنوب مغفورة -وكأنه اطلع على الغيب- فلا تُقلقُ له بالاً، وبالتالي فهي لا تضطره للتوبةِ والإستغفار.

(3) من اطمئنان للذنب، أو من استحسانٍ له واستهانة به.

(4) كل مانع من موانع التكفير يُعتبر سبباً يمنع من لحوق الوعيد بالمعين، وليس كل سبب يمنع من لحوق الوعيد بالمعين يعتبر مانعاً من موانع التكفير، وإن كانت هذه الأسباب أحياناً تتشفع لصاحبها عند الكفر المحتمل غير اليقيني، بحسب قوتها، وحال الكفر المحتمل قوة وضعفاً.

السبب الأول: التوبةُ[2]، قال تعالى: **[إلاَّ من تـاب]** مـريم:

الرابع: المصائِبُ الدنيوية، قال ε: "ما يُصيبُ المؤمِنَ من وَصبٍ[1] ولا نَصَبٍ، ولا غمٍّ، ولا همٍّ، ولا حَزَنٍ حتى الشوكَة يُشاكُها، إلاَّ كَفَّرَ بها من خطاياه"[2].

فالمصائِبُ نفسُها مكفرةٌ، وبالصبرِ عليها يُثابُ العبدُ[3] وبالتَّسَخُّطِ يأثَمُ، فالمصيبَةُ من فعل اللـه لا من فِعْلِ العبدِ[4]، وهي جزاءٌ من اللـهِ للعبد على ذنبه، ويكَفِّرُ ذنبهُ بها[5].

---

(1) الوصب: المرض والوجع، والنصب: التعب.

(2) متفق عليه. وفي هذا المعنى قد جاءت أحاديث عديدة عن النبيِّ ε، منها قوله ε: "إن العبدَ إذا سبقت له من اللـه منزلة لم يبلُغها بعمله ابتلاه اللـه في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثمَّ صبَّرَه على ذلك، حتى يُبلغَهُ المنزلة التي سبقت له من اللـه تعالى". وقوله: "ليوَدَّنَّ أَهْلُ العافية يوم القيامة أنَّ جلودهم قُرِضت بالمقاريض، لما يرون من ثواب أَهْل البلاء". وقوله: "ما من شيء يُصيبُ المؤمن في جسده يؤذيه، إلاَّ كَفَّرَ اللـه عنه من سيئاته". وقوله ε: "إن اللـه تعالى يقول: إذا ابتليتُ عبداً من عبادي مؤمناً، فحمدني وصبر على ما ابتليتُه به، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا". وهي أحاديث كلها صحيحة ولله الحمد.

(3) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه اللـه في مقدمة التفسير: أمر اللـه بالصبر وأثنى على الصابرين، وذكر جزاءهم العاجل والآجل في عدة آيات، نحو تسعين موضعاً، وهو يشمل أنواعه الثلاثة: الصبر على طاعة اللـه، حتى يؤديها كاملة من جميع الوجوه، والصبر على محارم اللـه حتى ينهى نفسه الأمارة بالسوء عنها. والصبر على أقدار اللـه المؤلمة، فيتلقاها بصبر وتسليم، غير متسخط في قلبه، ولا بدنه ولا لسانه ا-هـ.

(4) أي لا إختيار للعبد فيها، إلاَّ من جهة ذنوبه ومعاصيه فقد تكون سبباً لحصولها.

(5) المصائب والبلايا التي تنزل بالعبد ليست كلها بسبب معاصيه وذنوبه، لتطهره من ذنوبه وآثامه، فالمصائب أحياناً تنزل لاثقال النفوس وتربيتها على الجهاد والمصابرة، وأحياناً تكون لرفع الدرجات والمقامات يوم القيامة. ثمَّ أن الأنبياء أشد الناس بلاءً ثمَّ الأمثل فالأمثل، كما دلت على ذلك السُّنَّة، فهل يقال إن شدة البلاء عليهم لمعاصيهم، ولتطهيرهم من ذنوبهم؟! حاشاهم وألف حاشاهم، وقد جاء في الحديث: "يبتلى المرء على قدر دينه، فإنْ كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه"، وقال ε: "إن الصالحين يُشدَّد

الخامس: عذابُ القَبْرِ.

السادس: دُعاءُ المؤمنين واستغفارُهُم، في الحياةِ وبَعدَ المماتِ.

السابع: ما يُهدَى إليه بعدَ الموتِ، مِن ثوابِ صدَقَةٍ، أو قِراءَةٍ، أو حجٍّ، ونحو ذلك.

الثامن: أهوالُ يومِ القيامَةِ وشدائِدُه.

التاسع: ما ثبت في (الصحيح): "أنَّ المؤمنينَ إذا عَبرُوا الصراطَ، وقِفُوا على قنطرَةٍ بين الجَنَّةِ والنَّارِ، فيقتَصُّ لبعضِهم مِنْ بَعْضٍ، فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ في دخولِ الجَنَّةِ" رواه البخاري وغيره.

العاشر: شفاعَةُ الشافعينَ، كما تقدم.

الحادي عشر: عَفوُ أرحَم الرَّاحمين مِن غيرِ شفاعَةٍ، كما قال تعالى: **[وَيغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ]** النساء:

وقد مدحَ اللـهُ أَهْلَ الخوفِ والرجاء[1]، بقوله: **[أمَّن هو قانتٌ آناءَ الليل ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربِّه]** الزمر: 9. **[تتجافَى جنوبُهُم عن المضاجِعِ يدعون ربَّهُم خوفاً وطمعاً]** السجدة:

قولُـه: " ولا يَخـرجُ العبـدُ مـن الإيمـان إلاَّ بجحـودِ مـا أدخلَـهُ فيه[1]".

---

[1] ظاهر القول يفيد حصر الكفر في الجحود والتكذيب، وهذا قول فيه نظر لا يُسلم به؛ لدلالة
النصوص الشرعية التي تفيد أن الكفر يمكن أن يكون من غير جهة الجحود والتكذيب.
فقد يكون من جهة العناد، كما قال تعالى: **[ألقيا في جهنم كل جبارٍ عنيد]** ق:

وقد يكون الكفر من جهة الطعن بالدين والاستهزاء بـه، كمـا قـال تعـالى: **[قل أباللــه وآياتـه ورسـوله كنـتم تسـتهزئون. لاتعتـذروا قـد كفـرتم بعـد إيمـانكم]** التوبة:

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على ما جاء في متن الطحاوية: هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، **فإن كان ينطق بهما دخل في الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره**، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك: طعنه في الإسلام أو في النبي ε، أو استهزائه بالله ورسوله، أو بكتابه، أو بشيء من شرعه سبحانه، لقوله سبحانه: **[قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم]** الآية. ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان، أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول لا إله إلا الله لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئاً لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة، والجن، وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله، ولم يحقق قول لا إله إلا الله، وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهي لا تسمى جحوداً، وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد ا-هـ.

وقال صاحب كتاب الجامع في طلب العلم الشريف: قول الطحاوي رحمه الله **"ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه"**، هذا الحصر خطأ، وهو صريح مذهب المرجئة. فإن الإيمان عندهم هو التصديق بالقلب ومنهم من لم يُدخل إقرار اللسان فيه، واعتبروه شرطاً لإجراء أحكام الإسلام عليه في الدنيا، وهم الأشاعرة والماتريدية، ومنهم من قال بل الإقرار داخل في حقيقة الإيمان، وهم مرجئة الفقهاء (الأحناف) وبعض الأشاعرة. انظر (شرح جوهرة التوحيد) للبيجوري، ص

ش: فيه تقريرٌ لما قال أولاً: **"لا نكفِّرُ أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحله"**. وتقدَّمَ الكلامُ على هذا المعنى!.

وقولُـــه: "والإيمـــانُ هـــو الإقـــرارُ باللِّســـان، والتصديـــقُ بالجَنـــانِ[1]، وجميـــعُ مـــا صَـحَّ عـن رسـولِ اللـــهِ ﷺ مـن الشـرعِ

فقط، بل إذا كـان الكفر، يكـون تكـذيباً، ويكـون مخالفـة ومعـاداة وامتناعـاً بـلا تكذيب، فلا بـد أن يكـون الإيمـان تصـديقاً مـع موافقـة ومـوالاة وانقيـاد لا يكفـي مجرد التصديق ا-هـ.

وقال في الفتاوى (2/

قـال ابـن حجـر فـي الفتح (1/

والبيان كُلُّهُ حقٌّ، والإيمان واحدٌ، وأهلُهُ في أصلِه سواءٌ[1]، والتفاضل بينهم بالخشيةِ والتقى، ومُخالَفَةِ الهوى، ومُلازمَةِ الأولى[1]".

فمن قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب. ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك. ومن زاد اتباع السُّنَّة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السُّنَّة ا-هـ.

والشاهد من جميع ما تقدم أن يدرك القارئ عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة في الإيمان، وأن قول الطحاوي الآنف الذكر في الإيمان خطأ ومحدث وهو قول المرجئة في الإيمان.

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على متن الطحاوي: هذا التعريف فيه نظر وقصور، والصواب الذي عليه أَهْل السُّنَّة والجماعة أن الإيمان: قول وعمل، واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر. وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة ا-هـ.

[1] هذا قول المرجئة، ومفاده تساوي إيمان الأنبياء والمرسلين مع إيمان الفسقة والفجرة من المسلمين، وهذا مغاير لكثير من النصوص التي تدل على تفاضل المؤمنين في إيمانهم، والتي على أساسها تتفاضل منازلهم يوم القيامة. قال تعالى: **[لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى]** الحديد:

ش: اختلف الناسُ فيما يقعُ عليه اسمُ الإيمـانِ اختلافاً كثيراً: فذهب مالكُ والشـافعيُّ، وأحمدُ، والأوزاعيُّ، وإسحاقُ بنُ راهويه، وسائِرُ أَهْلِ الحديـث، وأَهْلُ المدينـة رحمهم اللـه إلى أنه تصديقٌ بالجَنانِ، وإقرارٌ باللسـانِ، وعملٌ بالأركان(2).

وقال ع: "أكمل المؤمنين إيمانـاً أحسنهم خلقـاً"، وغيرها كثير من النصـوص التي تدل على تفاضل المؤمنين في إيمانهم، والتي على أساسها تتحدد منازلهم يوم القيامة.

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على متن الطحاوية: قوله **"والإيمان واحد وأهله في أصله سواء"** هذا فيه نظر، بل هو باطل، فليس أَهْل الإيمان فيه سواء بل هم متفاوتون تفاوتاً عظيماً، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة ψ مثل إيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين، وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم باللـه وأسمائه وصفاته، وما شرعه لعباده، وهو قول أَهْل السُّنَّة والجماعة خلافاً للمرجئة ومن قال بقولهم ا-هـ.

(1) الخشية والتقى وملازمة الأولى، هي من ثمار الإيمان ولوازمه، فالظاهر مرآة تعكس حقيقة الباطن وما وقر في القلب، وبالتالي فإن التفاضل في الآثار يستلزم التفاضل في أصل ما وقر في القلب من يقين وإيمان.

(2) نسجل على هذا التعريف الملاحظتين التاليتين:

أولهما، أن أعمال القلب أعم وأشمل من التصديق، فمن أتى بالتصديق من دون بقية الأعمال القلبية كالحب، والخشية، والانقياد، واليقين وغيرها لا يكون مؤمناً، لذا نجد أن السلف -كما تقدم- استعاضوا في تعريفهم للإيمان عن كلمة "التصديق" بكلمة "اعتقاد في القلب" لدلالة هذا الوصف على عموم أعمال القلب التي تعتبر شرطاً لصحة الإيمان، بخلاف كلمة "التصديق" التي تعني نوعاً واحداً من أعمال القلب.

ثانياً، لو قال "عمل بالجوارح" كما أثر عن السلف، بدلاً من قوله "وعمل بالأركان" لكان أصوب وأدق؛ لأن جميع الطاعات تدخل في مسمى الإيمان وليس فقط العمل بالأركان الخمسة، واللـه تعالى أعلم.

وذهب كثيرٌ من أصحابنا[1]إلى ما ذكره الطحاوي: أنه الإقرارُ باللسان، والتصديقُ بالجنان.

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركنٌ زائدٌ ليس بأصلي[2]، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتُريدي، ويُروى عن أبي حنيفة τ[1].

---

[1] أي الأحناف الذين هم على مذهب الإمام أبي حنيفة، وقد تقدم أن ما ذكره الطحاوي في تعريفه للإيمان من أنه تعريف ناقص ومُحدَث، وهو بخلاف ما دلت عليه الأدلة وأجمعت عليه كلمة سلف الأمة.

[2] مفاد هذا القول حصر الإيمان في التصديق فقط، وهذا المذهب -لا نخطئ لو قلنا- هو عين مذهب جهم بن صفوان في الإيمان الذي يحصر الإيمان في العلم أو المعرفة، أو التصديق القلبي، وبالتالي فالكفر يكون عنده محصوراً في الجهل أو التكذيب القلبي!

قال ابن تيمية في الفتاوى (7/

وذهب الكرَّاميَّةُ[2] إلى أن الإيمانَ هو الإقرارُ باللسان فقط، فالمنافقون عندهم مؤمنون كامِلُو الإيمان!.

والذي دعانا إلى هذا التعقيب والتفصيل وجود نفرٍ في زماننا يخوضون جدلاً عقيماً مشبوهاً حول الفارق بين المعرفة والتصديق، وهل مذهب جهم في الإيمان هو المعرفة القلبية أم التصديق؟!!

والملفت للنظر في الأمر أن الشارح ابن أبي العز -رحمه اللـه- يذكر المذهب "التصديقي" في الإيمان من دون أن يتعرض لـه بمدح أو ذم أو نقد، واكتفى بالترحم والترضي على أصحاب هذا المذهب من دون أي تعقيب!!.

[1] قال ابن تيمية في الفتاوى (7/

وذهب الجهم بن صفوان إلى أن الإيمانَ هو المعرفة بالقلب، وهذا القولُ أظهرُ فساداً مما قبله، فإن لازمه أن فرعون وقومَه كانوا مؤمنين، وكذلك أَهْل الكتاب وغيرهم من الكافرين، بل إبليسُ يكون عند الجهم مؤمناً، فإنه لم يجهلْ ربه بل هو عارفٌ به، **[قال ربِّ فأَنظرني إلى يوم يُبعثون]**، والكفر عند الجهم هو الجَهلُ بالربِّ تعالى[1]، ولا أحدَ أجهل منه بربه.

والاختلافُ الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أَهْل السُّنَّة اختلافٌ صُوري، ونزاعٌ لفظي[2]!!.

ولا خلافَ بين أَهْل السُّنَّةِ أن اللهَ تعالى أراد من العباد القولَ والعملَ؛ وأعني بالقول: التصديق بالقلب[1]، والإقرار باللسان، وهذا الذي يُعنى به عند إطلاقِ قولِهم: الإيمانُ قولٌ وعمل.

دام -في عمره- مرة قال لا إله إلا الله!! ونحن بدورنا نعجب من ترحم الشيخ قطب المتكرر على هذا الذي لا يكفِّر الشيوعي الملحد الذي تجتمع فيه جميع مظاهر الجحود والإنكار للدين، الذي يقول لا إله إلا الله!!

فأي كرَّامية تعلو هذه الكرامية، وأي إرجاء يعلو هذا الإرجاء؟! نعوذ بالله من الكفر والخذلان.

(1) الكفر عند جهم هو الجهل أو التكذيب القلبي لأن الإيمان عنده محصور في المعرفة أو التصديق القلبي. ومن يقول بقول أَهْل السُّنَّة في الإيمان لزمه أن يقول بقولهم في الكفر، وهو أنه يكون بالاعتقاد، وبالقول، وبالعمل كما أن الإيمان يكون بالاعتقاد والقول والعمل.

وما يلزم "جهم" من باطل مذهبه -وقد أشار الشارح إلى بعضه- يلزم المذهب التصديقي، حيث لا فرق بين المذهبين كما تقدم.

(2) بل هو خلاف لفظي ومعنوي وحقيقي، ولا أدل على ذلك من أن الذي يُخرج العمل من مسمى الإيمان، ويحصر أعمال القلب في التصديق والمعرفة، يكون عنده المرء مؤمناً ومن أَهْل الجنة وإن لم يأت بجنس العمل، وانتفى عنه مطلق الانقياد الظاهر والباطن -باستثناء التصديق- لشرع الله، بخلاف من يدخل العمل في مسمى الإيمان فإن ذلك يلزمه أن ينفي الإيمان عمن لم يأت بجنس العمل وأصله، الذي ينتفي عنه مطلق الانقياد الظاهر لشرع الله تعالى.

قال الشيخ ابن باز: ليس الخلاف بينهم وبين أَهْل السُّنَّة فيه لفظياً، بل هو لفظي ومعنوي، ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أَهْل السُّنَّة وكلام المرجئة ا-هـ.

وقد أجمعوا على أنه لو صَدَّق بقلبه وأقرَّ بلسانه، وامتنعَ عن العملِ بجوارحه: أنه عاصٍ لله ورسولِه، مستحقٌّ الوعيدَ[2].

---

[1] قول القلب يتضمن جميع أعمال القلب من علم، وتصديق، وخشية، وحب، ورجاء، وانقياد، وخضوع، وتوكل، وإنابة وغيرها من العبادات القلبية.. وبالتالي فحصر قول القلب بالتصديق فيه نظر، وهو خطأ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

[2] هذا الإجماع صحيح لا إشكال عليه، ولكن يخشى أن يفهم منه نفي الإجماع على كفر من لا يعمل بالتوحيد، ولم يأت بجنس العمل وأصله، أو أنه امتنع عن مطلق الانقياد -الظاهر على الجوارح- لشرع الله، لذا وجب التنبيه على كفر من تكون هذه صفته والله تعالى المستعان.

قال ابن تيمية في الفتاوى (7/

وقال رحمه اللـه في (مفتاح السعادة: 1/

-فسادُ قولِ مَن لا يُدخل الأعمالَ في مُسَمَّى الإيمان-

لكن فيمن يقول: إنَّ الأعمال غيرُ داخلَةٍ في مسمى الإيمان، مَن قال: لَمَّا كان الإيمانُ شيئاً واحداً، فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق، وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياءِ والمرسلينَ وجبريل وميكائيل عليهمُ السلامَ! وهذا غلُوٌّ منه، فإن الكفرَ مع الإيمانِ كالعمى مع البصر، ولا شكَّ أن البصراءَ يختلفون في قوة البصَرِ وضَعفِه، فمنهم الأخفشُ والأعشى، ومن يرى الخطَّ الثخينَ دون الرفيع إلا بزجاجةٍ أو نحوها، ومَن يرى عن قُربٍ زائدٍ على العادة، وآخرُ بضدّه[1].

فتفاوتُ نورِ لا إله إلا الله في قلوبِ أَهْلِها لا يُحصيهِ إلاَّ اللهُ تعالى[2]، فمن الناسِ مَن نورُها في قلبه كالشمسِ، ومنهم مَن نُورُها في قلبه كالكوكب الدرّي، وآخرُ كالمشعلِ العظيم، وآخر كالسِّراجِ المضيء، وآخرُ كالسراجِ

فقلت: **هذا الكفر الصراح**، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين، قال تعالى: **[وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين]** البينة: 5.

وقال حنبل سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا **فقد كفر بالله**، وردَّ على أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله. (الفتاوى لابن تيمية: 7/

الضعيفِ، ولهذا تظهر الأنوارُ يومَ القيامةِ بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نورِ الإيمان والتوحيدِ علماً وعملاً، وكُلَّما اشتدَّ نورُ هذه الكلمةِ وعَظُمَ، أحرَقَ من الشبهاتِ والشهواتِ بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصلَ إلى حالٍ لا يُصادِفُ شهوةً ولا شُبهةً ولا ذنباً إلاَّ أحرَقَهُ[1]، وهذا حال الصادِقِ في توحيده، فسماءُ إيمانه قد حُرِسَتْ بالرجومِ من كُل سارِقٍ، ومَن عَرفَ هذا عَرَفَ معنى قول النبيّ ع: "إنَّ اللهَ حرَّم على النارِ مَن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ اللهِ تعالى". وقوله: "لا يدخلُ النارَ مَن قالَ: لا إله إلا الله"[2].

-زيادةُ الإيمانِ بزيادةِ الطاعات-

---

[1] مصداق ذلك قوله ع: "تُعرضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلبٍ أُشربها نُكتت فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين: أبيض بمثل الصَّفا فلا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسودٌ مرباداً مجخياً لا يعرفُ معروفاً ولا يُنكر منكراً إلاَّ ما أُشرب من هواه". رواه مسلم.

فالمرء كلما كمل توحيده كلما اشتدت مقاومته للفتن والأهواء، والضلالات والانحرافات، وأي خرقٍ يصيب المرء في عقيدته وأفكاره أو مواقفه هو لخلل أو ضعفٍ في إيمانه وتوحيده..

وجوابنا للشباب المسلم الذي يسأل عن المخرج من هذه الفتن والأهواء الضاربة الانتشار بين المسلمين في هذا الزمان.. هو أن يستعصم بالتوحيد -بمعناه الشامل من غير انتقاص لشيء من جوانبه أو أنواعه- دراسة وفهماً، والتزاماً وعملاً؛ فالتوحيد حصن المسلم الحصين الذي يحميه ويحفظه من أي غزوٍ خارجي - مادي أو معنوي- يستهدف شخصه أو دينه وأمته.

[2] الحديث متفق عليه، وكذلك الذي قبله. ومما ينبغي التنويه له هنا أن هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تدل على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، أو لا يدخل النار وغير ذلك، يجب أن تحمل على من قال لا إله إلا الله معتقداً بها، عالماً بمدلولاتها، فاعلاً لمقتضياتها، مجتنباً لنواقضها.. هذا ما يقتضيه التوفيق بين مجموع النصوص ذات العلاقة بالمسألة، وقد تقدم ذكر بعضها عند الحديث عن شروط لا إله إلا الله، فلتراجع.

ولو أُخِذت هذه الأحاديث مجردة عن بقية النصوص ذات العلاقة -كما هو شأن من أصابهم داء الإرجاء- للزم من يفعل ذلك أن يُدخل المنافقين والزنادقة الجنة، ويحرم عليهم النار، لأنهم يقولون لا إله إلا الله.. وهذا باطل بلا خلاف.

وأما زيادةُ الإيمان من جهةِ الإجمالِ والتفصيل، فمعلومٌ أنه لا يجِبُ في أوَّلِ الأمر ما وجبَ بعد نزول القرآنِ كُلِّه، ولا يجبُ على كل أحدٍ من الإيمانِ المفصَّلِ مما أخبرَ به الرسولُ ما يجبُ على مَن بلغَه خَبَرُهُ، كما في حقِّ النجاشي[1] وأمثاله.

وأيضاً فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً، يجبُ عليه من الإيمانِ أن يعلَمَ ما أُمِرَ به، ويؤمن بأن اللهَ أوجَبه، ما لا يجبُ على غيرِه إلاَّ مجملاً، وهذا يجبُ عليه فيه الإيمانُ المفصَّل.

وكذلك الرجلُ أول ما يُسلِمُ، إنما يجبُ عليه الإقرارُ المجملُ، ثم إذا جاءَ وقتُ الصلاة، كان عليه أن يؤمِنَ بوجوبها ويؤدِّيها، فلم يتساوَ الناسُ فيما أُمروا به من الإيمان[2].

---

[1] من شروط العمل بلوغ العلم المتمثل في الخطاب الشرعي، فإذا لم يبلغ العلم سقط العمل؛ لأن العلم يتقدم العمل والعمل تابع له، وعذر النجاشي τ فيما وقع له من التقصير من وجهين: أولهما عدم بلوغه الخطاب الشرعي الذي يُلزمه بالعمل، والثاني عجزه عن العمل فيما قد بلغه من العلم، والعجز يرفع عن صاحبه التكليف والمؤاخذة إلى حين توفر الاستطاعة لديه.

قال ابن تيمية في الفتاوى (

وأما الزيادةُ بالعمل والتصديق المستلزِمِ لعملِ القلبِ والجوارحِ، فهو أكمل من التصديقِ الذي لا يستلزمُهُ، فالعِلمُ الذي يعمل به صاحبهُ أكملُ من العلم الذي لا يُعملُ به، فإذا لم يحصل اللازمُ دلَّ على ضعف الملزوم. ولهذا قال النبيُّ ε: "ليس المخبَرُ كالمعاين"[1]. وموسى υ لما أُخبرَ أن قومَهُ عبدوا العجلَ لم يُلقِ الألواحَ، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لشكِّ موسى في خبرِ اللهِ، لكن المخبَرَ وإن جزم بصدق المخْبِرِ فقد لا يتصورُ المخْبَرَ به في نفسه كما يتصورُه إذ عاينَهُ، كما قال إبراهيمُ: **[ربِّ أرِني كيف تُحي الموتى قال أوَلَمْ تؤمِنْ قالَ بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي]** البقرة:

والشُّبهـةِ أو إحداهمـا، لَما عصى، بل يشتغِلُ قلبُهُ ذلك الوقت بمـا يواقِعُـه من المعصيةِ، فيغيبُ عنه التصديق[1] والوعيـدُ فيعصي، فلهذا قـال ε: "لا يزنـي الزانـي حِينَ يزنـي وهو مؤمن"[2].

قال تعـالى: **[فإنـهم لا يكذبونك ولكن الظـالمين بآيـات اللــه يجحـدون]** النمـل:

فهو حين يزني يغيبُ عنه تصديقُه بحُرمَةِ الزِّنى[1]!، وإن بقي أصلُ التصديق في قلبِهِ، ثم يُعاودُه، فإنَّ المتقين كما وصفَهُم الله تعالى بقوله: **[إنَّ الذين اتَّقوا إذا مَسَّهُمْ طائفٌ من الشيطانِ تذكَّروا فإذا هم مبصرون]** الأعراف:

أتبعُكَ بل أعاديكَ وأبغضُكَ وأخالفُكَ، لكان كُفرهُ أعظمُ[1]، فعُلِمَ أن الإيمانَ ليس هو التصديقَ فقط، ولا الكفرُ هو التكذيبَ فقط[2]، بل إذا كان الكفرُ يكونُ تكذيباً، ويكون مخالَفةً ومعاداةً بلا تكذيب، فكذلك الإيمانُ يكونُ تصديقاً وموافقةً وموالاةً وانقياداً، ولا يكفي مجَّردُ التصديق.

-أحاديثُ تدلُّ على دخولِ الأعمال في مُسَمَّى الإيمان-

قال ع: "الإيمانُ بِضعٌ وسَبعون شُعبةً، فأفضَلُها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ"[3]، وقال: "الحياءُ شُعبةٌ من الإيمان"[4]. وقال: أكملُ المؤمنين إيماناً أحسَنُهم خُلُقاً"[5]. وقال: "من رأى منكم منكراً فليغيرْهُ بيدهِ، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان". وفي لفظٍ: "ليس وراء ذلك من الإيمان حبةَ خرْدَلٍ"[6]. وقال: "البذاذَةُ من الإيمان"[7].

---

[1] فيه ردٌّ على من يمنعون الكفر عمن تنتفي عنه المتابعة الظاهرة، إذا كان قد أتى بالتصديق والإقرار.

[2] فيه ردٌّ على الجهمية ومن تابعهم الذين يحصرون الكفر في التكذيب أو الاستحلال القلبي فقط، وقد تقدم ذكر الأدلة الدالة على أن الكفر يكون من غير جهة الاستحلال أو التكذيب القلبي ما يغني عن إعادتها هنا.

[3] متفق عليه. والشاهد من الحديث أن مجموع هذه الشعب التي تتضمن أعمال الظاهر والباطن تُسمى إيماناً، ومنها ما يعتبر شرطاً للصحة، ومنها ما يعتبر شرطاً للكمال.

[4] متفق عليه وهو جزء من الحديث الذي قبله.

[5] صحيح، رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم، وأحمد وغيرهم. والحديث فيه دلالة على تفاضل الناس في الإيمان كما يتفاضلون في الأخلاق.

[6] رواه مسلم باللفظين. والحديث فيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيمان، وأنه ليس وراء إنكار المنكر بالقلب شيء من الإيمان، لأنه ليس وراء إنكار القلب إلاَّ الرضى، والرضى بالكفر كفر أكبر مخرج عن الملة. وفيه أن تغيير المنكر مُناط بجميع أفراد الأمة، وكلٌّ بحسب استطاعته، لأن "مَن" الواردة في الحديث تفيد العموم؛ أي كل من يرى المنكر. وفيه أن من يغير المنكر بيده يكون أقوى إيماناً ممن يغير المنكر بلسانه، وأن من يغير المنكر بلسانه أقوى إيماناً ممن ينكر المنكر بقلبه، وأن إنكار المنكر في القلب هو أضعف درجات الإيمان.

[7] حسن، رواه أبو داود وغيره. والبذاذة تعني: القصد في اللباس والتواضع، وعدم الإسراف والمباهات الذي يكون مدعاة للكبر والتفاخر والعجب. ولا ينبغي

وروى الترمذيُّ عن رسول اللــه ε أنـه قـال: "مـن أحـبَّ للهِ، وأبغـضَ للهِ، وأعطى للهِ، ومنعَ للهِ فقد استكمل الإيمـان"[1]. إلـى غير ذلك من الأحاديثِ الدالَّةِ على قوةِ الإيمان وضَعْفِه بحسبِ العمل.

فإذا كانَ الإيمانُ أصـلاً لـه شُعَبٌ متعدِّدَةٌ، وكلُّ شُعبةٍ منها تُسمى إيمانـاً؛ فالصلاةُ من الإيمان[2]، وكذلك الزكـاةُ والصـومُ والحجُّ، والأعمـالُ الباطنـةِ؛ كالحياءِ والتوكلِ والخشيةِ من اللـهِ والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشُّعَب إلى إماطَـةِ الأذى عن الطريق فإنـه مِن شُعَبِ الإيمـان، وهـذه الشُّعَب منهـا مـا يزولُ الإيمانُ بزوالها، كشعبَةِ الشهادَةِ، ومنهـا مـا لا يزول بزوالهـا، كترك إماطـة الأذى عن الطريق، وبينهُمـا شُعَبٌ متفاوتـةٌ تفاوتـاً عظيمـاً، منهـا مـا يَقْرُبُ من شعبةِ الشهادَةِ، ومنها ما يقربُ من شعبةِ إماطة الأذى[3]، وكما أنَّ

أن يفهم من "البذاذة" إهمال نظافة البدن والثوب -كما يفعل ذلك بعض الجهلـة- فاللـه تعالى جميل يحب الجمال، والنظافة والطهور من الإيمان.

[1] صـحيح. قلـت: المـوالاة والمعـاداة فـي اللـــه ولله شـرط لصـحة الإيمـان؛ لأن المحبوب لذاته هو اللـه تعالى وحده، لا يجوز أن يشركه في ذلك أحدٌ من خلقه، قال ابن تيمية فـي الفتـاوى (

شُعَبَ الإيمان إيمانٌ، فكذا شعَبُ الكفر كفرٌ، فالحكم بما أنزلَ اللـهُ -مثلاً- من شُعَبِ الإيمانِ، والحكم بغير ما أنزلَ اللـهُ كُفْرٌ.

قـال الحسـن البصـري رحمـه اللــه: لـيس الإيمـان بـالتحلي ولا بـالتمنّي، ولكنهُ ما وقرَ في الصدرِ، وصدَّقتهُ الأعمالُ(1).

-صلاحُ الظاهِرِ مِن صَلاحِ الباطنِ(2)-

لاشكَّ أنه يلزمُ من عَدمِ طاعةِ الجوارح عَدَمُ طاعَةِ القلب، إذْ لو أطـاعَ القلـبُ وانقـادَ لأطاعـتِ الجـوارِحُ وانقـادَتْ، ويَلْـزَمُ مـن عَـدَمِ طاعـةِ القلـبِ وانقيادِه عدَم التصديق المستلزمِ للطاعَةِ، قـال ε: "إن فـي الجسد مُضـغةً إذا صلَحَتْ صلحَ لها سائِرُ الجسَدِ، وإذا فسدَت فسَدَ لها سائِرُ الجسَدِ، ألا وهـي القلبُ"(3) . فمن صَلَحَ قلبُهُ صلَـحَ جسَـدُه قطعـاً، بخـلاف العكس(1).

(1) فيه أن التصديق يكون بالعمل الظـاهر علـى الجوارح، كمـا يكـون فـي القلـب؛ وبالتـالي فـإن حصـر التصـديق فـي القلـب فيـه نظـر، قـال ابـن تيميـة فـي الفتـاوى (7/

فعل شيئاً من واجباته بلا خوف، فهذا لا يكون مؤمناً في الباطن، **وإنما هو كافر**.

وزعم جهم ومن وافقه أنه يكون مؤمناً في الباطن، وأن مجرد معرفة القلب وتصديقه يكون إيماناً يوجب الثواب يوم القيامة بلا قول ولا عمل ظاهر، **وهذا باطل شرعاً وعقلاً وقد كفَّر السلف كوكيع وأحمد وغيرهما من يقول بهذا القول**، وقد قال النبي ε: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"، فبين أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد، وإذا كان الجسد غير صالح دل على أن القلب غير صالح، والقلب المؤمن صالح، فعلم أن من يتكلم بالإيمان ولا يعمل به لا يكون قلبه مؤمناً؛ وذلك أن الجسد تابع للقلب فلا يستقر شيء في القلب إلاَّ ظهر موجبه ومقتضاه على البدن ولو بوجه من الوجوه ا-هـ.

وقال رحمه الله في الفتاوى (273/18): فالظاهر والباطن متلازمان، لا يكون الظاهر مستقيماً إلاَّ مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن فلا بد أن يستقيم الظاهر ا-هـ.

وقال (221/7): والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه، كقوله تعالى: **[ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين]** إلى قوله: **[إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون]**، فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبين أن هذا من لوازم الإيمان ا-هـ.

وقال (533/7): وبهذا يظهر **خطأ جهم ومن اتبعه** في زعمهم أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر ينفع في الآخرة، فإن هذا ممتنع إذ لا يحصل الإيمان التام في القلب إلاَّ ويحصل في الظاهر موجبه بحسب القدرة، فإن من الممتنع أن يحب الإنسان غيره حباً جازماً وهو قادر على مواصلته ولا يحصل منه حركة ظاهرة إلى ذلك ا-هـ.

وقال (187/7): فإذا كان فيه -أي القلب- معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب. فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أَهْل الحديث: قول وعمل؛ قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح

الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ا-هـ.
ومما تقدم تعلم خطأ الذين تابعوا جهماً في كثير من أقواله في الكفر والإيمان، حيث يفترضون وجود إيمانٍ نافع في القلب يرافقه ظاهر كافر متمرد على طاعة الله. ومن ذلك قول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -والذي تابعه عليه كثير ممن يقلدوه! -في شريطه المعروف بـ "الكفر كفران! ": فإن كان القلب مؤمناً **والعمل كافراً**، فهنا يتغلب الحكم المستقر في القلب على الحكم المستقر في العمل.. لا يوجد عندنا في الشريعة أبداً نص يصرح ويدل دلالة واضحة على **أن من آمن بما أنزل الله لكنه لم يفعل بشيء مما أنزل الله فهذا هو كافر**.. لا يجوز سحب هذه الآية -**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**- على أولئك المسلمين لأنهم يختلفون عن المشركين بأنهم آمنوا بما أنزل الله لكن إيمانهم بما أنزل الله **لم يقترن به العمل!**، بينما أولئك الكفار جحدوا ما أنزل الله قلباً وقالباً.. لكننا نفرق بين الكفر المقصود قلباً وبين الكفر الذي لم يقصد قلباً. وإنما قالباً وفعلاً.. انتهى الاقتباس من الشريط. وغيرها كثير من العبارات التي تدل على أن كلاً من القلب والجوارح يتحرك بمفرده وبطريقته المستقلة والمنعزلة عن الآخر! فهومؤمن في قلبه لكنه كافر في ظاهره.. فتأمل!!.
ومن إطلاقاته الغريبة في ذلك قوله في السلسلة (6/111-112): فلا يجوز حمل هذه الآيات -ومن لم يحكم بما أنزل الله.. - على بعض الحكام المسلمين وقضاتهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله من القوانين الأرضية، أقول: لا يجوز تكفيرهم بذلك وإخراجهم من الملة إذا كانوا مؤمنين بالله ورسوله، وإن كانوا مجرمين بحكمهم بغير ما أنزل الله، لا يجوز ذلك، لأنهم وإن كانوا كاليهود من جهة حكمهم المذكور، فهم مخالفون لهم من جهة أخرى، ألا وهي إيمانهم وتصديقهم بما أنزل الله، بخلاف اليهود الكفار، فإنهم كانوا جاحدين له كما يدل عليه قولهم المتقدم: "وإن لم يعطكم حذرتموه فلم تحكموه"، بالإضافة إلى أنهم ليسوا مسلمين أصلاً، وسر هذا أن الكفر قسمان، اعتقادي وعملي، **فالاعتقادي مقره القلب، والعملي محله الجوارح!!** ا-هـ.

فتأمل، فهم -أي الحكام- في الباطن مؤمنون بما أنزل الله، ومع ذلك فهم في الظاهر كاليهود لا يحكمون بما أنزل الله.. وهذا لا يستلزم عند الشيخ ومن تابعه تكفيرهم، لأن باطنهم -وإن جاء مخالفاً لظاهرهم الكافر- مستقر على التصديق والإيمان..!!

-الإيمانُ يزدادُ وينقصُ[2]-

والشيخ عندما يقسم الكفر إلى كفرين، فهو لا يريد تقسيم أَهْل السُّنَّة الذين قسموا الكفر إلى كفر أكبر وكفر أصغر، وإنما يريد تقسيم جهم بن صفوان ومن تابعه من غلاة المرجئة للكفر؛ كفر باطن مقره القلب وهو الذي يخرج من الملة، وكفر ظاهر مقره الجوارح لا يخرج صاحبه من الملة مهما كان بواحاً.

وإليك بعض أقواله في ذلك مقتبسة من شريطه "الكفر كفران! " حيث قال: الكفر الاعتقادي يختلف عن الكفر العملي من حيث **أنه كفر قلبي**، أما الكفر العملي ليس كفراً قلبياً وإنما هو كفر عملي!!.. هل انتبهت سابقاً أو لاحقاً في هذه الجلسة **أن الكفر عمل قلبي وليس عمل بدني!!** هل انتبهت لهذا أم لا!! .. ا-هـ.

وقد رددنا على هذا الشريط المذكور - لما فيه من الطامات- بمصنف مطبوع يزيد عن المائتي صفحة، فليراجعه من يشاء.

(1) قوله "بخلاف العكس" أي أحياناً يستلزم صلاح الجسد صلاح القلب ويدل عليه، ولكن ليس على الاطلاق ووجه الجزم لاحتمال النفاق، حيث أن المنافق يُظهر من الأعمال الصالحة ما ليس في قلبه من الاعتقاد والكفر، ومع ذلك فإن المنافق لا نستطيع أن نحكم على صلاح ظاهره كما لو كان سليم الباطن والاعتقاد، حيث أن القرائن العملية الدالة على كفره ونفاقه لا بد من أن تظهر بين الفينة والأخرى من خلال فلتات اللسان أو المواقف التي لا يمكن له أن يتجنبها أو يتجاوزها بحكم انقياده لاعتقاده الفاسد في الباطن.

وقد تقدم قول ابن تيمية: وذلك أن الجسد تابع للقلب فلا يستقر شيء في القلب إلاَّ ظهر موجبه ومقتضاه على البدن ولو بوجه من الوجوه ا-هـ.

قلت: فمن استقر في قلبه النفاق، لابد من أن يظهر نفاقه على جوارحه وفي مواقفه ولو بوجه من الوجوه. ومنه تعلم أن صلاح ظاهر المنافق لا يتساوى مع صلاح ظاهر المؤمن الصادق في إيمانه.

(2) أي يزداد بالطاعات، وينقص بالذنوب والمعاصي، ومن لوازم هذا القول التسليم بأن المعاصي والذنوب تؤثر على الإيمان ضعفاً وسلباً بحسب نوعها وكمها، حيث كلما كبرت الذنوب وكثرت كلما ضعف الإيمان، فكبائر الذنوب تضعف الإيمان أكثر من الصغائر، والكفر أو الشرك أثره على الإيمان أشد من اجتماع الكبائر كلها معاً.

وبالتالي من يقول: الإيمان يزداد وينقص يلزمه أن يميز بين الشرك وغيره من الذنوب من حيث أثرها على الإيمان ضعفاً وقوةً، ومن لا ينفي الإيمان بالشرك

قال تعالى: **[وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتهم إيماناً]** الأنفال: 3. **[ويزيدُ اللهُ الذين اهتدَوا هُدَىً]** مريم:

وحديث الشفاعَةِ، وأنه يخرجُ مِنَ النارِ من في قلبِهِ أدنى أدنى مثقالِ ذَرَّةٍ من إيمانٍ.

فكيف يُقال بعد هذا إن إيمانَ أَهْلِ السماواتِ والأرض سواء؟! وإنما التفاضلُ بينهم بمعانٍ أُخر غيرِ الإيمان[1].

ومن كلام الصحابة، قول أبي الدرداء: مِن فِقهِ العبدِ أن يتعاهدَ إيمانَهُ وما نقصَ منه، ومن فقه العبدِ أن يعلَمَ: أيزدادُ هو أم ينقصُ؟

وكان عمر τ يقول لأصحابه هَلُمُّوا نَزدَدْ إيماناً، فيذكرونَ اللهَ Y.

وكان ابن مسعود يقولُ في دعائه: اللهمَّ زِدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً[2].

وكان معاذ بن جبل يقولُ لِرجُلٍ: اجلِسْ بنا نؤمن ساعَةً[3]. ومثله عن عبد الله بن رواحة. وصحَّ عن عمار بن ياسرٍ أنه قال: ثلاثٌ من كُنَّ فيه فقد استكمل الإيمانَ: إنصافٌ من نفسِه، والإنفاقُ مِن إقتارٍ، وبذلُ السلام للعالَم[4].

-مُسمَّى الإيمان أحياناً يتضمنُ العملَ ويشملُ الإسلام[5]-

ب- حبٌّ ينفي مطلق الإيمان: كأن تكون طاعة بعض الناس أحب إلى قلبه من طاعة النبي ε، وحكمه مقدم عنده على حكم النبي ε، ومثل هذا النوع من الحب لاشكَّ أنه ينفي عن صاحبه مطلق الإيمان.

(1) فيه رد على ما جاء في متن الطحاوي رحمه الله وهو قوله: "وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى.. "، وكان الشارح من قبل يظهر أن خلاف أصحاب هذا القول مع أَهْل السُّنَّة والحديث خلاف صوري لا حقيقي!!.

(2) قال الهيثمي في المجمع (185/10): إسناده جيد.

(3) رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

(4) رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عنه موقوفاً.

(5) هل يتضمن الإيمان الإسلام، أم لكلٍّ منهما له معناه المغاير، وهل الإسلام يأتي أحياناً متضمناً للإيمان..؟ هذه مسألة كنت قد كتبت فيها في كتابي "قواعد في التكفير" بشيء من التفصيل، وإتماماً للفائدة أنقله هنا فأقول:

خلاصة ما قيل في المسألة، والذي دلَّت عليه النصوص من الكتاب والسنة أنَّ الإيمان أحياناً يطلق ويكون له معنى مغاير للإسلام، وكذلك الإسلام فإنه أحياناً يطلق ويكون له معنى مغاير للإيمان. وفي هذه الحالة يكون الإيمان مكانه القلب ويتضمن الأعمال القلبية كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشرّه، والحب في الله والكره في الله.

أمَّا الإسلام فيكون مكانه الجوارح ويتضمن الأعمال الظاهرة من صلاة وصوم، وحج، وزكاة وغير ذلك.

ودليل ذلك، سؤال جبريل النبيَّ ε عن الإسلام والإيمان، قال: يا محمَّد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ε: "الإسلام: أنْ تشهَدَ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله وتُقيمَ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً". قال: صدَقتَ. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمِنَ بالله، وملائكتِه وكُتُبِه، ورسُله، واليوم الآخر، وتؤمِنَ بالقَدرِ خيرِهِ وشَرِّهِ". قال: صدقت. (رواه مسلم وغيره). ففسر الإسلام بأمر ظاهر بينما فسر الإيمان بأمر باطن.

وكان النبي ε يقول: "اللهُمَّ مَن أحييتَهُ منا، فأحيِه على الإسلام، ومن توفيتَهُ منا، فتوفه على الإيمان". (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم في صحيحه، ووافقه الذهبي).

قال ابن رجب في جامع العلوم (108/1): لأنَّ العمل بالجوارح إنَّما يتمكن منه في الحياة، فأما عند الموت فلا يبقى غيرُ التصديق بالقلب ا - هـ.

وقال ε: "من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم". (رواه البخاري وغيره)، وهذه أعمال ظاهرة من عمل الجوارح.

وفي صحيح مسلم أن رجلاً سأل رسولَ الله ε، أي المسلمين خير؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده". بينما عندما سئل عن المؤمن قال: "من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم". ففسر المؤمن بأمر باطن، وهو أن يأمنه الناس، والأمان مكانه القلب، بينما فسر المسلم بأمر ظاهر، وهو سلامة المسلمين من لسانه ويده، وكلاهما شيء ظاهر.

وفي حديث عمرو بن عبسة، أن رجلاً قال للنبيِّ ε: ما الإسلام؟ قال: "إطعام الطعام ولين الكلام". قال: فما الإيمان؟ قال: "السماحة والصبر". ففسر الإسلام بأمر ظاهر، وفسَّرَ الإيمان بأمر باطن لأنَّ السماحة والصبر مكانهما القلب.

وكذلك قوله ε في (الصحيحين): "لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه". وقوله: "لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده والناس أجمعين". وقوله: "ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار". والحب والكره هما من أعمال القلوب. وكذلك قول النبيّ ε في الأنصار: "لا يحبهم إلاَّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاَّ منافق" رواه مسلم. والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد استفاضت بها السُّنَّة.

وأحياناً يُطلق الإيمان ويكون شاملاً للإسلام متضمناً لـه، وكذلك الإسلام فإنـه أحيانـاً يُطلـق ويكـون متضـمناً للإيمـان، وفـي هذه الحالـة يكـون الإيمـان مكانـه الباطن والظاهر حيث أنه يشمل العمل، وكذلك الإسلام فإنه يكون مكانه الظاهر والباطن.

كما في قوله تعالى: **[إنَّ الدين عند اللـه الإسلام]** وقولـه: **[ومن يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبل منه]** آل عمران: 19 و 85. فالإسلام الذي لا يقبلَ اللـه ديناً غيره، هو الإسلام الذي يتضمن الإيمان والأعمال القلبية، والأعمال الظاهرة ولا يصح أن يقال غير ذلك.

وكذلك قوله تعالى: **[فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين]** الذاريات 35-36. فالمسلم والمؤمن هنا بمعنى واحد، وكل منهما متضمن للآخر. وهو كقوله ε في السلام على مقابر المسلمين: "السلام علـى أَهْل الـديار مـن المـؤمنين والمسـلمين، ويـرحَمُ اللــه المسـتقدمين منَّـا والمتـأخرين، وإنـا إن شـاء اللــه بكـم للاحقـونَ" رواه مسـلم. قـال النـووي فـي الشـرح (44/7): ولا يجـوز أن يكـون المـراد بالمسـلم فـي هـذا الحـديث غيـر المؤمن لأنَّ المؤمن إن كان منافقاً لا يجوز السلام عليه والترحم ا-هـ.

قلت: لعل الأصوب أن يُقال "المسلم" بدلاً من كلمة "المؤمن" لأن المؤمن لا يصح أن يفترض فيه النفاق، فلا يجتمع في قلب واحد إيمان ونفاق مخرج من الملة، بينما المسلم يمكن أن يكون في ظاهره مستسلماً لأحكام الشريعة وفي باطنه يُضمر الكفر والنفاق.

وكذلك قـول النبـي ε، لوفد عبد القيس: "أتـدرون مـا الإيمـان باللــه وحـده؟" قـالوا: اللــه ورسولُه أعلم، قـال: "شـهادة أن لا إلـه إلا اللــه وأن محمـداً رسـولُ اللــه، وإقـام الصـلاة، وإيتـاء الزكـاة، وصـيام رمضـان، وأن تعطـوا مـن المغنم الخمس". ففسر الإيمان بالإسلام مما دلَّ أنَّ الإيمان أحياناً يشمل الإسلام.

وفي مسند الإمام أحمد، عن عمرو بن عبسة، قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ε، فقال: يا رسول اللـه، ما الإسلام؟ قال: "أن تُسلم قلبكَ لله وأن يسلم المسلمونَ من لسانِكَ ويدِكَ"، قال: فأيُّ الإسلام أفضلُ؟ قال: "الإيمان". قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمِن باللـه، وملائكته، وكتبِه، ورسُلِه، والبعثِ بعدَ الموت" قال: فأيُّ الإيمان أفضلُ؟ قال: "الهجرة". قال: فما الهجرةُ؟ قال: "أن تهجُرَ السُّوءَ"، قال: فأيُّ الهجرة أفضل؟ قال: "الجهاد"؛ قال الهيثمي في "المجمع" 59/1: رواه أحمد، والطبراني في الكبير بنحوه، ورجاله ثقات.

فجعل النبي ε الإيمان داخلاً في الإسلام وهو أفضله، ثم أدخل الأعمال كالهجرة والجهاد في مسمى الإيمان وجعلها منه. كما فسر الإسلام بأمر باطني وهو استسلام القلب لله Y.

وكذلك قوله ε: "لايدخل الجنة إلاَّ نفس مسلمة" رواه البخاري. فالإسلام هنا يشمل الإيمان، لأن من لوازم دخول الجنة الإيمان بالله Y. كما قال ε لعمر: "يا ابن الخطاب! اذهب فنادِ في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلاَّ المؤمنون" رواه أحمد، ومسلم، صحيح الجامع: "7837". وفي حديث آخر قال: "يا ابن عوف! اركب فرسك، ثم نادِ: إنَّ الجنة لا تحلُّ إلاَّ لمؤمنٍ" رواه أبو داوود، صحيح الجامع الصغير: "7840".

تنبيه: بقي أمرٌ لا بدَّ من ذكره والتنبيه عليه، وهو أنَّ كل مؤمن مسلم، وذلك أنَّ المؤمن الصادق في إيمانه لا بدَّ من أن يدفعه إيمانه للعمل وأن تظهر آثاره على جوارحه بفعل الأركان والطاعات، والإنتهاء عما نُهي عنه. كما في الحديث الصحيح: "ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب".

قال ابن حجر في "الفتح"(128/1): خصَّ القلبَ بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد ا-هـ. لذلك فأيما امرءٍ يدعي الإيمان في قلبه، وأنه يصدق بكل ما جاء به الإسلام، وهو بنفس الوقت لا يقوم بأركان الإسلام ولا بشيءٍ من واجبات الإيمان ومتطلباته العملية، فهو كافر كذَّاب لأنَّ الفرع دليل على الأصل، والظاهر دليل على الباطن، فخراب الظاهر من خراب الباطن كما أنَّ صلاح الظاهر من صلاح الباطن، فهو لازم لملزوم.

وليس كل مسلم مؤمناً؛ لاحتمال أن يكون المسلم منافقاً، حيث أنه يأتي بأركان الإسلام. فمثل هذا وإن كان كافراً مخلداً في نار جهنم وفي الدرك الأسفل منها، إلاَّ أنه في الدنيا يعامل معاملة المسلمين بناء على ظاهره ما لم يُعرف نفاقه ويظهر.

ومما تقدم نستطيع أن نقول: أنَّ كل مؤمن بالمعنى المتضمن للعمل يدخل الجنة، وليس كل مسلم -بالمعنى المغاير للإيمان- يدخل الجنة. أما إن كان بالمعنى المتضمن للإيمان والاعتقاد، يكون كل مسلم يدخل الجنة وهو من أهلها.

قال تعالى: **[إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللــهُ وجِلَتْ قلوبُهم]** الأنفال:
2. **[ولو كانوا يؤمنون باللــه والنبيِّ وما أُنزِلَ إليه ما اتخذوهم أولياءَ]** المائدة:

وقولــه تعــالى: **[إنَّ المســلمين والمســلماتِ والمــؤمنينَ والمؤمنــاتِ]** الأحزاب:

-مسألةُ الاستثناءِ في الإيمان-

وهو أن يقولَ الرجلُ: أنا مؤمنٌ إن شاءَ اللهُ. والناسُ فيه على ثلاثةِ أقوالٍ: طرفان ووسط، منهم مَن يوجِبُه، ومنهم من يُحرِّمُه، ومنهم من يُجيزُه باعتبارٍ ويمنعُه باعتبار، وهذا أصحُّ الأقوال، وهم أسعدُ بالدليلِ من الفريقين: فإن أرادَ المستثني الشكَّ في أصل إيمانه مُنع مِنَ الاستثناءِ، وهذا مما لا خلافَ فيه، وإن أرادَ أنه مؤمِنٌ من المؤمنين الذين وصفهم اللـه: **[أولئكَ هم المؤمنون حقَّاً لهم درجاتٌ عند ربِّهم ومغفرةٌ ورِزقٌ كريمٌ]** الأنفال: 4. فالاستثناء حينئذٍ جائزٌ[1]، وكذلك من استثنى وأرادَ عدَمَ علمهِ بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئةِ اللـه، لاشكاً في إيمانه[2].

الموت". قال الهيثمي في المجمع (59/1): رواه أحمد، والطبراني في الكبير بنحوه، ورجاله ثقات.

فانظر كيف فسر النبي ε في أول الحديث الإسلام بأمر باطن وظاهر في آنٍ معاً، وهو إسلام القلب لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك.

ثم انظر كيف جعل الإسلام متضمناً للإيمان، ثم كيف فسر الإيمان بالأصول التي هي من أعمال القلب.

وكذلك قوله ε: "لا يدخل الجنة إلاَّ نفسٌ مسلمة"، فالإسلام هنا يشمل الإيمان ويتضمنه، لأن المنافق الذي لا يعتقد الإيمان لايدخل الجنة، بل هو في الدرك الأسفل من النار.

خلاصة القول: قد تقدمت الإشارة إلى أن الإيمان يُطلَق أحياناً ويكون شاملاً للإسلام، وأحياناً يُطلق ويكون مغايراً له.

وكذلك الإسلام، أحياناً يطلق ويكون شاملاً للإيمان، وأحياناً يُطلق ويكون مغايراً له. هذا الذي دلت عليه نصوص الشريعة، واللـه تعالى أعلم.

(1) بل هو واجب، لأن عدم الاستثناء في هذه الحالة يُعتبر نوعاً من التألي على اللـه بغير علم، وفيه تزكية المرء لنفسه على اللـه، واللـه تعالى يقول: **[فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى]**.

(2) الاستثناء يكون كذلك للعمل، لأن العمل من الإيمان، والمرء لم يأت بمطلق العمل لذا فهو يستثني لـه، بخلاف المرجئة والجهمية الذين يحصرون الإيمان في التصديق فهم لا يرون الاستثناء في الإيمان، لأن الاستثناء عندهم يستلزم الشك في التصديق!.

وقد سئل الإمام أحمد عن الاستثناء في الإيمان، فقال: نعم، الاستثناء على غير معنى شك مخافة واحتياطاً للعمل، وقد استثنى ابن مسعود وغيره، وهو مذهب

الثوري، قال اللـه عز وجل: **[لتدخلن المسجدَ الحرامَ إن شاء اللـهُ آمنين]** الفتح: 27. وقال النبي ε لأصحابه: "إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله"، وقال في البقيع: "عليه نبعث إن شاء اللـه"، وقال: "وإنا إن شاء اللـه بكم لاحقون"، قال: هذا حجة في الاستثناء في الإيمان، لأنـه لا بـد مـن لحوقهم ليس فيه شك.

وقال أيضاً: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: ما أدركت أحداً من أصحابنا لا ابن عون، ولا غيره إلاَّ وهم يستثنون في الإيمان.

وقال رحمـه اللـه لرجل: أليس الإيمـان قولاً وعملاً؟ قال الرجل: بلى، قال: فجئنا بالقول، قال: نعم، قال: فجئنا بالعمل؟ قال: لا، قال: فكيف تعيب أن يقول إن شاء اللـه ويستثني؟ وقال: الإيمان قول وعمل فجئنا بالقول ولم نجئ بالعمل، فنحن مستثنون بالعمل.

وقال -أي الإمام أحمد- رحمه اللـه: بلغني عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: أول الإرجاء ترك الاستثناء.

وقال: لو كان القول كما تقول المرجئة أن الإيمـان قـول، ثـم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحاً أن تقول: لا إله إلا اللـه إن شاء اللـه، ولكن الاستثناء على العمل. (انظر كتاب السُّنَّة للخلال، فصل الرد على المرجئة في الاستثناء في الإيمان، ص 593).

وقال ابن تيمية في الفتاوى (429/7 و 438): وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء اللـه، فالناس فيه على ثلاثة أقوال: منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين، وهذا أصح الأقوال. فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم، ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه... إلى أن قال: وأما مذهب سلف أصحاب الحديث، كابن مسعود وأصحابه، والثوري وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أَهْل البصرة، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة، فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم، لكن ليس في هؤلاء من قال: أنا استثني لأجل الموافاة، وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافى به العبد ربه، بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو **لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات**، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم ا-هـ.

ومما تقدم تعلم أن أصل الخلاف في هذه المسألة وغيرها يعود إلى الموقف من تعريف الإيمان، ومنه تعلم أيضاً أن الخلاف بين أَهْل السُّنَّة الذين يقولون:

-قبولُ خَبَرِ الآحادِ إن صَحَّ-

قولـه: **"وجميـعُ مـا صَـحَّ عن رسـولِ اللــه ε مِـنَ الشَّـرْعِ والبيـانِ كلُّـهُ حقٌّ"**. يشيرُ رحمه اللـه بذلك إلى الردِّ علـى الذين يُبطلـونَ أحاديث الآحـاد، بقـولهم: أنهـا لا تُفيدُ العلـمَ، ولا يحـتجُّ بهـا مـن جهـةِ طريقِهـا، ولا مـن جهـة متنـها! فسَدُّوا علـى القلوب معرفَةِ الربِّ تعالى وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِـه من جهةِ الرسولِ، وأحـالُوا النـاسَ علـى قضـايا وهميـة ومقدماتٍ خياليـة سمَّوها قواطِعَ عقلية، وبراهينَ يقينيَّة!! وهـي فـي التحقيـق: [**كسرابٍ بقيعَةٍ يحسَبُهُ الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يجدْهُ شيئاً**] النور:

من النَّسَبِ" متفق عليه. وهو نظيرُ خبَرِ الذي أتى مسجد قباء، وأخبرَ أنَّ القبلةَ تحوَّلَت إلى الكعبةِ، فاستداروا إليها. (متفق عليه).

وكان رسولُ اللهِ ε يُرسِلُ رُسُلَهُ آحاداً[1]، ويُرْسِلُ كُتبَهُ مع الآحادِ، ولم يكن المرسَلُ إليهم يقولون: لا نقبلُهُ لأنه خبَرُ واحدٍ[2].

---

(1) كما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسولَ الله ε لمَّا بعثَ معاذاً إلى اليمن، قال: "إنك تقدم على قومٍ أَهْل كتابٍ، فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله فإذا عَرفوا الله، فأخبرهم أن اللهَ قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم..".

والحديث فيه رد على من ينكرون -بغير دليل سوى اتباع الظن والهوى- حجية خبر الواحد في العقائد، حيث أن معاذاً كان واحداً، ومع ذلك فقد أُمِر أن يبلغ الآخرين التوحيد والعقائد التي تتضمن تعريفهم بخالقهم، وحقه عليهم. ولو لزم تبليغ العقائد شرط التواتر -كما يزعم البعض- لأمر النبي ε أصحابه أن يبلغوا عنه التوحيد والعقائد وهم جماعات جماعات، ولـمَّا لم يحصل هذا وحصل خلافه عُلِمَ أنه شرط باطل لا أصل له في ديننا.

(2) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني كلام جيد -يرد فيه على من يشترطون حد التواتر لقبول الخبر في العقائد -في رسالته "وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة"- حيث يقول: إن هذا القول -أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم، وأنها لا تثبت بها عقيدة- وإن كنا نعلم أنه قد قال به بعض المتقدمين من علماء الكلام، فإنه منقوض من وجوه عديدة:

الوجه الأول: أنه قول مبتدَع محدث، لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغراء، وهو غريب عن هدي الكتاب وتوجيهات السنة، ولم يعرفه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ولم ينقل عن أحدٍ منهم، بل ولا خطر لهم على بال، ومن المعلوم المقرر في الدين الحنيف أن كل أمرٍ مبتدع من أمور الدين باطل مردود لا يجوز قبوله بحال، عملاً بقول النبي ε: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" متفق عليه.

وإنما قال هذا القول جماعة من علماء الكلام، وبعض من تأثر بهم من علماء الأصول من المتأخرين، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ولا برهان، وما هكذا شأن العقيدة، وخاصة من يشترط لثبوتها القطعية في الدلالة والثبوت.

الوجه الثاني: أن هذا القول يتضمن عقيدة تستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ε لمجرد كونها في العقيدة، وهذه العقيدة هي أن

أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة، وإذا كان الأمر كذلك عند هؤلاء المتكلمين وأتباعهم فنحن نخاطبهم بما يعتقدون، فنقول لهم أين الدليل القاطع على صحة هذه العقيدة لديكم من آية أو حديث متواتر قطعي الثبوت، قطعي الدلالة أيضاً بحيث أنه لا يحتمل التأويل.

وقد يحاول البعض الإجابة عن هذا السؤال، فيستدل ببعض الآيات التي تنهى عن اتباع الظن، كقوله تعالى في حق المشركين: [**إن يتبعون إلاَّ الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً**] النجم: 28. ونحوها، وجوابنا على ذلك أن الذي أنزلت عليه هذه الآية وغيرها هو الذي أنزلت عليه الآيات الأخرى التي تأمر الأفراد والجماعات بنقل العلم كقوله تعالى: [**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**] التوبة: 122. والطائفة تقع على الواحد فما فوقه في اللغة، فأفادت الآية أن الطائفة تنذر قومها إذا رجعت إليهم، والإنذار والإعلام بما يفيد العلم، وهو يكون بتبليغ العقيدة وغيرها مما جاء به الشرع، وكقوله تعالى: [**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**] الحجرات: 6. وفي القراءة الأخرى [**فتثبتوا**]، وهذا يدل على الجزم والقطع بقبول خبر الواحد الثقة، وأنه لا يحتاج إلى تثبت، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم. والمراد بالظن -في الآية- الظن المرجوح الذي لا يفيد علماً، بل هو قائم على الهوى والغرض المخالف للشرع ويوضح ذلك قوله تعالى في آية أخرى: [**إن يتبعون إلاَّ الظنَّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**] النجم: 23. إلى أن قال: لو كان هناك دليل قطعي على أن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد كما يزعمون لصرح بذلك الصحابة، ولما خالف في ذلك من سيأتي ذكرهم من العلماء، لأنه لا يعقل أن ينكروا الدلالة القاطعة أو تخفى عليهم، لما هم عليه من الفضل والتقوى وسعة العلم..

الوجه الثالث: أن هذا القول مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة التي نحتج نحن وإياهم جميعاً بها على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام الشرعية، وذلك لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله ε عن ربه سواء كان عقيدة أو حكماً.. فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد تخصيص بدون مخصص وذلك باطل، وما لزم منه باطل فهو باطل.

الوجه الرابع: أن القول المذكور ليس فقط لم يقل به الصحابة بل هو مخالف لما كانوا عليه رضي الله عنهم، فإننا على يقين أنهم كانوا يجزمون بكل ما يحدث به أحدهم من حديث رسول الله ε، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله

-موقفُ أَهْلِ السُّنَّةِ من النصِّ الصحيحِ-

وطريقُ أَهْل السُّنَّةِ أن لا يعدلوا عن النصِّ الصحيح، ولا يُعارضُوه بمعقولٍ، ولا قولِ فلانٍ، كما أشارَ إليه الشيخُ، وكما قال البخاريُّ رحمه الله: سمعتُ الحميديَّ يقول: كنا عند الشافعيِّ رحمه الله، فأتاه رجلٌ، فسألَهُ عن مسألةٍ، فقال: قضى فيها رسولُ اللهِ ε كذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقولُ أنتَ؟! فقال: سبحان اللهِ! تراني في كنيسةٍ! تراني في بيعَةٍ! ترى على وسطي زنَّاراً[1]؟! أقول لك: قضى رسولُ اللهِ ε، وأنت تقول: ما تقول أنتَ؟!!

ونظائرُ ذلك في كلامِ السَّلفِ كثيرٌ[2]، وقال تعالى: **[وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُه أمراً أن يكون لهُم الخِيرَةُ من أَمْرِهم]** الأحزاب:

قولُه: "والمؤمنونَ كُلُّهم أولياءُ الرحمنِ[1]".

ش: فالمؤمنونَ أولياءُ اللــهِ، واللـــه تعالــى وليُّهــم، قــال تعالــى: **[ألا إنَّ أوليـاءَ اللــهِ لاخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتَّقون[2]]**

مثلاً بمثل، لا زيادةَ بينهما ولا نَظِرة". فقال له معاوية: يا أبا الوليد لا أرى في هذا إلاَّ ما كان من نَظِرَةٍ! فقال عبادة: أحدثك عن رسول اللـه ε وتحدثني عن رأيك؟! لئن أخرجني اللـه لا أساكنك بأرضٍ لك علي فيها إمرَةً!

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة قال لرجل: يا ابن أخي، إذا حدثتك عن رسولِ اللـه ε حديثاً فلا تضرب له الأمثالَ.

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول: قال رسول اللـه، وتقولون: قال أبو بكرٍ وعمر؟!

قلت: إذا كان هذا حال من يقول بقول أبي بكر وعمر رضي اللـه عنهما على قول رسول اللـه ε، فما يكون القول فيمن يقول على قول رسول اللـه ε، ولكن قال: أفلاطون، وفرويد، وداروين، وماركس، ولينين.. وغيرهم من طواغيت الأرض؟!

وكذلك قصة قتل عمر بن الخطاب τ للرجل الذي لم يرضَ بحكم النبيِّ ε وأراد أن يتحاكم إليه من دون النبي ε، فهي معروفة ومشهورة في كتب الحديث. فليحذر الذين يقدمون حكم الطاغوت وحثالات آراء الناس على حكم اللـه ورسوله، من قارعة لا تُبقي ولا تذر، وما أشد القوارع التي تنزل في الأمة في هذا الزمان بسبب إعراض الناس عن حكم اللـه ورسوله، ولكن أين المعتبر: **[ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون]** المؤمنون: 76.

[1] الولاية هنا ولاية عامة مطلقة، أما تخصيصها بشخص معين لا نقدم عليه إلاَّ من ثبت في حقه نص يدل على ذلك، وهذا منقطع بعد زمان النبوة ليس لأحد بعد النبي ε أن يدل عليه دلالة قاطعة. والقول في الولاية والولي كالقول في الشهادة والشهيد من حيث التعميم والتخصيص.

ثم أن ولاية اللـه تعالى للمؤمنين ليست سواء وعلى درجة واحدة، وإنما هي تكون بحسب إيمانهم قوة وضعفاً؛ فولايته سبحانه وتعالى للأنبياء والرسل هي أعلى من ولايته لمن هم دونهم، وولايته لأهْل الطاعات والاستقامة هي أعلى من ولايته لأهْل المعاصي والذنوب، وولايته لأهْل المعاصي والذنوب هي أعلى من ولايته لأهْل الكبائر والفجور، ولا ولاية لكافر، **[وأن الكافرين لا مولى لهم]**.

[2] هذه هي صفة أولياء الرحمن الذي يحبهم ويحبونه، ويرضى سبحانه عنهم، ويرضون عنه: الإيمان، والتقوى. والتقوى تعني فعل الطاعات وجميع ما أمر

يونس:

والتقرُّبُ إليه بمرضاته. والوَلاية: هي عبارةٌ عن موافقَةِ الولي الحميدِ في محابِّه ومَسَخِطِه[1] [2].

-ولايةُ الخالقِ، ليستْ كولايَةِ المخلوقِ للمخلوق[2]-

فاللـهُ يتولَّى عِبادَهُ المؤمنينَ، فيُحبُّهُم ويُحبونَـهُ، ويَرضى عنهم ويرضونَ عنه، ومن عادَ لـه وليّاً فقد بارزَه بالمحاربَةِ، وهذه الوَلايـةُ من رحمته وإحسانِه، ليسَت كولايةِ المخلوق للمخلوق لحاجتِه إليه، قال تعالى: **[وقل الحمدُ للهِ الذي لم يتخِذْ ولَدَاً ولم يكُنْ له شريكٌ في الملْكِ ولم يكن له وليٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكبيرا]** الإسراء:

يجتمع في المؤمن ولايةٌ من وجهٍ، وعداوةٌ من وجه[1]، كما قد يكونُ فيهِ كفرٌ[2]وإيمان، وشِركٌ وتوحيد[3]، وتقوى وفجورٌ، ونِفاقٌ[4]وإيمان. قال تعالى: **[وما يؤمِنُ أكثرُهم باللـه إلاَّ وهم مشركون]**[5] يوسف:

تعالى: **[قلْ لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا]** الحجرات:

ومنها: بيان بطلان اعتبار التفاضل على أساس لون البشرة، أو الانتماء العرقي، أو الانتماء القومي، أو الانتماء القبلي والإقليمي أو العائلي، أو الانتماء الوطني، أو الانتماء إلى لغة معينة.. وغيرها من الولاءات والانتماءات التي لا تعتبر التقوى والعمل الصالح الميزان الوحيد للتفاضل بين الناس فهذه الولاءات كلها باطلة وجاهلية نتنة، مؤداها إلى الشرك، وعبادة أوثانٍ ضخمةٍ من دون الله تعالى.

ومنها: بيان بطلان اعتبار التفاضل بين الناس على أساس الغنى والفقر، أو على أساس الجاه، والمناصب، أو الرياسة والزعامة، أو الشهادات والوظائف.. وغير ذلك من الاعتبارات الوضيعة السائدة في عرف كثير من الناس!!

فالمرء يساوي في نظر الآخرين -المهزومين داخلياً وعقدياً- بقدر ما يملك من مال، وعلى قدر ما يملك من مال وجاه بقدر ما يتعاظم شأنه عند الناس المهزومين إيمانياً، وتقدم له التبجيلات والاحترامات، والتنازلات، والامتيازات، بغض النظر عن دينه وأخلاقه وتقواه!!

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ε أنه قال: "يا معشرَ الفقراء ألا أبشركم؟ إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم: خمسمائة عام" صحيح الجامع الصغير (

قولُه: "والإيمانُ: هو الإيمانُ باللـهِ، وملائكتهِ، وكُتُبهِ، ورسُلِه، واليـومِ الآخِـرِ، والقـدَرِ خيـرِه وشـرِّهِ، وحُلْـوِهِ ومُـرِّه، مـن اللـه تعالى"(1)

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس. ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية اللـه للجميع، وخلقهم من أصل واحد، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل اللـه. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت، وكلها من الجاهلية وإليها، تتزيا شتى الأزياء، وتتسمى بشتى الأسماء، وكلها جاهلية عارية من الإسلام!

وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها، ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية اللـه.. لا راية الوطنية، ولا راية القومية، ولا راية البيت، ولا راية الجنس، فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

قال رسول اللـه ε: "كلكم بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على اللـه من الجعلان".

وقال ε عن العصبية الجاهلية: "دعوها فإنها منتنة".

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، المجتمع الإنساني العالمي، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لوناً من ألوانه فتخفق، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم.. الطريق إلى اللـه.. ولأنها لاتقف تحت الراية الواحدة المجمِّعَة.. راية اللـه ا-هـ.

(1) تفسير الإيمان بالإيمان الباطن فقط فيه نظر، وهو مشكل ومخالف للنصوص التي فسرت الإيمان بالإيمان الظاهر على الجوارح، كما جاء في حديث وفد عبد القيس وغيره. ولعل الذي أوقع الشيخ في هذا هو تعريفه للإيمان بأنه: تصديق وقول. فرتب على هذا الخطأ خطأ آخر.

ش: تقدَّم أن هذه الخصالَ هي أصولُ الدين، وبها أجابَ النبيُّ ε في حديثِ جبريل المشهور، حين جاءَ إلى النبيِّ ε على صورة رجلٍ أعرابي، وسألَهُ عن الإيمان.

وفسَّرَ ε الإيمانَ في حديثِ وفدِ عبدِ القيس، حيث قال لهم: "آمرُكم بالإيمانِ بالله وحدَهُ، أتدرونَ ما الإيمانُ باللهِ؟ شهادَةُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وأن تؤدُّوا خُمُسَ ما غَنِمتُم"(1).

-لا تعارُضَ بين الحديثَينِ-

لا يُقالُ: إن بين تفسير النبيِّ ε الإيمانَ في حديثِ جبريل، وتفسيره إياه في حديثِ وفد عبد القيس معارضةً، لأنه فسَّرَ الإيمانَ في حديث جبريل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمانُ باللهِ وملائكته وكُتبه ورسُلِه واليومِ الآخرِ مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، بخلافِ حديث وفدِ عبدِ القيس، لأنهُ فسَّرَهُ ابتداءً، لم يتقدم قبلَهُ تفسيرُ الإسلام، ولكن هذا الجواب لا يتأتَّى على ما ذكرهُ الشيخُ رحمه الله من تفسير الإيمان، فحديثُ وفدِ عبدِ القيس مُشكِلٌ عليه(2).

-الإيمانُ بالقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ، على أنه من عندِ اللهِ-

قال تعالى: **[قُلْ لن يُصيبنا إلاَّ ما كتبَ اللهُ لنا]** التوبة:

فبمــا كســبَتْ أيــديكُم][1] الشــورى:

أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً] (1) النساء:

عز وجلَّ في كتابه: [ويغفِرُ ما دون ذلك لِمَنْ يشاء]. وإن شاءَ عذَّبَهُم في النارِ بعدلِهِ[1]، ثم يُخرِجُهُم منها برحمتِهِ وشفاعة الشافعين من أَهْل طاعَتِه، ثُمَّ يبعثُهم إلى جنَّتِه. وذلك بأن اللهَ تعالى مولَى أَهْلِ معرفَتِه[2]، ولم يجعَلْهُمْ في الدارين كأهل نكِرَتِه، الذين خابُوا من هِدايَتِه، ولم ينالُوا مِنْ ولايَتِه. اللهمَّ ياوليَّ الإسلامِ وأهلِهِ، ثبِّتنا على الإسلام حتى نلْقاكَ بِهِ".

ش: فقوله: **"وأهلُ الكبائرِ من أمةِ محمدٍ ε في النارِ لا يُخلَّدون .. "** ردٌّ لقولِ الخوارج والمعتزلَةِ القائلين بتخليد أَهْل الكبائر في النار[3].

ذلك فالرحمة لا تنالهم لموافاتهم على الشرك. ثم أن اشتراط المعرفة هو مذهب جهم بن صفوان كما تقدم، وهو مذهب باطل خبيث لا يعول عليه.

(1) روى البخاري في صحيحه، عن عبادة بن الصامت، أن رسول اللـه ε قال وحوله عصابة من أصحابه: "بايعوني على أن لا تشركوا باللـه شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروفٍ. فمن وفَّى منكم فأجره على اللـه، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب في ذلك شيئاً ثم ستره اللـه، فهو إلى اللـه إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه" فبايعناه على ذلك.

قال المازني: فيه ردٌّ على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب.

(2) لو قال أَهْل توحيده وطاعته بدلاً من **"أَهْل معرفته"** لكان أحسن وأصح، وذلك للعلة الآنفة الذكر في الهامش رقم (2) فانظره.

(3) قد تضافرت الأدلة الدالة على خروج أَهْل الكبائر **الموحدين** من النار، منها الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه: عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول اللـه ε: "ما من عبدٍ قال لا إله إلا اللـه ثم مات على ذلك إلاَّ دخل الجنة". قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: "وإن زنى وإن سرق"، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: "وإن زنى وإن سرق"، ثلاثاً، وفي رواية: "وشرب الخمر"، ثم قال في الرابعة: "على رغم أنف أبي ذر"، قال: فخرج أبو ذرٍّ وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر.

قال الإمام أحمد: ومن مات من أَهْل القبلة **موحداً** يُصلى عليه ويُستغفر له، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه، صغيراً كان أو كبيراً، وأمره إلى اللـه Y اهـ.

-الرحمةُ تنالُ أَهْلَ الكبائرِ من جميعِ الأُمم-

قولُه: **"وأهلُ الكبائرِ من أُمَّةِ محمدٍ"** تخصيصه أمَّةَ محمدٍ، يُفَهمُ منه أن أَهْلَ الكبائر من أمةِ غيرِ محمدٍ ε قبل نسخِ تلك الشرائع به، حُكمهُم مخالِفٌ لأهلِ الكبائرِ من أمةِ محمدٍ، وفي ذلك نظر، فإن النبيَّ ε أخبرَ أنه: "يَخرجُ من النارِ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمان"، ولم يخصَّ أمتَهُ بذلك، بل ذكرَ الإيمانَ مطلَقاً.

-تعريفُ الكبيرَةِ-

اختلفَ العلماءُ في الكبائرِ على أقوالٍ، أصحُّها من قال: إنها ما يترتَّب عليها حدٌّ، أو تُوعِّدَ عليها بالنار، أو اللّعنَةِ، أو الغضَب[1]، وترجيحُ هذا القول من وجوه:

وقال أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي رحمه الله: والذي عندنا أن نقول: لا يخلد **موحد** في النار ا-هـ.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري يروي عن جماعة من السلف: لم يكونوا يكفرون أحداً من أَهْل القبلة بالذنب لقوله تعالى: **[إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء]** ا-هـ.

وغيرهم كثير من السلف الذين قرروا عدم تخليد أَهْل الكبائر الموحدين في النار. (انظر شرح أصول اعتقاد أَهْل السُّنَّة والجماعة لأبي قاسم الطبري اللالكائي، ج 1 /

أحدُها: أنه هو المأثورُ عن السلف، كابنِ عباسٍ، وابن عُيينَةَ، وابن حنبل وغيرهم.

الثاني: أن اللـهَ تعالى قال: **[إن تجتنبوا كبائرَ ما تُنـهَون عنـه نُكفِّرْ عنكم سيئـاتِكُم وندخِلْكُم مُدخلاً كريماً]** النسـاء:

الزمـر:

ش: في صحيح البخاري أن عبد اللـه بن عمر كان يُصَلِّي خلفَ الحجَّاجِ بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالِك، وكان الحجَّاجُ فاسقاً ظالماً. وقال ع: "يُصلُّون لكم، فإن أصابوا فلكُم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم"[1]. وكذلك كان عبد اللــه بن مسعود وغيره، يُصَلُّون خلفَ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرَبُ الخمرَ، حتى إنه صلى بهم الصبحَ مرَّةً أربعاً، ثم قال: أزيدُكم؟! فقال له ابن مسعود: ما زلنا معكَ منذ اليومَ في زيادَةٍ!!

-الصلاةُ خلْفَ مستورِ الحالِ-

يجوزُ للرجلِ أن يُصَلِّي خلْفَ من لم يَعلَم منه بدعةً ولا فِسقاً، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلَمَ المأمومُ اعتقادَ إمامِهِ، ولا أن يمتحِنَهُ، فيقولُ: ماذا تعتقد[2]؟! بل يُصلي خلفَ المستورِ الحال.

صلاة خلفه ولا عليه؛ فالتوحيد أصل الأصول ترخص في سبيله ولأجله كل الأصول والوشائج والمقاصد.

ومن غرائب هذا الزمان التي يشتد لها العجب، أنه لا يوجد شخص -مادام ينتسب للملة- لا يُصلى خلفه مهما كان متلبساً بالشرك والكفر، وكذلك لا يوجد ميت لا يصلى عليه مهما أسلف في حياته من الكفر البواح، ولو كان علَماً من أعلام الزندقة والإلحاد!!

وفي حين يُسأل القوم عن الدليل على غرائبهم الباطلة هذه، يجيبون بعبارة الماتن: **"ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر"**، فحملوا الفجور على الكفر البواح!!

[1] رواه البخاري وغيره.

[2] اشتراط معرفة عقيدة الإمام هو من خلق الخوارج وعاداتهم السيئة الذين عُرفوا بالغلو والتكلف والتنطع، وكنت قد رافقت بعض من مسهم غلو الخوارج إلى الصلاة في مسجدٍ من مساجد "كراتشي" في الباكستان، فصلينا نحن مؤتمين بالإمام كالعادة، وهم امتنعوا عن الصلاة خلفه وصلوا منفردين، وعندما انتهت الصلاة سألناهم عن سبب فعلتهم، فتعلَّلوا أنهم يجهلون عقيدته، ويمكن أن يكون كافراً..!!

ولهؤلاء ولمن كان على نهجهم وجهلهم -سائلين اللـه لهم الهداية- ننقل إليهم قول ابن تيمية رحمه اللـه، حيث يقول في الفتاوى (4/

-الحالاتُ التي تُترك فيها الصلاةُ خلفَ الفاسقِ المبتدعِ-

ولو صلَّى خلفَ مبتدعٍ يدعو إلى بدعته، أو فاسقٍ ظاهرِ الفسقِ، وهو الإمامُ الراتِبُ الذي لا يمكِنهُ الصلاة إلاَّ خلفَهُ، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحجّ بعرفَةٍ، ونحو ذلك فإن المأمومَ يُصلي خلفَهُ، عند عامَّةِ السلفِ والخلَفِ.

والفاسِقُ والمبتدعُ صلاتُه في نفسها صحيحةٌ، فإذا صلى المأمومُ خلْفَهُ لم تبطلُ صلاتُه، لكن إنما كَرِه من كَرِه الصلاةَ خلفَهُ، لأن الأمرَ بالمعروف والنهيَّ عن المنكر واجبٌ[1].

ومن ذلك أن من أظهر بدعةً وفجوراً لا يُرَتَّبُ إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزيرَ حتى يتوبَ، فإذا أمكنَ هجرُهُ حتى يتوبَ كان حسناً، وإذا كان بعضُ الناسِ إذا تركَ الصلاةَ خلفَهُ وصلى خلف غيره، أثَّرَ ذلك في إنكار المنكر حتى يتوبَ أو يُعزَلَ، أو ينتهي الناسُ عن مثل ذنبه، فمثلُ هذا إذا تركَ الصلاةَ خلفَهُ كان في ذلك مصلحةٌ شرعية، ولم تَفُتِ المأمومَ جمعةً ولا جماعةً.

وكذلك إذا أمكن الإنسانُ أن لا يُقدِّمَ مُظهِراً للمنكر في الإمامةِ وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاَّه غيرُهُ، ولم يُمكِنهُ صرفَهُ عن الإمامةِ، أو كان لا يتمكَّن من صرفه عن الإمامةِ إلاَّ بشرٍّ أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوزُ دفعُ الفسادِ القليلِ بالفسادِ الكثيرِ، ولا دفعُ أخفِّ الضررين

مخالف للصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ا-هـ.

وقال في الفتاوى

بحصول أعظمِهما[1]، فإن الشرائعَ جاءَت بتحصيلِ المصالحِ وتكميلِها، وتعطيل المفاسِدِ وتقليلها بحسبِ الإمكان[2]، فتفويتُ الجُمَع والجماعاتِ أعظمُ فساداً من الإقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لاسيَّما إذا كان التخلُّفُ عنها لا يدفعُ فجوراً[3].

-إذا أخطأ الإمامُ، فلا إعادةَ على المأموم-

وأما الإمامُ إذا نسيَ أو أخطأ، ولم يعلم المأمومُ بحاله فلا إعادة على المأمومِ، لقوله ε: "يُصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم". نصٌّ صحيحٌ صريحٌ في أنَّ الإمامَ إذا أخطأ فخطؤُه عليه لا على المأموم. وقد صلى عمر τ وهو جُنبٌ ناسياً
للجنابة، فأعادَ الصلاةَ، ولم يأمر المأمومين بالإعادة[4].

-طاعةُ الأئمةِ في مواردِ الإجتهاد-

---

[1] هذه القاعدة **"ارتكاب أخف الضررين لدفع الأعظم أو الأشد ضرراً"**، هي قاعدة شرعية صحيحة قد دلت عليها كثير من النصوص الشرعية، ولكن مما ينبغي التنويه له هنا: أن تقييم المفاسد والمصالح ينبغي أن يكون على ضوء الشرع وعلى أساس الأولويات التي حددتها الشريعة، بعيداً عن الترجل والهوى والأغراض الشخصية والحزبية. فلا مفسدة تعلو مفسدة الشرك والكفر، ولا مصلحة تعلو وترجح على مصلحة التوحيد وتحقيقه، لذا ترخص لأجله جميع المصالح، والغالي والنفيس..

[2] لتغيير المنكر يُشترط شرطان: **أحدهما**، الاستطاعة والقدرة، لقوله تعالى: **[فاتقوا الله ما استطعتم] [لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها]**. وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ε أنه قال: "ليس بمؤمن من أذَلَّ نفسَهُ، يُعَرِّضُ نفسَه للبلاء ليس له به طاقة". **والثاني:** أن لا يؤدي المنكر إلى ما هو أشد منه منكراً وفساداً، فنغير الصغائر لنقع في الكبائر، أو نغير الكبائر وإذا بنا نقع في الكفر والشرك!!.

[3] قد تقدم أن المراد بالإمام الفاجر هو الإمام الذي لم يبلغ به فجوره درجة الكفر الأكبر، أما إذا بلغ به فجوره درجة الكفر والارتداد، فحينها لا تصح صلاته، ولا تجوز الصلاة خلفه، وهذا مما لا خلاف عليه.

[4] رواه عبد الرزاق في "المصنف" وكذا ابن أبي شيبة بأسانيد بعضها صحيح.

قد دلَّت نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ، وإجماعُ سلَفِ الأمةِ أن وليَّ الأمر، وإمامَ الصلاةِ[1]، والحاكِمَ، وأميرَ الحربِ، وعامِلَ الصدقة يُطاعُ في مواضعِ الإجتهاد، فإن مصلحةَ الجماعةِ والإئتلاف، ومفسدَةِ الفُرقةِ والإختلاف أعظمُ من أمرِ المسائلِ الجزئيةِ. ويُروى عن أبي يوسف أنه لما حجَّ مع هارون الرشيد، فاحتجمَ الخليفةُ، وأفتاه مالِك بأنه لا يتوضأ، وصَلى بالناس، فقيل لأبي يوسف: أصليت خلفَهُ؟ قال سُبحانَ اللهِ! أميرُ المؤمنين. يريدُ بذلك أن تركَ الصلاةِ خلفَ ولاةِ الأمورِ من فِعلِ أَهْلِ البدَع.

-الصلاة على مَوتى المسلمين وإن كانوا فُجَّاراً-

وقوله: **"وعلى من ماتَ منهم"** أي ونرى الصلاةَ على مَن ماتَ من الأبرارِ والفجارِ، وإن كان يُستَثنى من هذا الكلامِ البُغاةُ وقُطاعُ الطريقِ، وكذا قاتِلُ نفسه[2]، لكن الشيخَ إنما ساقَ هذا الكلامَ لبيانِ أنَّا لا نتركُ الصلاةَ على من ماتَ من أَهْلِ البدَعِ والفجور، لا للعمومِ الكُلِّي.

-تركُ الصلاة على مَن عُرِف بالنفاقِ، أو ماتَ مُرتداً-

فمن عُلِمَ نفاقُهُ، لم تجز الصلاةُ عليه والاستغفارُ له، ومَن لم يُعلَمْ ذلك منه صُلِّي عليه، فإذا عَلِمَ شخصٌ نفاقَ شخصٍ لم يُصلِّ هو عليه، وصلى عليه

---

[1] فقد صحَّ عن النبي ε أنه قال: "إنما جُعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون". وعليه فالراجح أن المأموم يتبع إمامه في جميع حركات الصلاة وإن خالفت بعضها مذهبه، وبخاصة إذا كانت الحركات صادرة عن الإمام عن اجتهاد صحيح وراجح. وبسبب غياب هذا الفقه الهام كانت ولاتزال تحصل مشاكل كثيرة -تنعكس سلباً على وحدة الصف والكلمة وصفاء القلوب -بين الإمام والمؤتمين لمخالفة أحدهما للآخر في بعض حركات الصلاة!!.

[2] هذا الاستثناء فيه نظر، حيث لا دليل عليه، وإذا كان النبي ε ترك الصلاة على بعض العصاة، إنما ذلك لبيان سوء صنيعهم وزجراً لمن بعدهم من الناس من أن يأتوا صنيعهم، وحتى لا يقترفوا ما فعلوه، وليس لعدم جواز الصلاة عليهم مطلقاً، بدليل أنه قال لأصحابه: "صلوا على صاحبكم"، فأمرهم بالصلاة عليه وكان قد قتل نفسه، واعتزل هو ε الصلاة عليه. لذلك فلو قيل يستحسن للأمراء والعلماء تأسياً بالنبي ε أن يعتزلوا الصلاة على من اشتهر بالفجور وارتكاب المعاصي، وصلى عليه من هم دونهم من عامة المسلمين، لكان ذلك أحسن وأقرب للسنة.

مَن لم يَعلمْ نفاقَهُ، وكان عمر τ لا يُصلي على مَن لم يُصلِّ عليه حُذيفةُ، لأنه كان في غزوةِ تبوك قد عَرَفَ المنافقين[1]، وقد نهى اللهُ سبحانه رسولَه ε عن الصلاةِ على المنافقين، وأخبرَ أنه لا يغفِرُ لهم باستغفارِهِ، وعلَّلَ ذلك بكفرهم بالله ورسوله[2].

قولُه: "ولا نُنْزِلُ أَحَداً مِنهم جَنَّةً وَلا نَاراً[3]".

---

[1] حيث أعلمه النبي ε عن أسمائهم، وقد سئل علي بن أبي طالب τ عن حذيفة فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين. (المستدرك: 3/

ش: يريد: أنَّا لا نقولُ عن أَحَدٍ مُعَيَّنٍ من أَهْل القبلةِ: إنَّه مِن أَهْل الجنَّةِ، أو مِن أَهْل النار، إلاَّ مَن أَخبرَ الصادِقُ ε أنه مِن أَهْل الجَنَّة كالعَشْرَةِ رضي الله عنهم[1]، وإن كُنَّا نقول: إنَّه لا بُدَّ أَنْ يَدخُلَ النارَ من أَهْل الكبائرِ مَن يشاء اللهُ إدخالَهُ النارَ، ثمَّ يَخرجُ بشفاعَةِ الشَّافِعين، ولكنَّا نَقِفُ في الشَّخْصِ المُعَيَّنِ، فَلا نَشْهَدُ له بجَنَّةٍ ولا نار إلاَّ عن عِلْم، لأنَّ حقيقَةَ باطِنِهِ، وما ماتَ عليه لا نُحيطُ به[2]، لكن نَرجو للمُحْسِنِ، ونَخافُ على المُسيءِ.

---

(1) عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله ε: "أبو بكرٍ في الجنَّةِ، وعُمَرُ في الجنَّةِ، وعُثمان في الجنةِ، وعَليٌّ في الجنة، وطَلْحةُ في الجنة، والزبيرُ في الجنَّة، وعبد الرحمن بن عوفٍ في الجنَّةِ، وسَعْدُ بن أبي وقاص في الجنة، وسَعيدُ بن زيدٍ في الجنة، وأبو عبيدَةَ بنُ الجرَّاحِ في الجنةِ". صحيح سنن الترمذي: "

-ثناء النَّاسِ[1] على المرءِ خيراً، بُشْرى خَيْرٍ له، وكذلك ثناؤهم عليه شَرَّاً، بُشْرَىَ شَرّ له يومَ القيامَةِ-

جاء في "الصحيحين": أَنَّهُ مُرَّ بجنازَةٍ، فأَثْنَوا عليها بخَيرٍ، فقالَ النبيُّ ε: "وجَبَتْ"، ومُرَّ بأخْرَى فأُثنِيَ عليها بشَرٍّ، فقال: "وجَبَت"، فقال عُمَرُ: يارسولَ اللهِ، ما وجَبَتْ؟ فقالَ رسولُ الله ε: "هذا أَثنيتُم عليه خيْراً وجَبَتْ له الجنَّةُ، وهذا أَثنيتُم عليه شَرَّاً وجبت له النَّارُ، أنتم شُهَدَاءُ اللهِ في الأرضِ".

وقال ε: "تُوشِكُونَ أَنْ تَعلَمُوا أَهْلَ الجنَّةِ مِنْ أَهْل النَّارِ"، قالوا: بِما يارَسولَ الله؟ قال: "بالثَّناءِ الحَسَنِ والثنَاءِ السَّيِّءِ"[2].

قولُه: "ولا نشهَدُ عليهِمْ بكفرٍ ولا بِشرْكٍ ولا بنفاقٍ، ما لَمْ يَظهرْ منهم شيءٌ من ذلك، ونذَرُ سرائرَهُم إِلى اللهِ تعالى"[3] .

ليعملُ عملَ أَهْلِ الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أَهْل النار. وإنَّ الرجلَ ليعمَلُ عملَ أَهْلِ النار فيما يبدو للناس، وهو من أَهْل الجنة".

(1) المراد بالناس هنا، هم الناس العدول الصالحون المتقون، وليس الرعاع والفساق والفجار والمنافقين، فهؤلاء لا يثنون خيراً إلاَّ على من كانَ على شاكلتهم وخُلقهم، وثناؤهم لا يعتبر..

(2) رواه ابن ماجة، وأحمد، وإسناده محتمل التحسين. وهناك أحاديث عديدة صحيحة تدل على هذا المعنى، منها قوله ε: "إذا أتى الرجل القوم فقالوا له: قحطاً، فقحطاً له يوم القيامة". وقوله: "إذا سمعت جيرانك يقولون أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت". وقوله: "أهلُ الجنة مَن مَلأ اللهُ أذنيه من ثناء الناس خيراً، وهو يسمع، وأهل النار مَن ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع". وقوله: "إذا صَلُّوا على جنازَةٍ فأثنوا خيراً، يقول الرب: أجزت شهادَتهم فيما يعلمون، وأغفر له ما لا يعلمون". وقوله: "أيُّما مسلمٍ شهد له أربعةٌ بخير، أدخله اللهُ الجنَّةَ، أو ثلاثةٌ أو اثنان". وهذا كله يحمل على وجه العموم لا التعيين، وعلى وجه الرجاء لا الجزم واليقين.

(3) كما يحكم على المرء بالإسلام من خلال ظاهره الدال على إسلامه وانقياده؛ كذلك يُحكم عليه بالكفر والخروج من الدين من خلال ظاهره الدال على كفره، فمن أظهر لنا الكفر البواح -من غير مانعٍ شرعي معتبر- أظهرنا له التكفير، فمدار الحكم إيماناً وكفراً على الظاهر، من دون أن نتكلف معاناة شق القلوب، وتتبع خفايا السرائر التي لا يعلمها إلاَّ الله سبحانه وتعالى.

عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ε في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ε، فقال رسول الله ε: "أقال لا إله إلا الله وقتلته؟!"، قال: قلت يارسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح!، قال: "أشققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!" فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ. (رواه مسلم).

أي كونك لا تستطيع أن تشق عن قلبه، وهو فوق الطاقة، لتعلم أقالهما تعوذاً من السلاح أم لا، كان يجب عليك أن تكتفي بما ظهر منه مما يدل على إسلامه.

قال النووي في الشرح (2/

ش: لأنا قد أُمِرْنا بالحكمِ بالظاهرِ، ونُهينا عن الظنِّ واتباعِ ما ليس لنا به عِلمٌ. قال تعالى: **[يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظَنِّ إنَّ بعض الظن إثمٌ]** الحجرات: 2. وقال: **[ولاتقفُ ما ليس لك به عِلمٌ إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً]** الإسراء:

فجزاؤه جهنَّمُ خالداً فيها وغَضبَ اللــه عليه ولعنَه وأعدَّ لـه عذاباً عظيماً]
النساء:

قولُه: "ولا نرى الخروجَ على أئمتِنا ووُلاةِ أُمورِنا[1]... وإن جاروا[2]...

الاشتغال به- ليقتل معه النساء والأطفال، والعشرات من المسلمين الآمنين في بيوتهم وأسواقهم.. ليس من الدين ولا الرجولة أن تضع قنبلتك في أي مكان، وبطريقة لا تأمن ضحاياها وقتلاها، ثم تولي هارباً فزعاً، زاعماً أنك ألقيت قنبلة على الكافرين..!! فإن أردت أجر وثواب الجهاد، فاعلم أنه لا جهاد لمن يؤذي مؤمناً واحداً في جهاده، وقد صح عن قائد المجاهدين محمد ε أنه قال: "من آذى مؤمناً، فلا جهاد له" (رواه أحمد وغيره، صحيح الجامع:

يتعين عليه الإعداد الذي يمكنه من الخروج، هذا ما دلت عليه الشريعة، وأجمع عليه علماء الأمة.

فقد صح عن النبي ε أنه قال: "من رأى من أميرهِ شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلاَّ مات ميتةً جاهلية" متفق عليه.

وعن عبد اللـه بن مسعود، قال: قال لنا رسولُ اللـه ε: "إنكم سترون بعدي أثَرَةً وأموراً تنكرونها". قالوا: فما تأمرنا يارسول اللـه؟ قال: أدوا إليهم حَقَّهم وسلوا اللـهَ حقكم" البخاري.

وعن حذيفة بن اليمان، قال له النبيُّ ε: "تسمع وتُطيع للأميرِ، وإن ضُرِبَ ظهرُكَ، وأُخِذَ مالُكَ، فاسمع وأطع" مسلم.

وعن نافعٍ، قال لما خلعَ أهْل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابنُ عمر حشمَهُ وولده، فقال: إني سمعت النبيَّ ε يقول: "يُنصبُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة"، وإنا قد بايعنا هذا الرجلَ على بيعِ اللـهِ ورسولهِ، وإني لا أعلمُ غدراً أعظم من أن يُبايعَ رجلٌ على بيعِ اللـهِ ورسولهِ ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلمُ أحداً منكم خلعهُ ولا بايعَ في هذا الأمر إلاَّ كانت الفيصلُ بيني وبينه.

قال ابن حجر في الفتح: وفي هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جارَ في حكمه، وأنه لا ينخلعُ بالفسق ا-هـ.

وعن سلمة بن يزيد الجعفي، أنه سأل رسولَ اللـه ε، فقال: يا نبيَّ اللـهِ أرأيتَ إن قامت علينا أمراءٌ يسألون حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرضَ عنه، ثم سألَهُ فأعرض عنه، ثم سألَهُ الثالثة، فجذبه الأشعثُ بن قيس -خشية أن يكون في السؤال ما يكرهه النبي ε- فقال رسولُ اللـهِ ε: "اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلُوا وعليكم ما حُمِّلْتُمْ" مسلم.

وقال ε: "ألا مَن ولِّيَّ عليه والٍ يأتي شيئاً من معصية اللـهِ، فليكره ما يأتي من معصيةِ اللـه ولا ينزعنَّ يداً من طاعةٍ" مسلم.

وعن عبادة بن الصامت، عن النبي ε قال: "اسمعْ وأطعْ في عُسرِك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليكَ وإن أكلوا مالَكَ وضربوا ظهركَ" أحمد وغيره.

وغيرها كثير من الأحاديث التي تأمر بالصبر على الولاة المسلمين وإن ظلموا، وبالكف عن الخروج عليهم لمجرد الفسق.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (

أما إن ظهر من الحاكم الكفر البواح، عندنا من اللـه فيه برهان من آية أو حديث صحيح لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً، فحينها لا سمع له ولا طاعة، ويتعين الخروج عليه بالقوة على كل من يملك القدرة على ذلك.

قال تعالى: **[ولن يجعل اللـهُ للكافرين على المؤمنين سبيلاً]** النساء:

ولا نَدعو عليهم[1]، ولا نَنزَعُ يداً مِن طاعَتِهم، ونـرى طـاعَتَهُم مِـن طاعةِ اللـه عزَّ وجل فريضةً، ما لم يَأمروا بمعصيةٍ[2]... وندعو لـهم بالصَّلاحِ والمعافاةِ[3]".

الضرر الأكبر بالضرر الأصغر.. ولو قال: لا ينبغي الخروج، أو لا يستحسن بدلاً من قوله "لم يجز" لكان مستساغاً أكثر.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (

ش: قـال تعـالى: **[يـا أيهـا الـذين آمنـوا أطيعـوا اللــهَ وأطيعـوا الرسـولَ وأُولـي الأمـرِ مِـنكم]** النسـاء:

قال: "نعم، قومٌ من جِلْدَتِنا، يتكلمونَ بألسِنَتِنا[1]"، قلتُ: يارسولَ اللـهِ فما ترى إن أدرَكني ذلك؟ قال: "تلزَمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهُم" قلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: "فاعتزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولو أن تعضَّ على أصل شجرَةٍ حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك[2]" متفق عليه.

وعن ابن عباس، قال: قال رسول اللـه ع: "مَن رأى من أميره شيئاً يكرهُهُ فليَصْبِرْ، فإنه من فارقَ الجماعةَ شِبراً فماتَ، فميتَتُهُ جاهليةٌ[3]" متفق عليه. وفي رواية: "فقد خلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ"[4].

---

(1) أراهم دعاة العلمانية، والقومية، والوطنية، والديمقراطية، والاشتراكية، وغيرها من المفاهيم والدعوات الهدامة، التي يتبناها ويدعو إليها أناس هم من أبناء جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، والساحة تعجُّ بهم!!.

(2) قلت: لا يجتمع غياب الإمام العام للمسلمين، وجماعة المسلمين في آنٍ معاً إلاَّ في آخر الزمان يوم يدرس الدين، وتنمحي معالمه وآثاره، حتى لا يُدرى شيء منه سوى قول الناس لا إله إلا اللـه، كلمة حفظوها من آبائهم، كما جاء ذلك في الحديث.

وبالتالي فالحديث يحمل على ذلك الزمان، أما زماننا وإن تحقق فيه غياب الإمام العام، فإن الجماعة موجودة، والطائفة المنصورة الظاهرة موجودة ولن تزال إلى ذاك الزمان بإذن اللـه، كما في قوله ع: "لن تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللـه وهم كذلك". وقال ع: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة". وقال ع: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر اللـه لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر اللـه وهم ظاهرون على الناس". وغيرها من الأحاديث الدالة على أن الجماعة قائمة إلى يوم القيامة، وبالتالي لا يجوز حمل حديث حذيفة على زماننا بحجة غياب الخليفة، أو أن يكون الحديث ذريعة لدعوة الناس إلى الاعتزال واجتناب الساحة وميادين الجهاد والقتال، فحديث حذيفة يشترط للعزلة غياب الخليفة والجماعة معاً، وهذا غير محقق في زماننا، ولله الحمد.

(3) أي يموت كميتة الجاهليين في جاهليتهم حيث لا إمام لهم يسوسهم، ولا جماعة تجمعهم وتوحدهم، وليس المراد بالميتة على الكفر والردة كما فهم البعض، واللـه تعالى أعلم.

(4) صحيح، أخرجه أحمد وغيره.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسولُ اللـهِ ε: "إذا بُويعَ لخليفتين فاقتلوا الآخَرَ مِنهما"[1].

وعن عوف بن مالك، عن رسولِ اللـه ε، قال: "خيارُ أئمتكم الذينَ تحبونَهمُ ويحبونَكُم، وتصلونَ عليهم ويصلون عليكم، وشِرارُ أئمتِكُم الذين تبغضونَهُم ويبغضونَكُم، وتلعنونَهم ويلعنونَكُم"، فقلنا: يا رسولَ اللـهِ، أفلا ننابذُهم بالسيفِ عند ذلك؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا مَن ولِيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية اللـه، فليكره ما يأتي من معصيةِ اللـه، ولا ينزِعنَّ يداً من طاعَةٍ" مسلم.

-الحكمةُ من عَدَمِ الخروجِ على أئمة الجورِ-

وأما لزومُ طاعَتِهم وإن جارُوا، فلأنهُ يترَتبُ على الخروجِ عن طاعَتهم من المفاسدِ أضعافُ ما يحصُلُ من جورِهِم[2]، بل في الصبرِ على جَورِهم

---

[1] رواه مسلم. والحديث فيه بيان فساد الأنظمة التي من أصولها التنافس على منصب الإمامة العامة، كما هو الحال في النظام الديمقراطي وغيره. وفيه كذلك بطلان الفكرة -المستوردة من أنظمة الغرب الصليبي- القائلة: بتحديد فترة زمنية معينة لحكم الخليفة أو الإمام العام، تُقدر بخمس سنوات أو أكثر بقليل أو أقل، والتي يقول بها كثير من الكتَّاب المسلمين في هذا العصر!.

[2] قد تقدم أن هذا ليس على إطلاقه، وأنه لابد من تقدير المفاسد والمصالح المترتبة على الصبر أو الخروج، وهذا يعود إلى درجة إنحراف الحاكم عن الحق، ومدى سهولة خلعه إن وقع الخيار على الخروج، وضابط المسألة إعمال القاعدة بتجرد عن الهوى التي تأمر: بتقديم أقل الخيارين ضرراً لدفع أشدهما ضرراً وفساداً..

وما يقال في الحاكم الفاسق الظالم لا يجوز أن يقال في الحاكم الكافر المرتد، لورود النص أولاً الذي يلزم الأمة بخيار الخروج، ولأن الخروج عليه مهما تعاظمت فتنته ومفاسده فهي أقل بكثير من مفاسد الصبر على الكفر والشرك -المتمثل في الحاكم الكافر المرتد- والإقرار له بأن يسود البلاد والعباد، فالشرك مفسدة عظمى تهون أمامه جميع المفاسد مهما تعاظمت، فليس بعد فتنة الشرك والصبر عليه فتنة، وليس بعد ظلم الشرك والكفر ظلم، كما قال تعالى: **[إن الشرك لظلم عظيم]** وقال: **[والفتنة أشد من القتل]**، والمراد بالفتنة هنا الشرك والكفر. وقال تعالى: **[وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله]**. ولما عبدَ بنو إسرائيل العجل من دون اللـه، كانت عقوبتهم من عند اللـه: **[فاقتلوا**

تكفيرُ السيئات، ومضاعفَةُ الأجور، فإن اللـهَ تعالى ما سَلَّطهُم علينا إلاَّ لفسادِ أعمالِنا[1]، والجزاء مِن جنسِ العمل، فعلينـا الإجتهـادُ فـي الإسـتغفار والتوبَـةِ وإصـلاحِ العمـل، قـال اللـــه تعـالى: **[ومـا أصـابَكُم مـن مصـيبةٍ فبمـا كسـبَتْ أيـديكم ويعفـوا عـن كثيـرٍ]** الشـورى:

قولُـه: "ونتبـعُ السُّنَّةَ والجماعَـةَ، ونجتنـبُ الشـذوذَ والخـلاف[1] والفُرقَةِ".

ش: السُّنَّة: طريقـة الرسـولِ ε [2]. والجماعَـةُ: جماعَـةُ المسـلمين؛ وهـم الصـحابَةُ والتـابعونَ لهم بإحسـانٍ إلـى يـومِ الـدين، فاتبـاعُهم هُدى، وخِلافُهم ضلالٌ، قال تعالى: **[قل إن كنتم تحبونَ اللــهَ فاتبعوني يُحببكُم اللــهُ ويغفِرْ لكـم ذنـوبَكم واللـــه غفـورٌ رحـيم]** آل عمـران:

اللـهَ وأطيعوا الرسولَ فإنْ توَلَّوا فإنما عليـه مـا حُمِّـلَ وعليكُـم مـا حُمِّلتُـم وإن تُطيعوه تهتدوا وما على الرسولِ إلاَّ البلاغُ المبين] النور:

آثارهِم، وتمسكوا بما استطعتُم من أخلاقهِم ودينِهم، فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم[1].

قولُـه: "ونُحِـبُّ أَهْـلَ العَـدْلِ والأَمانَـةِ، ونُـبْغِضُ أَهْـلَ الجَـورِ والخيانَةِ".

ش: وهذا من كمالِ الإيمانِ وتمامِ العبوديَّة، فإنَّ العبادَةَ تتضمَّنُ كمالَ المَحَبَّةِ ونهايتَها، وكمال الذُّلِّ ونهايتُه، فمحَبَّةُ رسُلِ اللـهِ وأنبيائِه وعبادِه المؤمنينَ مِنْ مَحبَّةِ اللـهِ، وإنْ كانت المَحَبَّةُ التي للهِ لا يَستحِقُّها غيرُهُ[2]،

---

[1] من الأدلة الدالة على وجوب الاقتداء بفهم السلف الصالح، قوله ع: "أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.. عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة". وقوله ع: "اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر". وقوله: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول اللـه ع: "خير أمتي القرن الذي بعثتُ فيهم ثم الذين يلونهم" قال: ولا أعلم أذكر الثالث أم لا، "ثم ينشأ أقوام يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويفشو فيهم السِّمَن" وفي رواية: "ثم يأتي من بعدهم قوم، يتسمنون ويحبون السِّمَن يُعطون الشهادة قبل أن يُسألوها".

وفي جميع ما تقدم دليل على أن السلف رضوان اللـه تعالى عليهم أعلم من الخلف وأحكم وأسلم، وليس كما يقول جهلة المتأخرين: بأن الخلف أحكم من السلف!!.

[2] من ضروب الشرك أن تحبَّ المخلوق كحبِّ اللـه أو أشد حباً، كما قال تعالى: **[ومن الناس من يتخذ من دون اللـه أنداداً يحبونهم كحب اللـه، والذين آمنوا أشدُّ حباً لله]**. وعلامة ذلك تظهر في الطاعَة والاتباع، فأيُّهما تُقدم طاعته واتباعه على الآخر، يكون هو المعبود المحبوب، كما قال تعالى: **[قل إن كنتم تحبون اللـه فاتبعوني يُحببكم اللـه]**. وقال: **[وإن أطعتموهم إنكم لمشركون]**. وذلك بتقديم طاعتهم على طاعة اللـه. ونحو ذلك قوله تعالى: **[قالوا وهم فيها يختصمون تاللـه إن كُنَّا لفي ضلالٍ مبين إذْ نسويكم بربِّ العالمين]**. وذلك يكون في الخوف والرجاء، والحب والاتباع والطاعة. قال ابن تيمية رحمه اللـه في الفتاوى (

فغيرُ اللـه يُحَبُّ في اللـهِ، لا مَعَ اللـه[1]، فإنَّ المُحِبَّ يُحِبُّ ما يحبُّ محبوبُهُ، ويُبغِضُ ما يُبغِضُ، ويُوالي مَنْ يُواليه، ويُعادي مَن يُعَاديه، ويرضى لرضائه، ويَغْضَبُ لغَضَبه، ويأمرُ بما يَأمُرُ به، ويَنهى عمَّا يَنْهى عنه، فهو مُوافقٌ لِمَحبوبه في كلِّ حالٍ[2].

---

[1] قال ابن تيمية رحمه اللـه في الفتاوى

-مِن لَوازِمِ الإيمان أَنْ تُحِبَّ ما يُحِبُّهُ اللـهُ، وَتكرهَ ما يكرهُهُ اللـهُ-

واللـهُ تعالى يُحِبُّ المحسنينَ، ويُحِبُّ المتَّقينَ، ويُحِبُّ التوابينَ، ويُحِبُّ المتطهرين، ونحنُ نُحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُ اللـهُ[1].

واللـه لا يُحِبُّ الخائنين، ولا يُحِبُّ المفسدين، ولا يُحِبُّ المستكبرينَ، ونَحنُ لا نُحِبُّهُم أيضاً، ونُبغِضُهُم، موافقةً له سبحانه وتعالى[2].

ورياساتهم فلا مُبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذَّل، وجدَّ واجتهد، **واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه!**، وهؤلاء -مع سقوطهم من عين اللـه ومقت اللـه لهم- قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل.

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثراً أن اللـه سبحانه أوصى إلى ملكٍ من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يارب كيف وفيهم فلان العابد؟ فقال: به فابدأ، فإنه لم يتمعَّر وجهُهُ فيَّ يوماً قط.

وذكر أبو عمر في كتاب التمهيد أن اللـه سبحانه أوحى إلى نبي من أنبيائه أن قل لفلان الزاهد: أما زهدك في الدنيا فقد تعجَّلتَ به الراحة، وأما انقطاعك إلي فقد اكتسبت به العز، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك؟ فقال: يارب وأي شيء لك علي؟ قال: هل واليتَ فيَّ ولياً أو عاديت فيَّ عدوّاً؟؟ ا-هـ. فتأمل وتدبر.

[1] إن كره ما أنزلَ اللـه، وبغض ما يحبه سبحانه وتعالى يُعتبر من نواقض الإيمان التي تُخرج صاحبها من الملة، وتُحبط مطلق العمل، لما في ذلك من تقبيح لما حسنه اللـه، ورَدٍّ لقوله، وتعقيب عليه، وعدم الرضى بحكمه وشرعه، قال تعالى: **[ذلك بأنَّهم كرهوا ما أنزلَ اللـه فأحبطَ أعمالهم]**. وقال: **[إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سَوَّلَ لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللـهُ سَنُطيعُكُم في بعض الأمرِ]**. فإذا كان الذين قالوا للذين كرهوا ما نَزَّلَ اللـه سنطيعكم في بعض الأمر، قد اعتبرهم الشارع لأجل ذلك مرتدين، فما يكون القول في الذين كرهوا ما نَزَّلَ اللـه أنفسهم، لا شكَّ أنهم أولى بالارتداد والكفر.

[2] وكذلك أن تحب ما حرمه اللـه وسخطه، يُعتبر مِن نواقض الإيمان، لِما في ذلك من تحسين وتزيين للباطل الذي قبحه اللـه وذمه، فاللـه تعالى يقول عن الشيء "شِين" وهو يقول عنه "زين! " ويواليه. قال تعالى: **[ولو كانوا يُؤمنون**

وفي "الصحيحين" عن النبي ε: "ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَنْ كانَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه مِمَّا سِواهُما، ومَنْ كانَ يُحِبُّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاَّ لله، ومَنْ كانَ يَكرَهُ أن يَرْجِعَ في الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ، كما يَكرَهُ أنْ يُلْقَى في النارِ".

فالمَحبَّةُ التامَّةُ مُسْتَلْزِمَةٌ لِموافقةِ المحبوبِ في مَحبوبِهِ ومَكْروهِهِ، وولايتهِ وعداوَتِه. ومِنَ المعلومِ أنَّ مَنْ أَحَبَّ اللهَ المحبَّةَ الواجبةِ، فلا بُدَّ أن يُبغِضَ أعداءَهُ، ولا بُدَّ أَن يُحِبَّ ما يُحِبُّهُ مِن جهادِهم[1]، كما قال تعالى: **[إنَّ اللهَ يُحِبُّ الذينَ يُقاتِلُونَ في سَبيلِه صَفَّاً كأَنَّهم بُنيانٌ مَرصُوصٌ]** الصف: 4.

-المُوالاةُ والمُعَاداةُ بحسبِ خِصَالِ الخيرِ والشَّرّ-

والحبُّ والبغضُ بحسبِ ما فيهم مِنْ خِصالِ الخيرِ والشرِّ[2]، فإن العَبْدَ يَجتمع فيه سَبَبُ الولايةِ[1]، وسَبَبُ العَداوَةِ[2]، والحبِّ والبغضِ، فيكونُ مَحْبُوباً مِنْ وَجْهٍ مَبْغوضاً مِنْ وَجْهٍ، والحكمُ للغالِبِ[3].

باللهِ والنبيِّ وما أُنزِل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقين]. قال ابن تيمية في تفسيره للآية: فدَلَّ على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويُضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. ومثله قوله تعالى: **[لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم]**, فإنه أخبر في تلك الآية أن متوليهم لا يكون مؤمناً، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً ا-هـ. (الفتاوى: 7/

قولُه: "ونقولُ: اللـهُ أعلَمُ فِيما اشتَبَهَ علينا عِلْمُهُ".

ش: من تكلَّمَ بغيرِ علمٍ، فإنما يتبعُ هواه، وقد قال تعالى: **[ومَنْ أضلُّ ممَّن اتَّبَعَ هواه بغير هُدىً مِن اللـهِ]** القصص:

أما الوجه الثاني: تكون بفتوتك الجاهلة قد أضللت مستفتيك فيما أفتاك به، حيث أنه استأمنك على دينه وحرماته، وأنت لم تراعِ فيه هذه الأمانة، وفي الحديث: "من أُفتي بغير علمٍ كان إثمه على مَن أفتاه". فلا يمنعنَّك -يا أخا العلم- إذا كنت لا تعلم أن تقول: لا أعلم. فثلث العلم لا أعلم، أولا أدري، فإن استصعبت قولها -وذلك من الشيطان- فتذكر أن من هم خيرٌ منك بكثير قد قالوها، وأمروا بها، وإليك بعض ما أُثر في ذلك عن السلف الصالح.

عن ابن أبي ملَيكة قال: سُئل أبو بكرٍ الصديق τ عن آيةٍ، فقال: أي أرضٍ تقلني وأي سماءٍ تظُلني؟ وأين أذهب؟ وكيف أصنع إذا أنا قلت في كتاب اللهِ بغير ما أراد الله بها؟!

وقال عليٌّ بن أبي طالب τ: وابَرْدَها على كبدي، ثلاث مرات، قالوا: يا أمير المؤمنين وما ذاك؟ قال: أن يُسأل الرجلُ عما لا يعلم فيقول: الله أعلم.

وعن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع ابن عمر نمشي، فلحقنا أعرابي فقال: أنت عبد الله بن عمر؟ قال: نعم، قال: سألت عنك ودُللتُ عليكَ، فأخبرني أتَرثُ العمةُ؟ قال: **لا أدري**، قال: أنت لا تدري؟! قال: **نعم**، اذهب إلى العلماء في المدينة فاسألهم..

وقال ابن مسعود: من كان عنده علم فليقل به، ومن لم يكن عنده علم، فليقل: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه: **[قل ما أسألكم عليه من أجرٍ، وما أنا من المتكلفين]**.

وصح عن ابن مسعود وابن عباس: من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه **فهو مجنون**.

وقال أبو حصين الأسدي: إن أحدهم ليفتي في المسألة، ولو وردت على عمر **لجمع لها أَهْل بدر**.

وقال مالك: من فقه العالم أن يقول: لا أعلم، فإنه عسى أن يتهيأ له الخير، وقال: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي للعالِم أن يورث جلساءه من بعده **"لا أدري"**، حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه.

وقال الشعبي: لا أدري، **نصفُ العلم**.

وقال ابن جبير: ويل لمن يقول لما لا يعلم، إني أعلم.

وقال ابن وهب: قال لي مالك وهو ينكر كثرة الجواب في المسائل: يا عبد الله ما علمتَ فقل، وإيَّاك أن تُقَلِّدَ الناسَ قلادَةَ سوء.

وكان ابن المسيب لا يكاد يفتي إلاَّ قال: **اللهم سلمني وسَلِّم مني**. (انظر جميع ما تقدم من آثار، أعلام الموقعين: 2/

وقد أمر اللـهُ نبيَّـهُ ε أن يَرُدَّ عِلْمَ مـا لا يَعلَمُ إليـه، فقـال تعـالى: **[قلِ اللـهُ أعلمُ بمـا لَبِثـوا لـه غيـبُ السماواتِ والأرضِ]** الكهف:

قولُه: "والحجُّ والجِهادُ ماضِيانِ مَعَ أُولي الأَمرِ مِنَ المسلمينَ، بَـرِّهِمْ وفـاجِرِهِمْ[2] إِلـى قيـامِ السَّـاعَةِ، لا يُبطِلُهُمـا شـيءٌ ولا يَنْقُضُهُما".

قال أبو داود في سننه "

ش: يُشيرُ الشيخ إلى الرَّدِّ على الرَّافضة، حيثُ قالوا: لا جِهادَ إلاَّ مَعَ الإمامِ المعصومِ(1)، وهو الإمام المَعْدُوم...

ومما ينبغي التنبيه له هنا، أن الذي يُجاهَدُ معه لا يجوز أن يبلغ فجوره درجة الكفر الأكبر، فإن بلغ به فجوره درجة الكفر فحينها لا جهاد معه، بل يتعين الجهاد ضده وقد تقدم ذكر إجماع أهْل العلم على ذلك.

(1) لكنهم مؤخراً أحدثوا فكرة تحررهم من عقدة انتظار إمامهم المزعوم، وهي فكرة "ولاية الفقيه" حيث أن الفقيه الشيعي ينوب عن الإمام المنتظر في كثير من صلاحياته، التي منها إعلان الجهاد، وهذه الفكرة أحدثت من فقهاء الشيعة أرباباً تتسلط -باسم الإمام والعصمة- على رقاب شعوبهم وأتباعهم، كما كان شأن أحبار وقساوسة الكنيسة مِن قبل، حيث زعموا أن سلطتهم مُستمدة من الله!! وأنهم يحكمون باسم الله ونيابة عنه!!!

ونسبة العصمة لغير الأنبياء مؤداه إلى الشرك الأكبر، وذلك من أوجه، **منها:** رفع درجة الأئمة إلى درجة الأنبياء والرسل، من حيث عصمتهم عن الخطأ، ووجوب طاعتهم واتباعهم في كل ما يصدر عنهم، ومن حيث ما لهم من مقام حميد عند ربهم!! **ومنها:** تكذيب القرآن بأن الدين لم يكتمل بحياة نبينا محمد ε، بدليل اتباع أقوال الأئمة الاثنى عشر كاتباع أقوال القرآن!! **ومنها:** إشراك الإمام مع الله في الحكم والتشريع، حيث اعتبروا أقوال الإمام واجبة الاتباع كأقوال الله Y !! وإليك بعض المقتطفات من كتاب "الحكومة الإسلامية" للخميني حيث يقول: "فإنَّ للإمام مقاماً محموداً ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها **جميع ذرات هذا الكون!!** وإن من ضروريات مذهبنا أنَّ لأئمتنا مقاماً **لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل!!** " "نحن نعلم أنَّ أوامر الأئمة تختلف عن أوامر غيرهم. وعلى مذهبنا فإنَّ جميع الأوامر الصادرة عن الأئمة في حياتهم نافذة المفعول، وواجبة الاتباع حتى بعد وفاتهم" "نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة (ع) للفقهاء لا يزال محفوظاً لهم، لأنَّ الذين **لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة !!!** ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين" وبالتالي سلطة الفقيه على رقاب الشيعة كسلطة الإمام!! وقال: "وقد قلت سابقاً أن **تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن!!** لا تخص جيلاً خاصاً، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر وإلى يوم القيامة يجب تنفيذها واتباعها!! " أقول: فأي كفر بعد هذا الكفر، وأي شرك بعد هذا الشرك!! وهم يصدق فيهم قوله تعالى: **[اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله]**.

الذي لم ينفعهم في دينٍ ولا دُنيا(1)، فإنَّهم يَدَّعونَ أنَّ الإمامَ المنتظَر، محمدُ بنُ الحسن العسكري، الذي دَخَلَ السِّردابَ في زعمهم سنة ستين ومئتين، أو قريباً من ذلك في سامرَّاء، وقَد يُقيمونَ هناك دابَّةً، إمَّا بَغلَةً وإمَّا فَرساً، ليركبها إذا خرج! ويُقيمُونَ هناكَ في أوقاتٍ عَيَّنوها لِمَن يُنادِي عليه بالخروج: يا مولانا، اخرج! يا مولانا اخرج! ويُشهرونَ السلاحَ، إلى غيرِ ذلك من الأمور التي يَضحَكُ عليهم فيها العقلاء.

وفي صحيح مسلم، عن عوف بن مالك الأَشجعي، قال: سَمعتُ رسولَ اللهِ ع يقول: "خيار أَئمتكُم الذين تُحبونَهم ويُحِبُّونَكُم، وتُصَلُّونَ عليهم ويُصَلُّونَ عَلَيْكُم، وشرارُ أَئِمَّتِكُم الذين تُبغِضُونَهُم ويُبغضونَكُم، وتلعنونَهم ويلعنونَكم"، قال: قلنا: يا رسولَ اللهِ، أفلا نُنابذُهُم عِندَ ذلك؟ قال: "لا، ما أقامُوا الصلاةَ، ألا مَن وَلِيَ عليه والٍ، فرآهُ يأتي شيئاً من مَعصيةِ اللهِ، فليكرَه ما يأتي مِن مَعصيةِ اللهِ، ولا يَنْزِعَنَّ يَداً من طاعته". ولم يَقُلْ إنَّ الإمامَ يَجبُ أن يكونَ مَعصوماً.

وقوله: **"مع أولي الأمر بَرِّهم وفاجِرِهم"** لأنَّ الحَجَّ والجهادَ فَرضانِ يتعلَّقان بالسَّفرِ،
فلا بُدَّ مِن سائسٍ يسوسُ الناسَ فيهما، ويُقاوِمُ العدوَّ، وهذا المعنى كما يَحصَلُ بالإمامِ البَرِّ يحصَلُ بالإمامِ الفاجرِ.

قولُه: "ونُؤْمِنُ بالكِرَامِ الكاتِبينَ، فإنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَينا حافِظِينَ".

ش: قال تعالى: **[وإنَّ عَلَيْكُم لَحَافظينَ. كِرَاماً كاتبين. يَعْلَمونَ ما تَفْعلُونَ]** الإنفطار:

لا نَسْمَعُ سِرَّهُم ونجواهم بَلَى ورُسُلُنا لديهم يَكْتُبونَ] الزخرف:

فاكتبوها عَشْراً"[1]. وقال ع: "قالتِ الملائكَةُ: ذلكَ عَبدُكَ يُرِيدُ أن يَعْمَلَ سَيِّئةً -وهو أبصرُ به- فقال: ارقُبُوهُ، فإنْ عَمِلَها فاكتبوها بِمثْلِها، وإنْ تَرَكَها، فاكتُبوها لَهُ حَسنَةً، إنَّما ترَكها مِنْ جَرَّاي" متفق عليه.

قولُه: "ونُؤمِنُ بملَكِ الموتِ، الموَكَّلِ بقبضِ أَرواحِ العالَمينَ".

ش: قال تعالى: **[قُل يتوَفَّاكُم مَّلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بِكُم ثمَّ إِلى رَبِّكم تُرجَعونَ]**[2]السجدة:

-الرُّوح بَعْدَ مفارَقَتِها للجَسَدِ لا تَموت-

اختلفَ الناسُ: هل تموتُ الروحُ أَم لا؟ والصوابُ أن يُقَالَ: موتُ النفوس هو مفارَقَتُها لأجسادِها، وخروجها منها، فإنْ أُريدَ بموتها هذا القَدْرُ، فهي ذائِقَةُ الموتِ، وإنْ أُريدَ أَنها تُعدَمُ وتَفنى بالكلية، فهي لا تموتُ بهذا الإعتبار، بل هي باقيةٌ بعدَ خلقها في نعيم أو في عذاب[1].

وقد أخبر سبحانه أَنَّ أَهْلَ الجنةِ: **[لا يَذُوقونَ فيها الموتَ إلاَّ الموتةَ الأولى]** الدخان:

ش: قال تعالى: **[وحَاقَ بآلِ فِرْعَونَ سُوءَ العَذَاب. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيها غُدُوّاً وعَشِيّاً ويوم تَقومُ السَّاعَةُ أَدخِلوا ءَالَ فِرعَونَ أَشَدَّ العذاب]** [1]غافر:

السماءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدي، فافرشُوهُ مِنَ الجنَّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجنَّةِ، قال: فيأتيهِ مِنْ رَوْحِها وطيبِها، ويُفْسَحُ له في قبرِهِ مدَّ بَصَرِهِ ويُفْسَحُ له في قبرِهِ مدَّ بَصَرِهِ، قال: ويَأْتيهِ رجلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثيابِ، طَيِّبُ الريحِ، فيقولُ: أَبشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: مَنْ أنتَ؟ فوَجْهُكَ الوَجْهُ الذي يجيءُ بالخير، فيقول: أنا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فيقولُ: يارَبُّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أرجعَ إلى أَهْلِي ومَالِي.

قال: وإنَّ العَبْدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ مِنَ الدُّنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نزَلَ إليه مِنَ السماءِ ملائِكةٌ سُودُ الوجُوهِ، مَعَهُم المُسُوحُ(1)، فيجلسونَ مِنهُ مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يجيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يَجْلسَ عِندَ رأْسِهِ، فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلى سَخطٍ من اللهِ وغضبٍ، قال: فتَتَفَرَّقُ في جَسَدِهِ، فينتزِعُها كما يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ(2) مِن الصُّوفِ المبلولِ، فيأخُذُها، فإذا أَخَذَها لَمْ يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ، حتى يجعَلُوها في تِلْكَ المسوحِ، ويَخرُجُ منها كَأَنْتَنِ ريحٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأَرضِ، فيَصعَدُونَ بها، فلا يمرُّونَ بها على مَلأٍ مِنَ الملائكةِ إلاَّ قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ، بأقبحِ أسمائِه التي كانَ يُسَمَّى بها في الدُّنيا، حتى يُنْتَهى بها إلى السَّماءِ الدُّنيا، فَيُستَفتَحُ لهُ، فلا يُفتَحُ له، ثمَّ قرأَ رسول اللهِ ε: **[لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السَّماءِ، ولا يدخلونَ الجنَّةَ حتَّى يَلِجُ الجمَلُ في سَمِّ الخياطِ]** الأعراف:

هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقول: مَنْ أنتَ؟ فوجْهُكَ الوَجْهُ الذي يجيء بالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبيثُ، فيقول: رَبِّ لا تُقِمِ الساعةَ"[1].

وذَهبَ إلى مُوجِبِ[2]هذا الحديثِ جَميعُ أَهْلِ السُّنَّةِ والحديثِ[3]، وفي الصحيح، قال رسول اللهِ ε: "إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قَبرِهِ وتَوَلَّى عنهُ أَصحَابُهُ، إنَّهُ ليَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهم، فَيأْتيهِ مَلكانِ، فيُقعِدانه، فيقولانِ له: ما كُنتَ تَقُولُ في هذا الرجلِ، محمد ε؟ فأَمَّا المؤمِنُ، فيقول: أَشْهَدُ أَنَّه عَبدُ اللهِ ورسولُه، فيقولُ له: انظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبدَلَكَ اللهُ بهِ مقعداً مِنَ الجنَّةِ، فيراهما جميعاً"[4].

وفي "الصحيحين" عن ابن عباس: أَنَّ النبيَّ ε مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فقال: "إنَّهُما ليُعَذَّبانِ، وما يُعَذَّبَان في كَبير، أمَّا أَحَدُهُما، فكانَ لا يَسْتَبْرِئُ[5]مِنَ البَوْلِ، وأما الآخَرُ، فكانَ يَمشي بالنميمةِ، فدَعا بجريدةٍ رَطْبَةٍ، فشَقَّها نِصفَينِ، وقالَ: لعَلَّهُ يُخَفَّفُ عنهُما ما لَم يَيْبَسَا".

---

[1] صحيح، رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم. وللحديث زيادة صحيحة ذكرها الشيخ الألباني في كتابه "أحكام الجنائز" وهي: "ثم يُقيَّضُ له أعمى أصم أبكم في يده مَرزَبة لو ضُرِبَ بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربةً حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده اللـه كما كان، فيضربه ضربةً أخرى، فيصيح صيحةً يسمعه كل شيء إلاَّ الثقلين، ثم يُفتح له باب مِنَ النار، ويُمهد من فرش النار، فيقول: رَبِّ لا تُقم الساعة".

[2] أي إلى مقتضى ومعنى هذا الحديث..

[3] عذاب القبر حق، وهو معلوم من الدين بالضرورة، وقد تضافرت الأدلة والأحاديث النبوية الدالة عليه، فمن الصحابة الذين رَووا أحاديث عذاب القبر عن النبيِّ ε: البراء بن عازب، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت وغيرهم، وبعض أحاديثهم في الصحيحين، والعجيب بعد ذلك أن يأتي نفر من شواذ الأمة حَكَّموا العقل على النقل!! فجحَدوا عذاب القبر بحجة أَنَّ الأخبار الدالة عليه آحاد لا تقوم بها حجة!!

[4] رواه البخاري.

[5] وفي رواية البخاري وأكثر الروايات "لا يَسْتَتِر"، بمعنى لا يَتوقَّى ولا يتحفظ منه، ولا يجعل بينه وبين بوله سترة، انظر فتح الباري: 1/

وعن أبـي هريـرةَ، قـالَ: قـالَ النبـيُّ ε: "إذا قُبِـرَ أَحَـدُكُمْ[1]أو الإنسـانُ أتَـاهُ ملكانِ أسودانِ أَزرقانِ، يُقالُ لأحَدِهما: الـمُنكَرُ، وللآخَر: النَّكيرُ.. "[2].

وقَدْ تواترتِ الأخبارُ عن رسولِ اللـه ε في ثبوتِ عذابِ القبر ونعيمه لِمن كانِ لذلك أَهْلاً، وسؤال الملَكين، فيجبُ اعتقادُ ثبوتِ ذلك، والإيمـانُ بـه، ولا نتكلَّمُ في كيفيَّتِهِ، إذْ ليسَ للعقلِ وقوفٌ علـى كيفيتـهِ، لِكونـهِ لا عَهْدَ لـه بـه فـي هذا الدَّار.

-تَعَلُّقُ الرُّوحِ بالبَدَنِ-

فالروحُ لها بالبدَنِ خَمسَةُ أنواعِ مِنَ التَّعَلُّقِ، مُتَغايرَةِ الأحكامِ[3]:

أَحدُها:تَعَلُّقُها به في بَطنِ الأُمِّ جنيناً.

الثاني: تَعَلُّقُها بِهِ بَعْدَ خُرُوجِهِ إِلى وجهِ الأرضِ.

الثالث: تعلُّقها بـه فـي حـالِ النَّـومِ، فَلَهـا بـه تَعَلُّقٌ من وَجْـهٍ، ومُفارَقَـةٌ مِـن وجه[1].

---

[1] جاء في هامش نسخة مؤسسة الرسالة: "في الأصول: أحدكم، والمثبت من ابن حبان "إذا قُبِرَ الميت"، وهو في "صحيح ابن حبان" (

الرابع: تعَلُّقها به في البَرزَخِ، فإنَّها وإنْ فارَقته، وتَجرَّدَتْ عنه، فإنَّها لم تُفارِقْه فِرَاقاً كُلِيَّاً بحيثُ لا يَبقَى لها إليه التِفاتٌ أَلبَتَّةَ(2).

الخامس: تَعلُّقها به يَومَ بَعْثِ الأجسادِ، وهو أَكْمَلُ أنواعِ تَعَلُّقِها بالبدَنِ، إذْ هو تَعَلُّقٌ لا يَقْبَلُ البدَنُ معه مَوْتاً ولا نَوْماً ولا فَسَاداً.

-السُّؤالُ في القَبْرِ للروحِ والبَدَنِ-

دلَّت الأحاديثُ الصَّحيحةُ أنَّ السؤالَ في القَبرِ يكونُ للروح والبَدَنِ، وكذلك عذابُ القبرِ يكون للنَّفسِ والبدنِ جميعاً، باتِّفاقِ أَهْل السُّنَّةِ والجماعة، تَنْعَمُ النفسُ وتُعَذَّبُ، مُفْرَدَةً عن البدَنِ ومُتَّصِلَةً به.

وهل يدومُ عذابُ القبرِ أو ينقطع؟ جوابه أنَّه نوعان: منه ما هو دائمٌ، كما قال تعالى: **[النَّار يُعْرَضُونَ عليها غُدُوَّاً وعَشِيَّاً ويومَ تقومُ السَّاعَةُ أَدخِلُوا آلَ فِرعونَ أشَدَّ العذابِ]** غافر:

إلى جاره شيءٌ من حرِّ ناره[1]، ولا مِن هذا إلى جارهِ شيء مِن نعيمِهِ، وقدرةُ اللهِ أوسَعُ مِن ذلك وأعجب، ولكنِ النفوسَ مُولَعَةٌ بالتكذيب بما لم تُحِط به عِلماً!! وقَدْ أرانا اللهُ في هذه الدَّار مِن عجائبِ قدرَته ما هو أَبلَغُ مِن هذا بكثير، وإذا شاءَ اللهُ أن يُطلِعَ على ذلك بعضَ عبادِه أطلعهُ، وغَيَّبَهُ عن غيره، ولو أَطْلَعَ اللهُ على ذلك العِبادَ كُلَّهم، لزالَت حِكْمَةُ التكليفِ والإيمانِ بالغيبِ، ولما تدافنَ الناسُ، كما في الصحيح عنه ع: "لو لا أن لا تَدافنوا، لَدعَوتُ اللهَ أن يُسْمِعَكُم مِن عذابِ القبرِ ما أَسْمعُ"[2].

-مُسْتَقَرُّ الأرواح بعدَ الموتِ-

الأرواحُ في البَرْزَخِ مُتفاوِتَةٌ أَعظَمَ تفَاوت، **فمنها:** أرواحٌ في أَعلى عِلّيينَ، في الملأِ الأعلى، وهي أرواحُ الأنبياء صلواتُ اللهِ عليهم وسلامهُ، وهم مُتفاوَتونَ في منازلِهم.

ومنها: أَرواحٌ في حواصِلِ طَيرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ في الجنةِ حيثُ شاءَت[3].

ومنها: مَن يكونُ محبوساً على بابِ الجنة بسببِ دينٍ عليه، كما في الحديثِ: "رأيتُ صاحِبَكم مَحبوساً على بابِ الجنةِ". **ومنها:** مَنْ يكون طائِراً يَعْلَقُ في شَجَر الجنةِ، كما في الحديث: "إنَّ نَسَمَةَ المؤمنِ طائِرٌ يَعْلَقُ في شَجَرِ الجنة، حتى يرجِعَهُ اللهُ إلى جَسَدِه يومَ يَبْعَثُهُ".

ومنهم مَن يكونُ مَحْبوساً في قبرِهِ، ومنهم مَن يكونُ مَحبوساً في الأرض، ومنها أَرواحٌ تكونُ في تَنُّورِ الزُّناةِ والزَّواني، وأرواحٌ في نَهرِ الدَّمِ تَسبَحُ فيه، وتُلْقَمُ الحِجارَةَ، كُلُّ ذلك تشهَدُ له السُّنَّةُ[1].

---

[1] وهذا من تمام قدرة الله تعالى، وفضله ورحمته بعباده المؤمنين، حيث قد اختلطت المقابر بالكفار والمؤمنين، ولم تعد قبور الكفار تميز عن قبور المؤمنين.. لأن قوانين الأرض لا تميز بينهم في الحياة الدنيا، ولكن هذا -ولله الحمد- لن يضير المؤمنين في شيء.

[2] أخرجه مسلم.

[3] وهي أرواح الشهداء كما قال تعالى: **[ولا تحسبنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون]** آل عمران:

---

(1) جاء في "صحيح البخاري": عن ثمرة بن جندب، قال: كان رسولُ اللـه ع يعني مما يكثرُ أن يقول لأصحابه: هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا؟ قال: فيُقَصُّ عليه ما شاء اللـه أن يقصَّ. وإنه قال لنا ذاتَ غداةٍ: "إنه أتاني الليلةَ آتِيان، وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي: انطلق. وإني انطلقتُ معهما، وإنا أتينا على رجلٍ مُضطجع، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يَهوي بالصخرة لِرَأسه فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فيتدَهْدَه الحجر ها هنا، فيتبعُ الحجرَ فيأخُذُه فلا يرجعَ إليه حتى يصحَّ رأسه كما كان، ثمَّ يعودُ فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى. قال: قلت لهما: سبحان اللـه، ما هذان؟ قال قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل مُستَلْقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، قال: ثمَّ يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى. قال قلت: سبحان اللـه ما هذان؟ قال قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقا فأتينا على مثل التنور، فإذا فيه لغط وأصوات. قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا، قال قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال قالا لي: انطلق انطلق، قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر فاه فألقمه حجراً. قال قلت لهما: ما هذان؟ قال قالا لي: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا فأتينا على رجلٍ كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلاً مرآه، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها... قال قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟ قال قالا لي: أما إنّا سنخبرك: أمَّا الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة. وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق. وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزواني. وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا. وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالِك خازن جهنم".

حَـرَّمَ اللـــهُ علـــى الأرضِ أَنْ تـأْكُـلَ أجسـادَ الأنبيــاءِ، كمــا رُويَ فــي "السنن"[1]، وأمـا الشـهداءُ، فقد شُـوهِدَ مِـنهم بَعْدَ مُـدَدٍ مِن دفنـه كمـا هـو لـم يتغير[2]، فَيُحتَمَلُ بَقاؤهُ كذلك في تُربَتـهِ إلـى يـومِ مَحْشَـرِهِ، ويُحتَمَلُ أَنَّـهُ يَبْلـى مـع طـول المـدة، وكأنـه ـواللــه أعلـمُ- كلمـا كانـتِ الشَّـهادَةُ أكمـلَ، والشـهيدُ أَفضلَ، كان بَقاءُ جَسَدِهِ أَطوَلَ.

قولُـه: "ونُـؤمِنُ بالبَعْثِ وجزاءِ الأعمـالِ يـومَ القيامـة والعرْضِ والحِســابِ، وقِــراءَةِ الكتــابِ، والثَّــوابِ والعقــابِ، والصِّــرَاطِ والميزَان".

ش: الإيمــانُ بالــمَعَاد ممــا دلَّ عليــه الكِتــابُ والسُّــنَّةُ، والعَقْـلُ والفِطـرَةُ السليمةُ، فأخبَرَ اللـهُ سبحانه عنه في كتابـهِ العزيـز، وأَقـامَ الـدليلَ عليـه، ورَدَّ على منكريه في غالبِ سُوَرِ القرآن.

-الأنبياءُ مُجْمِعُونَ على الإيمانِ بالبعثِ واليوم الآخرِ-

الأنبيـاءُ علـيهم السـلامُ كُلُّهم مُتَّفقونَ علـى الإيمـانِ بـالآخرةِ. فـإنَّ القيامـة الكُبرى هي معروفة عندهم، مِنْ آدَمَ إلى نوحٍ، إلى إبراهيم وموسـى وعيسـى وغيرهم عليهم السلام.

وقد أخبرَ اللـهُ بها مِن حين أُهبِطَ آدمُ، فقال تعـالى: **[قال اهبطُوا بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدَوٌّ ولَكُم فـي الأرضِ مُسْتَقَرٌّ ومَتـاعٌ إلـى حينٍ. قـالَ فيهـا تَحْيَـونَ وفيها تموتونَ ومنها تُخْرَجُونَ]** الأعراف:

[رَبِّ فأَنظِرْني إِلى يومِ يُبعثُونَ. قالَ فإنَّكَ مِنَ المنظرينَ. إِلى يومِ الوقتِ المعْلُومِ] ص:

وأخبر عن اقترابها، فقال: [**اقتربت السَّاعةُ وانشقَّ القمرُ**] القمر: 1. [**اقتربَ للناسِ حسابُهُم وهم في غَفْلَةٍ مُعْرِضونَ**] الأنبياء: 1. [**إنَّهم يرونه بعيداً. ونراهُ قريباً**] المعارج: 6-7.

-ذَمُّ المكذبين بالمعاد-

قال تعالى: [**قدْ خَسِرَ الذينَ كَذَّبوا بِلقاء اللهِ وما كانوا مُهتدين**] يونس:

جعلَ لكم مِنَ الشَّجَرِ الأخضَرِ ناراً فإذا أنتُم مِنه توقدون. أَو ليسَ الذي خَلَقَ السماواتِ والأرضَ بقادرٍ على أَنْ يخلُقَ مِثلَهُم بلى وهو الخلاَّقُ العليم]
يس:

قـال تعـالـى: **[مالكِ يُوْمِ الديـنِ]** الفاتحـة: 3. **[يَومَـئـذٍ يُوفيهـم اللـهُ دينَـهُـمُ الحَـقَّ ويعلَمونَ أنَّ اللـهَ هو الحـقُّ المبين]** النـور:

بالسَّيئةِ فـلا يُجْـزى إلاَّ مِثْلَهـا وَهُـم لا يُظلَمــون] الأنعـام:

عن عبد اللـه بن مسعود، قال: "يجمعُ اللـهُ النـاسَ يومَ القيامَـةِ" إلى أن قال: "فَيُعْطَونَ نُورَهُم على قَدْرِ أعمالهم، قال: فمنهم مَن يُعطى نورهُ مِثْلَ الجبلِ بين يديه، ومِنهُم مَن يُعطى نورَهُ فوقَ ذلك، ومنهم مَنْ يُعطى نوره مِثْلَ النخلةِ بيمينهِ، ومِنهُم من يُعطى دونَ ذلك بيمينه، حتى يكونَ آخرُ ذلك مَن يُعطى نُورَهُ على إبهامِ قَدَمِهِ[1]، يُضيء مَرَّةً ويُطْفأُ مَرَّةً، إذا أَضاءَ قَدَّم قَدمَهُ، وإذا طُفِئَ قامَ، قال: فيمرُّ ويَمرونَ على الصِّراطِ، والصِّراطُ كحَدِّ السيفِ، دَحْض مَزَلَّةٌ، فيقالُ لَهُم: امضوا على قَدْرِ نُورِكُم، فمنهم مَنْ يمرُّ كانقِضاض الكوكب، ومنهم مَنْ يمرُّ كالرِّيحِ، ومِنْهُم مَنْ يمرُّ كالطَّرْفِ، ومِنْهُم مَنْ يمرُّ كَشَدِّ الرَّحْلِ، ويَرمُلُ رمَلاً، فيمرون على قَدْرِ أعمالِهِم، حتَّى يمرَّ الذي نورُهُ على إبهامِ قدمِهِ، تُجَرُّ يَدٌ، وتَعْلَقُ يَدٌ، وتُجَرُّ رِجْلٌ وتَعْلَقُ رِجلٌ، وتُصيبُ جوانِبَهُ النارُ، قال: فيخلصونَ، فإذا خَلَصُوا قالوا: الحمدُ للهِ الذي نَجَّانا مِنْكِ بَعدَ أَنْ أَراناكِ، لَقَد أَعطانا اللـهُ ما لَمْ يُعْطِ أَحداً"[2].

-المرادُ بورودِ جهنَّم بالنِّسبةِ للمؤمنينَ-

المرادُ من قولـه: **[وإن منكم إلاَّ وارِدُها]** مريم:

قال القرطبي: وقولُه: **[ونضعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامَـةِ]**. يحتمـلُ أن يكـون ثَـمَّ مـوازينُ متعـددة تُـوزَنُ فيهـا الأعمـالُ، ويَحتمـلُ أن يكـون المـرادُ الموزونات، فَجُمعَ باعتبارِ تَنَوّعِ الأعمالِ الموزونَةِ، واللـه أعلم.

-ميزانُ الأعمالِ حِسِّيٌّ مُشاهَد-

الذي دَلَّتْ عليـه السُّنَّة: أن ميزانَ الأعمـالِ لـه كِفَّتـانِ حِسِّيَّتانِ مُشَاهدتان، قال رسولُ اللـه ε: "إنَّ اللـهَ سَيُخَلِّصُ رَجْلاً مِنْ أُمَّتي علـى رُؤوسِ الخلائِقِ يومَ القيامةِ، فينْشُرُ عليه تِسْعَةً وتسعينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البصرِ[1]، ثمَّ يقـولُ لـه: أتنكِرُ مِن هذا شيئاً؟ أظلمكَ كَتَبتـي الحـافِظونَ؟ قـال: لا، يـاربِّ، فيقولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرجلُ، فيقول: لا يارَبِّ، فيقـولُ: بلـى، إنَّ لكَ عندَنا حسنةً واحِدةً، لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ، فتُخرَجُ لـه بِطاقَـةٌ فيها: أشـهدُ أنْ لا إله إلا اللـهُ، وأنَّ مُحمداً رسولُ اللـهِ[2]، فيقولُ: أحضروه، فيقول: يـارَبِّ، مـا هـذه البطاقـةُ مـعَ هـذه السِّـجِلاَّتِ؟! فيقـولُ: إنَّـكَ لا تُظْلَـمُ، قـال: فتوضَـعُ السِّـجِلاَّتُ فـي كِفَّـةٍ، والبطاقـةُ فـي كفـةٍ، قـال: فطاشَـتِ السِّـجلاتُ، وثَـقُلَت البِطاقةُ، ولا يَثْقُلُ شيءٌ بِسْمِ اللـهِ الرحمن الرحيم"[3].

ومِـنَ الأحاديـثِ الدالَّـةِ علـى وزنِ الأعمـالِ، قولُـه ε: "الطهـورُ شَـطرُ الإيمـان[4]، والحمـدُ للهِ تَمْـلأُ الميـزانَ"[5]. وقولُـه: "كَلِمتـانِ خفيفتـانِ علـى

---

[1] ينبغـي أن تحمـل سـعة هـذه السـجلات وضـخامتها علـى أنهـا لا تحـوي علـى الشرك الأكبر، ولو كانت تتضمن الشرك الأكبر لما نفع الرجل شيء، ولحبطت عنه مطلق حسناته وأعماله، كما قال تعالى: **[ولو أشركوا لحبِطَ عنهم ما كـانوا يعملـون]**. وقـال تعـالى: **[إنـه مـن يُشرك باللـه فقد حَرَّمَ اللـه عليـه الجنـة]**. فنصوص الشريعة تصدق بعضها بعضاً، ولا تَعارض بينها ولله الحمد.

[2] قد تقدم أن شهادة أن لا إله إلا اللـه، محمداً رسول اللـه لهـا شروط ونـواقض، وهـي تنفـع صـاحبها، عندما يستوفي شـروطها ويجتنـب نواقضـها، وعلـى هـذا المعنى ينبغي أن يحمل انتفاع الرجل بشهادة التوحيد، المدونـة فـي البطاقـة التـي ثقلت ورجحت على جميع السجلات، وليس كما يقول أَهْل الإرجاء أن الرجل لم يكن عنده من الحسنات سوى نطقه لشهادة التوحيد، فضلوا بذلك وأضلوا!!.

[3] صحيح، رواه أحمد وغيره.

[4] فيه أن الإيمان عمل. وفي صحيح سنن ابن ماجة (

اللِّسانِ، حبيبتانِ إلى الرحمن، ثقيلتانِ في الميزانِ: سُبحانَ اللهِ وبحمدِهِ، سُبحانَ اللهِ العظيمِ"[1].

-وَزْنُ العامِلِ مَعَ أَعمالِه-

العامِلُ يُوزَنُ معَ عَمَلِه، عَن أبي هريرة، عن رسول الله ε، قال: "إنَّهُ لَيَأتيَ الرجل العظيمُ السَّمينُ يومَ القيامةِ، لا يَزِنُ عِندَ الله جناحَ بعوضَةٍ، وقال: اقرَؤوا إن شِئْتُم: **[فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وزناً]**"[2].

وَروى الإمامُ أحمد، عن ابنِ مَسعودٍ: أنَّهُ كان يَجتني سِواكاً مِنَ الأراكِ، وكانَ دقيقَ السَّاقينِ، فجعَلَتِ الريحُ تَكفؤُهُ، فضَحِكَ القومُ مِنْهُ، فقالَ رسولُ اللهِ ε: "مِمَّ تَضحكونَ؟" قالوا: يانبيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقيهِ، فقال: "والذي نَفْسي بيده لَهُما أَثقَلُ في الميزانِ مِنْ أُحُدٍ"[3].

فَثَبَتَ وزنُ الأَعمالِ والعامِلِ وصَحائفِ الأعمال، وثبت أنَّ الميزانَ له كِفَّتانِ، والله تعالى أعْلَمُ بما وراء ذلك من الكيفياتِ، فعلينا الإيمانُ بالغيبِ كما أَخبرنا الصادِقُ ε، مِن غَيرِ زيادَةٍ ولا نقصان.

-الصِّراطُ بعدَ الميزانِ-

الحوضُ قبلَ الميزان، والصراطُ بعدَ الميزان، ففي "الصَّحيحين" : "أنَّ المؤمنينَ إذا عَبَروا الصِّراطَ وقفوا على قَنْطَرَةٍ بينَ الجنةِ والنارِ، فيُقتصُّ لبعضهم مِن بَعْضٍ، فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوا، أُذِنَ لَهُم في دُخولِ الجنةِ".

---

[1] متفق عليه.

[2] متفق عليه.

[3] حسن، رواه أحمد بسند حسن. وفي الحديث: أن ابن مسعود τ، من أَهْل الجنة. وفيه: أن وزن الانسان يكون بحسب عمله، فإن كان في دنياه من أَهْل الإيمان والصلاح، ثقل وزنه في الميزان، وإن كان من أَهْل الكفر والفسق، خَفَّ وزنه بحسب درجة فسقه وعصيانه، وقد ثبت في السُّنَّة أَنَّ الطغاةَ المتكبرين يُحشرون يوم القيامةِ كالذَّرِّ، يغشاهم الذل والهوان من كل مكان، كما في الحديث عن النبيّ ε قال: "يُحشَرُ المتكبرون يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقون إلى سجنٍ في جهنَّم يُسمى بُولُسَ، تعلوهم نارُ الأنيار، يُسقونَ من عصارَةِ أَهْلِ النارِ، طينة الخبال". رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع الصغير (

قولُه: "والجنَّةُ والنَّارُ مَخْلوقَتانِ، لا تَفْنيانِ أبَداً ولا تَبيدانِ، فإنَّ اللـهَ تعالى خلقَ الجنَّةَ والنَّارَ قبْلَ الخلْقِ[1]، وخَلَقَ لَهُما أَهلاً، فَمَن شاءَ مِنْهُم إلى الجنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ، ومَنْ شاءَ مِنْهُم إلى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِما قَدْ فُرِغَ له[2]، وصائِرٌ إلى ما خُلِقَ لَهُ، والخيْرُ والشَّرُّ مُقَدَّرانِ على العِبادِ".

ش: اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّة على أنَّ الجنَّةَ والنَّارَ مخلوقتانِ موجودتانِ الآن. قال تعالى عن الجنَّةِ: **[أُعِدَّت للمتقين]** آل عمران: 1

وفي "الصحيحين"، عن ابن عباس، قال: انخَسَفَت الشَّمسُ على عهْدِ رسولِ اللـهِ ε، فذَكَرَ الحديثَ، وفيه: فقالُوا: يارَسولَ اللـهِ رأيناكَ تَناوَلتَ شيئاً في مقامِكَ، ثمَّ رأيناكَ تَكعْكَعْتَ[1]؟ فقال: "إنِّي رَأيتُ الجنَّةَ فتناولتُ عُنقوداً، ولَو أَصَبْتُهُ لأَكلتُم مِنْهُ ما بقيتِ الدُّنيا، ورأيتُ النَّارَ، فَلَم أرَ مَنْظراً كاليومِ قَطُّ أَفظعَ، ورأَيْتُ أَكثرَ أَهْلَها النِّساء"، قالوا: بِمَ، يارسُولَ اللـهِ؟ قال: "يَكْفُرْنَ"، قِيلَ: أَيكفرنَ باللـهِ؟ قال: "يكفُرنَ العَشِيرَ[2]، ويكفرنَ الإحسانَ، لو أَحسنتَ إِلى إحداهُنَّ الدَّهرَ كُلَّه، ثمَّ رأَتْ مِنكَ شيئاً، قالَتْ: ما رأَيتُ خَيْرَاً قَطُّ!!".

وفي "صحيح مسلم" مِن حديثِ أَنس: "وايمُ الذي نفسي بيدِه، لَو رأَيتُم ما رأيتُ، لَضَحِكْتُم قليلاً وبكيتم كثيراً". قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ اللـهِ؟ قال: "رأيتُ الجنَّة والنَّارَ".

ومن حديثِ أبي هريرة، أَنَّ رسولَ اللـهِ ε قال: "لَمَّا خَلَقَ اللـهُ الجنَّةَ والنَّارَ، أَرسَلَ جبريلَ إِلى الجنَّةِ، فقال: اذهبْ فانظر إليها، وإلى ما أَعددْتُ لأهلها فيها... "[3]. ونظائرُ ذلك في السُّنَّة كثيرةٌ.

-الجنَّةُ والنَّارُ باقيتانِ لا تفنيانِ أَبَداً ولا تبيدانِ-

هذا قولُ جمهور الأئمةِ مِنَ السَّلَفِ والخَلَف[4]. وهو مِمَّا يُعْلَمُ بالضرورةِ أَنَّ الرسول ε أخبرَ به، قال تعالى: **[وأمَّا الذينَ سُعِدوا ففي الجنَّةِ خالدينَ فيها ما دامَتِ السماواتُ والأرضُ إلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غيرَ مجذوذٍ]** هود:

ص:

أَهْلاً، خَلَقَهُم لها وَهُم في أَصلابِ آبائهم، وخَلَقَ للنَّارِ أَهْلاً، خَلَقَهُم لها وهم في أصْلابِ آبائهم"[1].

-اللـهُ تعالى مُنَزَّهٌ عنِ الظلم-

وقولُـه: "فمن شاء منهم إِلى الجنَّة فضلاً منه، ومنْ شاءَ منهم إِلى النَّار عدْلاً منه". مِمَّا يجِبُ أنْ يُعلَمَ: أَنَّ اللـهَ تعالى لا يَمنعُ الثوابَ إلاَّ إذا مُنِعَ سببَهُ، وهو العملُ الصالح[2]، فإنه: **[مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصالِحاتِ وهوَ مؤمنٌ فلا يَخافُ ظلْماً ولا هَضْماً]** طه:

قولُـه: "والاستِطاعةُ التـي يجبُ بهـا الفعلُ، مِـنْ نَحـو التَّوْفيـقِ الذي لا يوصَفُ المخلوقُ بـهِ تكونُ مـعَ الفِعْلِ[1]، وأمَّـا الاسْتطاعَةُ مِـنْ جِهَـةِ الصَّـحَّةِ والوُسْـعِ والتمكـينِ وسـلامةِ الآلاتِ، فهـيَ قَبْـلَ الفِعْلِ[2]، وبهـا يتعَلَّقُ الخِطَـابُ[3]، وهو كمـا قـال تعـالى: [لا يُكلفُّ اللـهُ نفساً إلاَّ وسعها] البقرة:

وكذلك قولُه تعالى: **[فاتَّقوا اللـه ما استطعتم]** التغابن:

العُسْرَ، وما جعَلَ عليكم في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، والمريضُ قد يستطيعُ القيامَ معَ زيادةِ المرضِ وتأخُّرِ بُرْئِـه، فهذا فـي الشَّرْعِ غيرُ مُستطيعٍ، لأجلِ حُصولِ الضَّرَرِ عليه، وإنْ كـانَ يُسَمَّى مُستطيعاً، فالشّـارعُ لا ينظرُ فـي الاستطاعةِ الشرعيةِ إلى مجرَّدِ إمكانِ الفِعلِ، بَلْ ينْظُرُ إلـى لوازمِ ذلك، فإذا كـانَ الفِعْلُ ممكناً مع المفسدَةِ الرَّاجحةِ، لم تكنْ هذه استطاعةً شرعيةً، كالذي يَقْدِرُ علـى الحجِّ مَعَ ضَرَرٍ يَلْحقُهُ في بدَنه أو ماله، أو يُصلي قائماً مع زيادَةِ مرضـه، أو يصومُ الشهرين مع انقطاعه عن معيشَتِهِ، فإذا كـانَ الشّـارعُ قد اعتبر فـي المكنة عدَمَ المفسدَةِ الرّاجحةِ، فكيفَ يُكَلِّف معَ العجزِ[1]؟!

قولُه: "وأَفعالُ العبادِ خَلْقُ اللـهِ وكَسْبٌ مِنَ العِبادِ".

ش: قـال أَهْل الحـقّ: أَفعـالُ العبـادِ بهـا صـاروا مُطيعينَ وعصـاةً، وهـي مخلوقةٌ للهِ تعالى، والحَقُّ سبحانه وتعالى مُنفَردٌ بخلق المخلوقات، لا خـالِقَ لهـا سـواه. فالجبريـة غَلَـوْا فـي إثبـاتِ القَـدَر، فَنَفَـوا صُـنْعَ العبـدِ أَصـلاً[2]، والقَدَريَّةُ نُفاة القَدَرِ جعلوا العِبادَ خالِقينَ معَ اللـه تعـالى، ولهذا كـانوا مجوسَ

لكنها تنتهي بصاحبها إلى الضرر الراجح، والحرج الشديد الذي قد يتعذر معه مواصلة العمل.. وحمل النفس على هذا النوع من الاستطاعة قد نهى الشارع عنه فضلاً ورحمة بعباده.

[1] رفع التكليف عند العجز أو انعدام الاستطاعة، هو من جملة الأدلة الشرعية الدَّالة على مبدأ العذر بالجهل، سواء كان الجهل في الأصول أو الفروع، فإذا انعدمت الاستطاعة عند المرء على دفع جهله لسبب قاهر، كأن يكون حديث عهد بالإسلام، أو أنه يسكن في منطقة نائية عن العلم وهو لا يستطيع شد الرحال لطلب العلم، أو لتأويل مستساغ قد ألبس عليه أو غير ذلك، فجهله هنا يعذره لعجزه. أمَّا إذا وجدت القدرة على دفع الجهل، وصاحبه قصَّر في دفعه لا نشغاله بأمور الدنيا وزينتها، أو لكسل أو غير ذلك، فالجهل هنا لا يعذره، لأنه يستطيع ولكنه لم يفعل، وهو مسؤول عند اللـه على قدر وسعه وطاقته، كما قال تعالى: **[فاتقوا اللـه ما استطعتم]**. **[لا يكلف اللـه نفساً إلاَّ وسعها]**. ومنه يُعلَمُ بطلان قول مَن لا يرى الجهل عذراً على الإطلاق، كما أنه يُعلم أيضاً بطلان قول مَن يرى الجهل عذراً على الإطلاق، والحق الذي لا ريب فيه هو الوسط، حيث أنه أحياناً يعذر وأحياناً لا يعذر، والمسألة قد تتبعت أدلتها في كتابي "العذر بالجهل" فليراجع.

[2] حيثُ اعتبروه مُسيَّراً في جميع أفعالِه وحركاته، ونفوا عنه مطلق الاختيار!

هذه الأُمَّة[1]، بَلْ أردأ من المجوس، مِن حيثُ إنَّ المجوسَ أَثْبَتَتْ خالِقَيْنِ، وهم أثبتوا خالِقينَ[2]!!

فكلُّ دليلٍ صحيحٍ يُقيمُه الجبريُّ[3]، فإنَّما يَدُلُّ على أَنَّ اللهَ خالِقُ كُلِّ شيءٍ، وأنه على كُلِّ شيءٍ قدير، وأَنَّ أَفعالَ العبادِ من جُملَةِ مَخلوقاته، وأنَّه ما شاء كانَ وما لم يشأ لم يكنْ، ولا يدُلُّ على أَنَّ العبدَ ليس بفاعِلٍ في الحقيقةِ ولا مُريدٍ ولا مختارٍ، وأَنَّ حركاته الاختيارية بمنزلة حَرَكَةِ المرتعشِ، وهبوبِ الرِّياحِ، وحركاتِ الأشجار.

وكلُّ دليلٍ صحيحٍ يُقيمُه القَدَرِيُّ، فإنَّما يَدُلُّ على أَنَّ العبدَ فاعِلٌ لِفِعْلِه حقيقةً، وأنه مُريدٌ له مختارٌ له حقيقةً، وأَنَّ إضافتَهُ ونِسبَتَهُ إليه إضافةُ حقٍّ، ولا يدل على أنه غير مقدورٍ لله تعالى، وانه واقعٌ بغيرِ مشيئتهِ وقدرته.

فإذا ضممتَ ما معَ كلِّ طائفةٍ منهما مِنَ الحقِّ إلى الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دلَّ عليه القرآن وسائرُ كُتبِ اللهِ المنَزَّلةِ، من عمومِ قدرة اللهِ ومشيئتهِ لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعالِ، وأنَّ العبادَ فاعلونَ لأفعالِهم حقيقةً، وأنَّهم يستوجبونَ عليها المدْحَ والذَّمَّ.

-مِنَ الأدلَّةِ على خَلْقِ اللهِ لأفعالِ العِبادِ-

[1] كما قال ε: "إنَّ لكلِّ أمة مجوساً، وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تُصلُّوا على جنائزهم إذا ماتوا". رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

[2] حيثُ اعتبروا كلَّ انسانٍ خالقاً لأفعاله، وبذلك يكونون قد جعلوا الإنسان نداً وشريكاً لله في الخَلْقِ!!، وهم من هذا الوجه شابهوا المجوس الذين جعلوا للخلق إلهين، إله للخير، وإله للشر!

[3] على إثبات أن الإنسان مسلوب الإرادة ولا حرية له ولا اختيار، فهو لا يعدو أن يكون دليلاً على أن الله خالق كل شيء، وأنه قادر على كل شيء، وأنه لا يكون إلاَّ ما يريد، وأن أفعال العباد من جملة خلقه سبحانه وتعالى. وكذلك القدرية نفاة القدر فإن أدلتهم لا تعدوا أن تكون دليلاً على أن إرادة الإنسان لما يفعل، ومسؤوليته عنه، واختياره له..

قال تعالى: **[اللـهُ خالِقُ كُلِّ شيءٍ]** الرعد:

الجواب الصحيح، أَن يُقال: إنَّ ما يُبتلى به العبدُ مِنَ الذنوبِ الوجوديَّةِ، وإنْ كانت خَلْقاً لله تعالى، فهي عقوبةٌ له على ذنوبٍ قبلَها، فالذنبُ يُكْسِبُ الذنبَ، ومِنْ عقابِ السيئَةِ السيئَةُ بعدها، فالذنوبُ كالأمراضِ التي يُورِثُ بعضها بعضاً.

يبقى أن يُقال: فالكلامُ في الذنبِ الأوَّلِ الجالِبِ لِما بَعْدَه مِنَ الذنوب، يُقال: هو عقوبَةٌ أَيضاً على عدمِ فِعْلِ ما خُلِقَ له، وفُطِرَ عليه، فإنَّ اللهَ سبحانه خلقه لعبادَته وَحْدَهُ لا شريكَ له، وفطَرَهُ على محبَّتهِ، وتألهِهِ والإنابةِ إليه، كما قال تعالى: **[فأقِمْ وَجْهكَ للدينِ حنيفاً فِطرَتَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عليها]** الروم:

حيلةَ لأحَدٍ، ولا تَحوُّلَ لأحدٍ، ولا حَرَكَةَ لأَحدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللــه، إلاَّ بمعونَةِ اللـهِ، ولا قُوَّةَ لأحدٍ على إقامـة طاعـةِ اللــه والثَّباتِ عَليهـا إلاَّ بتوفيـقِ اللـــه تعـالى، وكُـلُّ شَـيءٍ يَجـري بمشـيئَةِ اللـــه تعـالى وعِلْمِـهِ وقَضـائـه وقَدَرِهِ. غَلَبتْ مَشيئتُهُ المشيئاتِ كُلِّهـا، يفعلُ مـا يشــاءُ، وهــو غيــرُ ظــالمٍ أبــداً: [لا يُسْــأَلُ عَمَّــا يَفْعَــلُ وهُــمْ يُسْألونَ][2]الأنبياء:

القضاءُ الكونيُّ[1]، ففي قولِه تعالى: **[فقضاهنَّ سبعَ سماواتٍ في يومين]** فصلت:

-اللـه تعالى حرَّم على نفسه الظلمَ وهو قادِرٌ عليه-

جاءِ فـي الحـديث القدسـي: "يـا عِبـادِي إنِّـي حَرَّمـتُ الظُّلْـمَ علـى نفسـي، وجَعَلْتُهُ بينَكُم مُحَرَّماً، فلا تظَّالَموا". أخبرَ أنـه حَرَّمـه علـى نفسـه، كمـا أخبـرَ أنه كَتَبَ على نفسِه الرَّحمة،

وإنَّما حرَّمَ على نفسه وكَتبَ على نفسه ما هو قادِرٌ عليه لا ما هو ممتنعٌ (1).

-اللـه تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ العَبَثِ والوَصْفِ الـمُعيبِ المذموم-

اللـه تعالى مُنَزَّهٌ مُقدَّسٌ عن فِعْلِ السوءِ، والفِعْلِ المعيبِ المذموم، كمـا أَنَّـهُ منَزَّهٌ مُقَدَّسٌ عن وصفِ السوءِ والوصفِ الـمُعيب المذموم، كمـا قـال تعـالى: **[أَفحسبتُم أَنَّما خَلَقناكُمْ عَبَثاً وأنَّكُم إلينـا لا تُرجَعون]** المؤمنـون:

-انتفاعُ الميّتِ بدُعاءِ الآخرينَ واستغفارِهم له-

قال تعالى: **[والذينَ جاؤوا مِنْ بَعْدِهِم يقولونَ رَبَّنا اغفِرْ لَنا ولإخواننا الذينَ سبقونا بالإيمان]** الحشر:

إلى المقابر أنْ يقولوا: "السلام عليكُم أَهْل الديارِ مِنَ المؤمنينَ والمسلمين، وإنَّا إنْ شاءَ اللـهُ بِكُم لاحِقونَ، نَسْألُ اللـهَ لنا ولكم العافيةَ".

-وصولُ ثوابِ الصَّدَقةِ للميتِ-

عن عائشةَ رضي اللـه عنها: أنَّ رَجُلاً أتى النبيَّ ε، فقال: يارسولَ اللـهِ، إنَّ أُمِّي افتُلِتَتْ[1]نَفْسُها، ولَم توصِ، وأَظُنُّها لو تكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أفَلَها أَجرٌ إنْ تصَدَّقْتُ عنها؟ قال: "نعم"[2].

وفي "صحيح البخاري"، عن ابن عباس، أنَّ سَعْدَ بن عُبادةَ توفِّيتْ أمُّه وهو غائِبٌ عنها، فأتَى النبيَّ ε، فقال: يارسولَ اللـهِ، إنَّ أُمِّي توفِّيتْ وأنا غائِبٌ عنها، فَهلْ ينفَعُها إنْ تَصَدَّقْتُ عنها؟ قالَ: "نعم"، قال: فإنِّي أُشهِدُكَ أَنَّ حائِطي المِخرافَ[3] صَدَقةٌ عنها[4].

---

[1] أي: سُلبت روحها، فماتت فجأة.

[2] متفق عليه.

[3] المخراف: الكثير الثمر.

[4] قال الشيخ ناصر في كتابه "أحكام الجنائز": ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة، فإنَّ لوالديه مثل أجره، دونَ أن ينقص من أجره شيء، لأنَّ الولد من سعيهما وكسبهما، واللـه Y يقول: **[وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى]**، وقال: رسول اللـه ε: "إنَّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه".
قال الشوكاني في "نيل الأوطار" (4/

الصالحة، ولا شك أنَّ الوالد يزكي نفسه بتربيته لولده وقيامه عليه فكان له أجره بخلاف غيره.

الثاني: أنه قياس مع الفارِق إذا تذكرت أَنَّ الشرع جعل الولد من كسب الوالد كما سبق في حديث عائشة فليس هو كسباً لغيره، والله Y يقول: **[كل نفس بما كسبت رهينة]** ويقول: **[لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت]**. وقد قال ابن كثير في تفسير قوله Y: **[وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى]**: "أي كما لا يُحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلاَّ ما كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أَنَّ القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ε أمته، ولا حثَّهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يُقتصرُ فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء".

وقال العز بن عبد السلام في "الفتاوى" (

وأَمَّا وصولُ ثوابِ الصَّومِ، ففي "الصحيحين"، عَن عائشةَ رضي الله عنها، أنَّ رَسولَ الله ε، قال: "مَنْ ماتَ وعليه صيامٌ صَامَ عنهُ وليُّهُ". وله نظائِرُ في "الصحيح"[1].

ولكن أبا حنيفة رحمه الله قال بالإطعامِ عنِ الميت دون الصيام عنه، لحديثِ ابن عباس المتقدم[2].

---

[1] كما في حديث ابن عباس، قال: "أن امرأة ركبت البحر فنذرت، إنِ الله تبارك وتعالى أنجاها أن تصوم شهراً، فأنجاها الله Y، فلم تصم حتى ماتت، فجاءت ابنتها إلى النبيِّ ε، فذكرت ذلك له، فقال: "أرأيتك لو كان عليها دَين كنت تقضيه؟" قالت: نعم. قال: "فدَين الله أحق أن يُقضى، فاقضِ عن أمك"". أخرجه أبو داود وغيره، وسنده صحيح. وعنه أيضاً: أن سعد بن عبادة τ استفتى رسول الله ε، فقال: إنَّ أمي ماتت وعليها نذر؟ فقال: "اقضهِ عنها". متفق عليه.

[2] وهو قوله: "لا يُصَلِّي أحدٌ عن أحَدٍ، ولا يصومُ أحدٌ عن أَحدٍ، ولكن يُطعِمُ عنه مكان كلِّ يومٍ مُدَّاً مِنْ حِنْطَةٍ". موقوف على ابن عباس، وسنده صحيح.
قال الشيخ ناصر في كتابه "أحكام الجنائز" (ص

-وصولُ ثَوابِ الحجّ-

عَن ابن عباس: أَنَّ امرأَةً مِنْ جُهينـةَ جاءَت إِلى النبـي ε، فقالت: إنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تـحُجَّ، فلَم تحجَّ حتى ماتت أفأَحُجَّ عَنها؟ قالَ: نعم حُجّي عَنها، أَرأيتِ لو كانَ على أُمِّكِ دَينٌ، أَكُنتِ قاضيتَهُ؟ اقْضُوا اللـهَ، فاللـهُ أَحَقُّ بالوَفَاءِ"(1).

-قَضَاءُ الدَّينِ عَن الميّتِ-

أَجمعَ المسلمونَ على أَنَّ قضاءَ الدَّيْنِ يُسْقِطُهُ مِنْ ذِمَّةِ الميت، ولو كان من أَجنبيٍّ، ومِنْ غَيرِ تَرِكَتِهِ، وقَدْ دَلَّ على ذلك حديثُ أبي قتادةَ، حيثُ ضَمِنَ الدينارَينِ عن الميتِ، فلَمَّا قَضَاهما، قالَ النبيُّ ε: "الآن بَرَّدْتَ عليهِ جلدَتَهُ"(2).

وهي راويته، ومِن المقرر أَنَّ راوي الحديث أدرى بمعنى ما روى، لا سيما إذا كان ما فهم هو الموافق لقواعد الشريعة وأصولها، كما هو الشأن هنا.
قال ابن القيم في "أعلام الموقعين" (3/

-قِراءَةُ القرآنِ على الميّتِ-

أمَّا قِراءَةُ القرآنِ وإهداؤها له تطوُّعاً بغيرِ أُجرَةٍ، فهذا يَصِلُ إليه، كما يَصِلُ ثوابُ الصومِ والحجِّ[1].

وأمَّا استئجارُ قَومٍ يقرَؤونَ القرآنَ، ويُهدُونَهُ للميتِ، فهذا لم يَفْعَلْهُ أحدٌ مِنَ السَّلَفِ[2]، ولا أَمرَ به أحدٌ مِن أئمةِ الدينِ، ولا رَخَّصَ فيه، والاستئجارُ على نَفْسِ التلاوَةِ غيرُ جائزٍ بلا خلافٍ.

-معنى قَوْله تعالى: [وأَنْ لَّيْسَ للإنسانِ إلاَّ ما سَعَى][3]-

---

الجنائز عند مقام جبريل، ثمَّ آذنا رسولَ الله ε بالصلاةِ عليه، فجاءَ معنا خطىً، ثمَّ قال: "لعل على صاحبكم دَيناً؟" قالوا: نعم ديناران، فتخلَّفَ، فقال له رجل منا يُقال له أبو قتادة: يارسول الله هما عليَّ، فجعل رسولُ الله ε يقول: "هما عليك وفي مالك، والميت منها بريء" فقال: نعم، فصلَّى عليه، فجعلَ رسولُ الله ε إذا لقي أبا قتادة يقول: "ما فعلَ الديناران؟" حتى كان آخر ذلك، قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: "الآن بَرَّدت عليه جلده".

(1) هذا القياس باطل من وجهين: **الأول**، أنه يُحَمِّل الأحاديث التي تدل على وصول ثواب الصوم والحج للميت ما لا تحتمل. **والثاني:** أنَّ الصحابة -وهم قدوتنا- لم يسبقونا إلى هذا القياس فهماً وعملاً، ونحن يكفينا ما كفاهم. ثمَّ أن تلاوة القرآن ووهب ثوابها للأموات -في نظر المجيزين- هي عبادة يُتقرَّب بها إلى الله تعالى، فلو كانت كذلك لبينها لنا النبي ε بنص صريح، كما في قوله: "ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلاَّ وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله ويقربكم من النَّار، إلاَّ وقد نهيتكم عنه". فإن قيل لم يرد حديثاً ينهي عن إهداء ثواب تلاوة القرآن للأموات، قيل: بلى، فقد صح عن النبي ε أنه قال: "مَن أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رَدٌّ". فالأصل في العبادات المنع والحظر ما لم يرد نص يأمر أو يجيز، بخلاف الأمور الدنيوية البحتة، فإن الأصل فيها الإباحة ما لم يرد نص على التحريم. والشارح قد استدل ببعض الآثار لا يصح سندها، كما أشار إلى ذلك الشيخ، ونحن تعهدنا أن لا نثبت في هذا التهذيب إلاَّ ما يصح من جهة سنده ومتنه، الذي به تقوم الحجة.

(2) كما استدل الشارح على بطلان الاستئجار بعدم فعل السلف، يُستدل على بطلان إهداء ثواب التلاوة بعدم فعل السَّلَف.

(3) النجم: 39.

أجابَ العلماءُ بأجوبةٍ: أصَحُّها جوابان[1]**أحدهما:** أَنَّ الإنسانَ بسعيه وحُسْنِ عِشْرَتِهِ اكتسبَ الأَصدقاءَ، وأَولَدَ الأولادَ، وَنكحَ الأزواجَ، وأسدى الخيرَ، وتَودَّد إِلى الناسِ، فترَحَّموا عليه، ودَعَوْا له، وأَهْدَوا له ثوابَ الطاعاتِ، فكانَ ذلك أَثَر سعيه، بل دخولُ المسلم مع جملَةِ المسلمين في عَهْدِ الإسلامِ مِن أَعظمِ الأسبابِ في وصولِ نَفْعِ كلٍّ مِنَ المسلمين إِلى صاحبه في حياتِهِ وبعدَ مماتِهِ، ودعوةُ المسلمينَ تُحيطُ مِنء ورائهم.

الثاني: أَنَّ القرآن لَم يَنفِ انتفاعَ الرَّجلِ بسعي غيره، وإنّما نَفَى مِلْكَهُ لغيرِ سعيهِ، وبينَ الأمرين مِنَ الفرقِ ما لا يخفى، فأخبَرَ تعالى أَنَّهُ لا يملكُ إلاَّ سَعيَهُ، وأمَّا سَعيُ غيرِه، فهو مُلكٌ لساعيه، فإنْ شاءَ أن يَبذُلَهُ لغيرِهِ، وإنْ شاءَ أَن يُبقيَهُ لنفسه[2].

وأمَّا استدلالُهم[3]بقوله ع: "إذا ماتَ ابنُ آدَمَ انقطَعَ عَمَلُهُ". فاستدلالٌ ساقط، فإنَّه لم يَقُلْ انقطعَ انتفاعُه، وإنَّما أخبرَ عن انقطاعِ عمله، وأمَّا عمَلُ غيره، فهو لعامِلِه، فإنْ وهبه له، وصَلَ إليه ثوابُ عملِ العاملِ[4]لا ثوابُ عملِهِ هو، وهذا كالدَّين يُوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذِمَّتُه، ولكن ليس له ما وفَّى به الدَّين.

قولُه: "واللهُ تعالى يَسْتَجيبُ الدَّعواتِ، ويَقْضي الحاجاتِ".

ش: قال تعالى: **[وقالَ رَبُّكُم ادعوني أستجِبْ لكُم]** غافر:

الأسباب في جلب المنافعِ، ودفعِ المضارِ[1]، وقد أَخبرَ تعالى عن الكفار أَنَّهم إذا مَسَّهم الضُّرُّ في البحرِ دَعَوا اللـه مخلصينَ لـه الدينَ، وأَنَّ الإنسانَ إذا مَسَّهُ الضُّرُّ دعاه لجنبهِ، أو قاعِداً، أو قائِماً. وإجابةُ اللـهُ لِدُعاءِ العبدِ، مسلماً كانَ أو كافِراً، وإعطاؤهُ سُؤلَه، مِنْ جنسِ رِزقهِ لهم، ونَصْره لهم، وهو مما تُوجبُه الربوبيَّة للعبدِ مُطلَقاً. ثمَّ قد يكونُ ذلك فتنةً في حَقِّهِ[2] ومَضَرَّةً عليه، وإذْ كانَ كفرهُ وفسوقُه يقتضي ذلك.

-غَضَبُ اللـه على مَنْ لا يَسْأَله-

قال رسولُ اللـه ε: "مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللـهَ يَغْضَبْ عليه"[3]. وقَد نَظَمَ بَعْضُهم هذا المعنى، فقال:

---

[1] فإن قيل: كيف التوفيق بين كون الدعاء يدفع الضر وبين أَنَّ كل شيء بقدر؟ الجواب: أَن الدعاء وما يحصل بسببه هو من جملة ما يكون قد قدر، فالدعاء يغير المقدور إِلى مقدور آخر، وكل ذلك يكون بإذن اللـه ومشيئته، وفي الحديث: "لايردُّ القدرَ إِلاَّ الدعاء". فيرده بقدرٍ آخر.

[2] أحياناً يكون الخير فتنة لصاحبه، كما قال تعالى: **[ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنة]**. ولربما تكون فتنة الخير أشد على قلوب الرجال من فتنة الشر. وفي الحديث: "إذا رأيت اللـهَ تعالى يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحبُّ، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج"، فالخير إذا أَلهى وأَطغى لا شكَّ أنه بلاء ووباء على صاحبه، وهو خسران لـه يوم القيامة، كما قال النبيُّ ε: "ما قَلَّ وكَفى، خيرٌ مما كَثُرَ وأَلْهى". وقال: "اللهمَّ مَن آمن بك، وشَهِدَ أَني رسولك، فحبب إليه لقاءَكَ، وسَهِّل عليه قضاءك، وأقلل لـه من الدنيا، ومن لم يؤمن بك، ويشهد أني رسولك فلا تحبب إليه لقاءكَ، ولا تسهل عليه قضاءك، وكَثِّر له من الدنيا". رواه أحمد وابن حبان، صحيح الجامع الصغير: (

الربُّ يَغضَبُ إنْ تركتَ سُؤالَهُ   وبنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ[1]

-مَعانٍ مُسْتَخْلَصَةَ مِنْ نَّدْبِ اللـهِ تعالى إلى الدعاءِ-

أَحَدُها: الوجودُ، فإنَّ مَنْ ليسَ بموجودٍ لا يُدْعى.

الثاني: الغِنى، فإنَّ الفقيرَ لا يُدعى.

الثالث: السَّمْعُ، فإنَّ الأصَمَّ لا يُدْعى.

الرَّابع: الكَرَمُ، فإنَّ البخيلَ لا يُدْعى.

الخامس: الرَّحمةُ، فإنَّ القاسيَ لا يُدْعى.

السادس: القدرةُ، فإنَّ العاجِزَ لا يُدْعى.

-التَّعَلُّقُ بالأَسبابِ شِرْكٌ، والإعراضُ عنها نَقْصٌ في العَقْلِ وقَدحٌ في الشَّرْعِ-

مِمَّا ينبغي أَنْ يُعلَمَ أَنَّ الالتفاتَ إِلى الأَسبابِ شِرْكٌ في التوحيد[2]، ومحو الأسبابِ أَنْ تكونَ أسباباً، نَقْصٌ في العَقْلِ[1]، والإعراضُ عن الأسباب

فاللـه تعالى كما يغضب على من لا يسأله، فهو يغضب على من يسأل غيره من غير ضرورة مُلزمة؛ لأن سؤاله المخلوق في حقيقته يتضمن شكوى الخالق -الذي أَحَلَّ به الفقر والبلاء- للمخلوق ليكشف عنه ما أصابه من بلاء وفقر بقدَرٍ من اللـه تعالى، فهو يشكو الخالق للمخلوق. لذا فإن الشارع نهى عن سؤال الناس شيئاً، ولأهمية الأمر فإن النبي ε أخذ من أصحابه بيعة مستقلة على أن لا يسألوا الناس شيئاً، كما في الحديث عن أبي ذرٍّ قال: دعاني رسول اللـه ε فقال: "هل لك إلى البيعة ولك الجنة؟" قلت: نعم، وبسطت يدي، فقال رسول اللـه ε وهو يشترط: "على أن لا تسأل الناس شيئاً"، قلت: نعم، قال: "ولا سوطك إن سقط منك حتى تنزل فتأخذه".

وقال ε: "من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً أتكفل له بالجنة".

(1) عجيب لمن يُؤاثر المخلوق الضعيف البخيل، الذي يغضب من سؤال الناسِ له، على الخالق القدير الكريم، مالك الملك، الذي يحب من العباد أن يسألوه، لكي يُجازيهم على سؤالهم خيرا!! وقد قال تعالى: **[قل لو أنتم تملكون خزائنَ رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشيَةَ الإنفاق وكان الإنسانُ قَتُوراً]**. فمن نعم اللـه على خلقه أن تصريف الأرزاق بيده وحده.

(2) هو شرك لتعلق القلب بالسبب، والنظر إليه على أنه مصدر الرزق، أو الجهة التي يركن إليها لتفريج الكروب عند حدوث الملمات والمصائب.. فهو ينظر إلى الأسباب ولا يتعداها، ونسي خالق الأسباب ومسخرها الذي بيده ملك كل شيء.

بالكُلِّيةِ قدْحٌ في الشَّرْع، ومعنى التوكل والرجاء، يتألف مِن مُوجبِ التوحيدِ والعقل والشرع(2).

وبيانُ ذلك: أَنَّ الالتفات إلى السببِ هو اعتمادُ القلبِ عليه، ورجاؤه، والإستناد إليه، وليس مِنَ المخلوقاتِ ما يَستحقُّ هذا، لأنَّه ليس بمستقلٍّ(3)، ولا بُدَّ له من شُركاء وأَضدادٍ، ومعَ هذا كُلِّه فإنْ لم يُسَخِّرْهُ مُسَبِّبُ الأسباب(4)لم يُسَخَّر.

-استجابَةِ الدُّعاءِ-

يوجدُ سؤالٌ، وهو: أنَّ من الناسِ مَن قد يسأل اللهَ شيئاً فلا يُعطى، أو يُعطى غيرَ ما سألَ، فأُجيبَ عنه بأجوبةٍ:

أحدها: أن الآية(5)لم تتضمَّن عطِيَّةَ السؤال مطلقاً، وإنما تضمَّنَتْ إجابةَ الداعي، والداعي أعمُّ من السائل، وإجابةَ الداعي أعمُّ من إعطاءِ السائل.

ولهذا قال النبيُّ ε: "ينزلُ ربُّنا في كلِّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا، فيقولُ: من يدعوني فأستجيبَ لهُ؟ من يسألُني فأُعطيَه؟ مَنْ يستغفِرُني فأغفرَ لَه؟"(6)ففَرَّقَ بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرقٌ بين

وهذا معنى قوله ε: "عليك بالإياس مِمَّا في أيدي الناس" ليخلص تعلق القلب بخالقه سبحانه وتعالى.

(1) هو نقص في العقل، لأن الأشياء لا تُدرك وتُنال إلاَّ بمراعاة أسبابها التي تؤدي إليها، فمن طلب الأشياء من دون أن يسلك الطرق والأسباب التي تؤدي إليها فهو متواكل، وصنيعه يدل على نقصٍ في دينه وعقله.

(2) أي: ما يوجبه التوحيد والشرع والعقل: التوكل والرجاء معاً، وليس أحدهما دون الآخر.

(3) أي: ليس بغني عن غيره، وهو محتاج إلى غيره.

(4) وهو الله سبحانه وتعالى، فالأمر كله إليه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

(5) وهي قوله تعالى: **[وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ]** البقرة:

العمومِ والخصوص، كما أتبعَ ذلك بالمستغفِر، وهو نوعٌ من السائل، فذكرَ العامَّ، ثمَّ الخاصَّ، ثمَّ الأخصَّ.

الجواب الثاني: أن إجابةَ دعاءِ السؤالِ أعمُّ من إعطاءِ عين السؤال. كما فسَّرَهُ النبيُّ ε بقوله: "ما من رجل يدعو اللهَ بدعوةٍ ليست فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلاَّ أعطاهُ بها إحْدى ثلاثِ خِصالٍ: إما أن يُعجِّلَ له دعوتَهُ، أو يَدَّخِرَ له من الخير مِثلَها، أو يَصرِفَ عنه من الشرِّ مِثلها"، قالوا: يارسولَ اللهِ إذاً نُكثِرُ، قال: "اللهُ أكثَرُ"[1].

الجواب الثالث: أن الدعاءَ سببٌ مقتضٍ لنيل المطلوبِ، والمسبَبُ له شروطٌ وموانع، فإذا حصلَت شروطُه[2]، وانتفت موانِعُه[3]، حصلَ المطلوب، وإلاَّ فلا يَحصُلُ ذلك المطلوبُ، بل قد يحصُلُ غيرُه.

السماء الدنيا ليقول لعبده الضعيف الفقير المحتاج، قم من فراشك فاسأل لأعطيك، وادعو لأُجيبك...

(1) صحيح، أخرجه أحمد وغيره.

(2) من شروط الدعاء المقبول: موافقة القلب للسان، والإخلاص في الدعاء والتوجه، وأن لا يكون في الدعاء قطيعة رحم أو إثم، وأن لا يستعجل على الله القبول..

(3) من موانع قبول الدعاء: انتفاء شروط الدعاء الآنفة الذكر، وكذلك الكسب الحرام، والمأكل الحرام، والمشرب الحرام، وغير ذلك من الأخلاق السيئة التي تمنع من قبول الدعاء، كما جاء في الحديث عن النبي ε أنه قال: "ثلاثة يدعون اللهَ Y فلا يُستجابُ لهم، رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجلٍ مال فلم يُشهد عليه، ورجلٌ آتى سفيهاً مالَه، وقال الله تعالى: **[ولا تؤتوا السفهاء أموالكم]**" رواه الحاكم وغيره، صحيح الجامع: (

فإذا كان الدعاءُ في نفسه غيرَ صالحٍ، أو الداعي لم يجمع بين قلبهِ ولسانِه في الدعاء، أو كان ثمَّ مانِعٌ من الإجابةِ، لم يحصُلُ الأثَرُ[1].

قولُه: "ويملكُ كلَّ شيءٍ[2]، ولا يَملِكُهُ شَيءٌ. ولا غِنى عَنِ اللـه تعالى طرفةَ عينٍ، ومَنِ استغنى عَنِ اللـه[3] طَرفةَ عينٍ، فقَدْ كفَرَ، وصارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ".

ش: كَلامٌ حقٌّ ظاهِرٌ لا خَفاءَ فيه. والـحَيْنُ: الهلاكُ.

قولُه: "واللـهُ يَغْضَبُ ويَرْضى، لا كأَحَدٍ مِنَ الورى".

ش: قالَ تعالى: **[رضيَ اللـهُ عَنْهُم]** التوبـة:

وفي "الصحيحين" عن أبي سعيد الخدري، عن النبيِّ ε: "إنَّ اللـه تعالى يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أَهْلَ الجنَّةِ، فيقولونَ: لبيك رَبَّنا وسَعْديكَ والخيرُ في يديكَ، فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولونَ: وما لَنا لا نرضى يارَبُّ؟ وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلْقِكَ، فيقول: ألا أُعْطِيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يارَبُّ، وأي شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أَسْخَطُ عليكم بَعْدَه أبداً"[1]. فيُستدَلُّ به على أنَّه يُحِلُّ رضوانَهُ في وقتٍ دونَ وقتٍ، وأنَّهُ قد يُحِلُّ ثمَّ يَسْخَطُ[2]، كما يُحِلُّ السخط ثمَّ يَرضى، لكن هؤلاء أَحَلَّ عليهم رضواناً لا يتعقَّبُهُ سَخَطٌ[3].

قولُه: "ونُحِبُّ أَصْحابَ رسُولِ اللـهِ ε، ولا نُفْرِطُ[4] في حُبِّ أحدٍ منهمْ، ولا نتبرَّأُ مِن أَحدٍ مِنهم[5]. ونُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهم، وبغير الخيرِ يَذْكُرُهُمْ. ولا نَذْكُرهُم إلاَّ بخير. وحُبُّهمْ دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفاقٌ وطُغيانٌ[6]".

---

(1) متفق عليه.

(2) بحسب حال العبد، فإن كان في حال عبادة وتقوى رضي اللـه عنه، فإن بَدَّل إلى المعصية والفسوق حَلَّ عليه غضبُ اللـه وسخطه، فإن تاب وعادَ إلى الحق، عاد اللـه عن سخطه ليتوب عليه ويرضى عنه.

(3) لأنهم لا يبدلون إلى حالٍ يستلزمُ السخط -وذلك من فضل اللـه عليهم- فإن اللـه تواب غفور رحيم. فهم في حالة لا يشوبها أدنى معصية، لذا يظلون متنعمين برضوان اللـه عليهم، نسأل اللـه تعالى أن يجعلنا منهم، وأن لا يحرمنا رضاه يوم نلقاه.

(4) أي: لانغالي في حبِّهم فنرفعهم فوق درجتهم التي يستحقونها، كما فعلت الشيعة الاثنى عشرية بأئمَّتهم حيث غالوا في موالاتهم، ورفعوهم إلى درجة فوق درجة الأنبياء والرسل، ووصفوهم بصفات الألوهية والربوبية، التي هي من صفات اللـه Y وحده.

(5) مخالفة للرافضة الشيعة الذين يتبرأون من أكثر الصحابة، ويلعنونهم ويكفرونهم.. ويجعلون ذلك من الدين الذي يُتقرب به إلى اللـه !!

(6) فقد صحَّ عن النبيِّ ε أنه قال في الأنصار: "لا يحبهم إلاَّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاَّ منافق، مَنْ أَحَبَّهم أَحبه اللـه، ومنْ أبغضهم أَبغضه اللـه". وفي رواية: "لا يبغضُ الأنصارَ رجلٌ يؤمن باللـه واليومِ الآخرِ". وإذا كان هذا حكم من يبغض

الأنصار، فما يكون القول فيمن يبغض الأنصار والمهاجرين معاً؟! لا شك أنَّه أغلظ كفراً ونفاقاً. وهذا ينقلنا للحديث عن الرافضة الاثنى عشرية -أحقد الناس على أَهْل السُّنَّة، وأشدهم كرهاً لصحابة رسول الله ε، ولمن يترضى عليهم من بعدهم- وأن نبين حكم الإسلام فيهم؟

وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كفانا مؤنة الجواب، عند ما سُئل عنهم: عمن يزعمون أنهم يؤمنون بالله Y، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، ويعتقدون أنَّ الإمام الحق بعد رسول الله ε، هو علي بن أبي طالب، وأنَّ رسولَ الله ε نصَّ على إمامته، وأن الصحابة ظلموه ومنعوه حَقَّه، وأنهم كفروا بذلك.

فهل يجب قتالهم؟ ويكفرون بهذا الاعتقاد أَم لا؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين. أَجمع علماء المسلمين على أَنَّ كل طائفة ممتنعة عن شريعةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، فإنه يجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله..

وقد ثبت عن علي في "صحيح البخاري" وغيره من نحو ثمانين وجهاً، أَنه قال: خيرُ هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر وعمر. وثبت عنه أَنه حرَّق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية. وروي عنه بأسانيد جيدة، أَنَّه قال: لا أُوتى بأحدٍ يفضلني على أبي بكرٍ وعمر، إلاَّ جلدته جلد المفتري..

وهؤلاء الرافضة إن لم يكونوا شرَّاً مِنَ الخوارج المنصوصين -أي المنصوص على قتالهم ومروقهم من الدين -فليسوا دونهم، فإنَّ أولئك إنما كفَّروا عثمان وعلياً وأتباع عثمان وعلي فقط، دون مَن قعد عن القتال أو مات قبل ذلك. والرافضة كفَّرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد ε من المتقدمين والمتأخرين.

فيكفّرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمرَ الله بالاستغفار لهم، **ولهذا يكفرون أعلام الملة، مثل: سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك والأوزاعي وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن أبي سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني..**

ويستحلون دماء مَن خرج عنهم، ويرون في أَهْل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد الإسلام أنه لا يحل نكاح هؤلاء ولا ذبائحهم، وأنَّ المائعات التي عندهم من المياه والأدهان وغيرها نجسة، **ويرون أنَّ كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى** لأنَّ أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي.

ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين، **فيعاونون التتار على الجمهور، وهم كانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيز خان ملك الكفار، إلى بلاد الإسلام، وفي قدوم هولاكو إلى بلاد العراق، وفي أخذ حلب، ونهب الصالحية**. وبهذا السبب يقطعون الطرقات علىالمسلمين، والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر، وكذلك لما فتح المسلمون الساحل -عكة وغيرها- **ظهر فيهم من الانتصار للنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم**..

وقد أظهروا الرفض، ومنعوا أن نذكر على المنابر الخلفاء الراشدين، وذكروا علياً وأظهروا الدعوة للاثنى عشر، الذين تزعم الرافضة أنهم أئمة معصومون، **وأن أبا بكر وعمر وعثمان كفار وفجار ظالمون، لا خلافة لهم ولا لمن تبعهم**..

والرافضة تحب التتار ودولتهم، لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين. **والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين، وهم كانوا من أعظم الأسباب في دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام**، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم.

وقضية ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة، وقضيتهم في حلب مع صاحب حلب مشهورة يعرفها عموم الناس. وكذلك في الحروب التي بين المسلمين وبين النصارى بسواحل الشام، وقد عرف أَهْل الخبرة أنَّ الرافضة **تكون مع النصارى على المسلمين**، وأنهم عاونوهم على أخذ البلاد لما جاء التتار، وعَزَّ على الرافضة **فتح عكة** وغيرها من السواحل، وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصَّة عند الرافضة، **وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيداً ومسرَّة عند الرافضة**..

فهم أشد ضرراً على الدين وأهله وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية، **ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة. فليس في الطوائف المنتسبةِ إلى**

القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم، وسيما النفاق فيهم أَظهر منه في سائر الناس، وهي التي قال فيها النبيُّ ε: "آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". وكل من جرَّبهم يعرف اشتمالهم على هذه الخصال، ولهذا يستعملون التقية التي هي سيما المنافقين، واليهود يستعملونها مع المسلمين: **[يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم]**. وقد أشبهوا اليهود في أمور كثيرة، لا سيما السامرة من اليهود: يشبهونهم في دعوة الإمامة في شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكل من جاء بحق غيره يدعونه، وفي اتباع الأهواء أو تحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر وصلاة المغرب وغير ذلك، وتحريم ذبائح غيرهم، ويشبهون النصارى في الغلو في البشر والعبادات المبتدعة، وفي الشرك وغير ذلك.

وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وهذه شيم المنافقين..، وليس لهم عقل ولا نقل، **ولا دين صحيح، ولا دنيا منصورة**، وهم لا يصلون جمعة ولا جماعة، والخوارج كانوا يصلون جمعة وجماعة، وهم لا يرون جهاد الكفار مع أئمة المسلمين، ولا الصلاة خلفهم، ولا طاعتهم في طاعة الله، ولا تنفيذ شيءٍ من أحكامهم لاعتقادهم أَنَّ ذلك لا يسوغ إلاَّ خلف إمام معصوم، **ويرون أنَّ المعصوم قد دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة، وهو إلى الآن لم يخرج، ولا رآه أحد، ولا عَلَّم أحداً ديناً ولا حصل به فائدة بل مضرة. ومع هذا فالإيمان عندهم لا يصح إلاَّ به ولا يكون مؤمناً إلاَّ من آمن به، ولا يدخل الجنَّة إلاَّ أتباعه..!!**

وأكثر محققيهم عندهم يرون أنَّ أبا بكر وعمر، وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبيِّ ε، مثل عائشة وحفصة وسائر أئمة المسلمين وعامَّتهم، **ما آمنوا بالله طرفة عين..!!**

ومنهم مَن يرى أنَّ فرج النبيِّ ε الذي جامع به عائشة وحفصة **لا بدَّ أن تمسه النَّار**، ليطهر من وطئ الكوافر على زعمهم، لأن وطئ الكوافر حرام عندهم.

ومع هذا يردون أحاديث رسول الله ε الثابتة المتواترة عنه عند أَهْل العلم، **مثل أحاديث البخاري ومسلم**، ويرون أنَّ شعر شعراء الرَّافضة، مثل: الحميري، وكوشيار الديلمي، وعمارة اليمني خير من أحاديث البخاري ومسلم. وقد رأينا في كتبهم من الكذب والإفتراء على النبي ε وصحابته وقرابته أكثر مِمَّا رأينا من الكذب في كتب أَهْل الكتاب من التوراة والإنجيل.

ويبنون على القبور المكذوبة وغير المكذوبة مساجد يتخذونها مشاهد. وقد لعن رسول الله ε من اتخذ المساجد على القبور، ونهى أمَّته عن ذلك.. ويرون

أن حجَّ هذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من أعظم العبادات، **حتى أن من مشايخهم من يفضلها على حج البيت الذي أمر اللـه به ورسوله..!!**

فبهذا يتبين أنهم شَرٌّ من عامَّةِ أَهْل الأهواء، **وأحق بالقتال من الخوارج**، وهذا هو السبب فيما شاع في العرف العام: أن أَهْل البدع هم الرافضة، فالعامة شاع عندها أنَّ ضد السني هي الرافضة فقط، لأنهم أظهر معاندة لسنة رسول اللـه ε، وشرائع دينه من سائِر أَهْل الأهواء..

وأيضاً فالخوارج كانوا يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم، وهؤلاء إنما يتبعون الإمام المعصوم عندهم الذي لا وجود له، فمستند الخوارج خيرٌ مِن مستندهم.

وأيضاً فالخوارج لم يكن منهم زنديق ولا غالٍ، **وهؤلاء فيهم من الزنادقة والغالية من لا يحصيه إلاَّ اللـه.. فغالب أئمتهم زنادقة**، إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام..

وأمَّا ذكر المستفتي أنهم يؤمنون بكل ما جاء به محمد ε، **فهذا عين الكذب**، بل كفروا بما جاء به بما لا يحصيه إلاَّ اللـه، فتارة يكذبون بالنصوص الثابتة عنه، وتارة يكذبون بمعاني التنزيل. وما ذكرنا وما لم نذكره من مخازيهم يعلم كل أحدٍ أنَّه مخالف لما بعث اللـه به محمداً ε. **فإنهم مشركون**، لأنهم أشدُّ الناس تعظيماً للمقابر التي اتخذت أوثاناً من دون اللـه، وهذا باب يطول..

وهم يقاتلون لعصبية شر من عصبية ذوي الأنساب، **وهي العصبية للدين الفاسد**، فإنَّ في قلوبهم من الغلِّ والغيظ على كبار المسلمين وصغارهم وصالحيهم وغير صالحيهم ما ليس في قلب أحد. **وأعظم عبادتهم عندهم لعن المسلمين من أولياء اللـه**، مستقدمهم ومستأخرهم، وأمثلهم عندهم الذي لا يلعن ولا يستغفر!!

وأما خروجهم يقتلون المؤمن والمعاهد فهذا أيضاً حالهم، مع دعواهم أنهم هم المؤمنون وسائر الأمة كفار! وروى مسلم في "صحيحه" عن محمد بن شريح، قال: قال رسول اللـه ε: "إنه ستكون هنأة وهنأة، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائن مَن كان". وهؤلاء أشد الناس حرصاً على تفريق جماعة المسلمين.. أعظم أصولهم عندهم **التكفير واللعن والسب لخيار ولاة الأمور، كالخلفاء الراشدين**، والعلماء المسلمين ومشايخهم، لاعتقادهم أنَّ كل من لم يؤمن بالإمام المعصوم -الذي لا وجود له- فما آمن باللـه ورسوله..!!

الخروج والمروق يتناول كل من كان في معنى أولئك -أي الرافضة- **ويجب قتالهم بأمرِ النبي ε** كما وجب قتال أولئك -أي الخوارج- وإن كان الخروج عن

ش: يُشِيرُ الشيخُ إلى الرَّدِّ على الروافض. وقد أَثنى اللـهُ على الصحابَة هو ورسُولُه، ورَضيَ عنهم، ووعدَهُم الـحُسْنى.

-ثَنَاءُ اللـهِ ورسُولِه على الصحابَة-

قال تعالى: **[والسَّابقونَ الأوَّلونَ مِن المهاجرينَ والأنصار والذينَ اتَّبعُوهم بإحسانٍ رضيَ اللـهُ عَنْهُم ورَضُوا عنه وأَعَدَّ لهم جنَّاتٍ تجري تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبَداً ذلك الفوزُ العظيم]** التوبة:

ويُؤثِرونَ على أنفسِهِم ولَو كانَ بهم خَصَاصَةٌ ومن يوقَ شُحَّ نفسهِ فأولئك هم المفلِحُونَ. والذين جاؤوا مِنْ بعْدهم يَقُولونَ ربَّنا اغفر لنا ولإخوانِنا الذين سَبَقونا بالإيمانِ ولا تَجْعلْ في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا رَبَّنا إنَّكَ رؤوفٌ رَحيمٌ] الحشر: 8-

وعن ابن عباسٍ، أنَّهُ قال: (لا تَسُبُّوا أصحابَ محمَّدٍ، فَلَمقامُ أَحَدِهم ساعةً -يعني معَ النبيّ ε- خَيرٌ مِن عَمَلِ أَحَدِكُم أربعينَ سَنَةً) [1]. وفي رواية: (خيرٌ مِنْ عبادَةِ أَحَدِكُم عُمُرَهُ).

وفي "الصحيحين"، قال رسولُ اللـه ε: "خيرُ النَّاسِ قَرْني، ثمَّ الذين يلونَهُم، ثمَّ الذينَ يلونَهُم"[2].

وقال ε: "لا يدخُلُ النارَ أَحدٌ بايعَ تحتَ الشجرةِ"[3].

وعن عبد اللـه بن مسعود، قال: إنَّ اللـهَ نظرَ في قلوب العِباد، فوجدَ قَلْبَ محمدٍ خَيْرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاهُ لِنَفْسِه، وابتعثَهُ برسالَتِهِ، ثمَّ نظرَ في قلوبِ العبادِ بَعْدَ قَلْبِ محمدٍ ε، فوجَدَ قُلُوبَ أصْحابهِ خَيْرَ قلوبِ العبادِ، فجعَلَهُم وزراءَ نبيِّهِ، يُقاتِلونَ على دينهِ، فما رآهُ المسلمون حَسَناً، فهو عند اللـهِ حَسَنٌ، وما رأوْهُ سَيِّئاً، فهو عِندَ اللـه سَيِّءٌ[4]. وفي رواية: وقدْ رأى أَصحابُ محمدٍ جميعاً أَنْ يَسْتَخلِفوا أَبا بكر.

فمن أَضلُّ مِمَّن يكونُ في قلبهِ غلٌّ لخيار المؤمنين، وساداتِ أَولياءِ اللـهِ تعالى بعد النبيين؟! بَلْ قد فَضَلَتْهُمُ اليهودُ والنصارى بِخَصْلَةٍ، قيلَ لليهود: مَنْ خَيرُ أَهْلِ مِلَّتِكُم؟ قالوا: أَصحابُ موسى، وقيلَ للنَّصارى: مَنْ خيرُ أَهْلِ مِلَّتِكُم؟ قالوا: أَصحابُ عيسى، وقيلَ للرَّافضةِ: مَنْ شَرُّ أَهْل ملتكم؟ قالوا: أصحابُ محمدٍ!! لَمْ يستثنوا منهم إلاَّ القليل، وفيمن سَبُّوهم مَنْ هو خيرٌ ممَّن استثنوهم بأضعافٍ مُضاعَفَةٍ[5].

---

[1] صحيح، أخرجه أحمد وغيره.

[2] فيه: أن القرون المشهود لها بالخيرية، هي القرون الثلاثة الأولى، وبالتالي من يُرد الحقَّ فعليه أن يلتمسه في هذه القرون.

[3] رواه مسلم وغيره، وصَحَّ عنه ε أنَّه قال: "لن يدخُلَ النارَ رجلٌ شهِدَ بدراً والحديبية". وقال: "إنَّ اللـه تعالى اطَّلَعَ على أَهْلِ بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". وفي هذه الأحاديث وغيرها دلالة على فضل الصحابة على مَن بعدَهم من الأجيال والقرون.

[4] حسنٌ موقوفاً، أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن.

[5] يشير إلى سبهم على أبي بكر وعمر رضي اللـه عنهما، وهما بلا خلاف أفضل من علي بن أبي طالب τ، وكان علي يعزر بالضرب من يفضله على أبي بكر وعمر.

وقوله: **"ولا نُفْرِطُ في حُبِّ أَحَدٍ منهم"** أي: لا نتجاوزُ الـحَدَّ في حُبِّ أَحدٍ منهم، كما تفعل الشيعةُ، فنكون مِنَ المعتدين، قال تعالى: **[يا أَهْلَ الكتابِ لا تَغْلُوا في دينِكُم]** (1)النساء:

وقال رسولُ اللـهِ ε: "اقتَدوا باللَّذينِ مِن بَعْدي: أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ"[1].

وفي "الصحيحين" عن عائِشة رضي اللـه عنها وعَنْ أبيها، قالَتْ: دخَلَ عَلَيَّ رسولُ اللـهِ ε في اليَوْمِ الذي بُدِئَ فيه[2]، فقالَ: "ادعِي لي أَبَاكِ وأَخَاكِ، حتَّى اكتُبَ لأَبي بَكْرٍ كِتَاباً"، ثمَّ قالَ: "يأبَى اللـهُ والمسلِمونَ إلاَّ أبا بَكْرٍ". وفي رواية: "فلا يَطْمعْ في هذا الأمرِ طَامعٌ". وفي رواية: قال: "ادعي لي عبدَ الرَّحمن بن أبي بكرٍ، لأكتُبَ لأبي بكرٍ كتاباً لا يُخْتَلَفُ عليه"، ثمَّ قال: "مَعاذَ اللـهِ أَنْ يَخْتَلِفَ المؤمنونَ في أَبي بكرٍ"[3].

وأحاديثُ تقديمِه في الصلاةِ مَشْهورةٌ معروفَةٌ، وهو يقول: "مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ"[4].

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسولَ اللـه ε يقول: "بَيْنَا أَنا نائِمٌ رَأَيتُنِي على قَلِيبٍ، عليها دَلْوٌ، فَنَزَعتُ منها ما شاءَ اللـهُ، ثمَّ أخَذَها ابنُ أبي قُحافَةَ، فنَزَعَ منها ذَنوباً أو ذَنوبين، وفي نَزْعِه ضَعْفٌ، واللـه يَغفِرُ لَهُ، ثمَّ استحالَتْ غَرْباً، فأخذها ابنُ الخطَّابِ[5]، فلَمْ أرَ عبقريَّاً مِنَ الناسِ يَفْري فَرِيَّهُ، حتى ضرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ"[6].

---

[1] صحيح، أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد.

[2] أي: مرضه ε الذي مات فيه.

[3] فيه إشارَةٌ صريحة على استخلاف أبي بكر τ، ورواية البخاري بلفظ: "هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثمَّ قلت: يأبى اللـهُ ويدفع المؤمنون أو يدفع اللـه ويأبى المؤمنون".

[4] متفق عليه.

[5] ورواية مسلم، لفظه في بعضها: "ثم أخذها عمر، فاستحالت غرباً" ومن حديث ابن عمر: "ثم أَخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر، فاستحالت في يده غرباً". وفي الحديث إشارة إلى استخلاف عمر بعد أبي بكر.

[6] قوله: "على قليب" أي: على بئر، وقوله: "ذنوباً أو ذنوبين" الذنوب: الدلو الممتلئة. قال الشافعي في "الأم": ومعنى قوله: "وفي نزعه ضعف": قصر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والازدياد الذي بلغه عمر في طول مدته. وقوله: "يفري فريه" أي: يعمل عمله، ويقطع قطعه، "والعطن" ما يعد للشرب حول البئر من مبارك الإبل.

وقالَ ε: "لو كُنتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الأرضِ خليلاً، لاتَّخَذْتُ أَبا بكرٍ خليلاً، لا يبقيَنَّ في المَسجدِ خَوْخَةٌ إلاَّ سُدَّت، إلاَّ خَوخَةُ أبي بكرٍ"[1].

وعن أبي بكرةَ، أنَّ النبيَّ ε قال ذاتَ يومٍ: "مَنْ رأى منكم رُؤيا؟" فقال رَجُلٌ أنا رَأَيْتُ كَأَنَّ ميزاناً أُنزلَ مِنَ السماءِ، فَوُزِنتَ أنتَ وأبو بكرٍ، فرجَحْتَ أنتَ بأبي بكرٍ، ثمَّ وزنَ عُمَرُ وأبو بكرٍ، فرجحَ أبو بكرٍ، ووزنَ عُمَرُ وعُثمانُ، فرَجَحَ عُمَرُ، ثمَّ رُفِعَ الميزانُ، فرأيتُ الكراهَةَ في وجهِ النبيِّ ε، فقال: "خِلافَةُ نُبوَّةٍ، ثمَّ يُؤتي اللهُ المُلكَ مَنْ يشاءُ"[2].

وقال ε: "خِلافَةُ النُّبوَّةِ ثلاثُونَ سنةً[3]، ثمَّ يُؤتي اللهُ مُلْكَهُ مَنْ يشاءُ أو الملك"[4].

وفي "الصحيحين" عن عمرو بن العاص: أَنَّ رسولَ اللهِ ε بعثَهُ على جيشِ ذات السَّلاسِلِ، فأتيتُه، فقلت: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إليكَ؟ قال: "عائِشَةُ"، قُلْتُ: مَنَ الرِّجالِ؟ قال: "أبوها"، قلتُ: ثمَّ مَنْ؟ قال: "عمر".

وعن أَبي الدَّرداءِ، قال: كُنتُ جالِساً عندَ النبيِّ ε، إذْ أَقبَلَ أَبو بكرٍ آخذاً بطَرَفِ ثوبِهِ، حتى أَبدى عَنْ رُكبَتَيْهِ، فقالَ النبيُّ ε: "أَمَّا صاحِبُكُم، فقد غامَرَ[5]"، فسَلَّمَ، وقال: إنَّه كانَ بيني وبينَ ابن الخطاب شيءٌ، فأسرَعتُ إليهِ، ثمَّ نَدِمْتُ، فسألْتُه أنْ يغفرَ لي، فأبى عَلَيَّ، فأَقْبَلْتُ إليك، فقال: "يَغْفِرُ اللهُ لكَ يا أبا بَكرٍ" ثلاثاً، ثمَّ إنَّ عُمرَ نَدِمَ، فأتى مَنْزِلَ أبي بكرٍ، فسألَ: أثَمَّ هو؟ فقالوا: لا، فأتى النبيَّ ε، فسَلَّمَ عليه، فجعلَ وجهُ النبيِّ ε يَتَمَعَّرُ، حتى أَشفقَ أَبو بكرٍ[6]، فجثا على رُكبَتَيْهِ، فقال: يا رسولَ اللهِ، واللهِ أنا كُنتُ أَظْلَمُ مرَّتين، فقالَ النبيُّ ε: "إنَّ اللهَ بَعَثَني إليكم، فقُلْتم: كَذَبتَ، وقال أَبو

---

[1] متفق عليه.

[2] صحيح، رواه أبو داود.

[3] وهي المدة التي استُخلِفَ فيها الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ψ، حيث استمرت خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين.

[4] حسن.

[5] قال ابن حجر في "الفتح": والمعنى دخل في غمرة الخصومة، والغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره ا.هـ.

[6] أي أشفق على عمر لِما رأى من غضب النبي ε عليه..

بكرٍ: صَدَقْتَ، وواسَاني بنفسِهِ ومالِه، فَهَلْ أَنتُم تارِكُو لي صاحِبِي؟". مرَّتين، فما أُذيَ بَعْدَها[1]

-حُجَّةُ مَنْ قال: لَمْ يَسْتَخْلِفْ بالنَّصِّ-

واحتجَّ مَنْ قالَ: لَمْ يَستخلِفْ بالخبرِ المأثورِ، عنْ عبدِ اللـه بن عمر، عن عمرَ رضي
اللـه عنهما، أنَّه قالَ: إنْ أَسْتَخْلِف، فقد استخلَفَ مَنْ هو خَيرٌ مني، يعني أبا بكرٍ، وإنْ لا أسْتَخْلِف، فلم يَستخلِفْ مَنْ هو خَيْرٌ مني، يعني رسولَ اللـه ε[2].

وبما رُوِيَ عن عائشة رضي اللـه عنها أَنَّها سُئِلتْ مَنْ كان رسولُ اللـهِ ε مُستخلفاً لو استخلَف[3].

والظاهرُ -واللـه أعلم- أَنَّ المُرادَ أنَّهُ لَمْ يَسْتَخلِفْ بعهدٍ مكتوبٍ[4]، ولو كَتَبَ عهداً، لكتبه لأبي بكر، بَلْ أَرادَ كتابَتَهُ ثمَّ تَرَكَهُ، وقال: "يأْبى اللـهُ

---

[1] أخرجه البخاري.

[2] متفق عليه، واللفظ لمسلم.

[3] أخرجه مسلم وغيره.

[4] ويمكن أنْ يُقال أيضاً: أنَّ عمر τ، لم تبلغه مجموع الأحاديث التي تُفيد استخلاف أبي بكر فالتجأ إلى هذا القياس، كما فعل يوم أنْ همَّ أبو بكر τ بمقاتلة مانعي الزكاة، فقال له: كيف تقاتلُ الناسَ وقد قال رسول اللـه ε: "أمِرتُ أَنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللـه، فمن قال لا إله إلا اللـه عَصمَ مني مالُه ونفسه إلاَّ بحقه وحسابه على اللـه". فلو كان قد بلغه قول النبي ε: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللـه، وأن محمداً رسول اللـه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة.." لما سأل هذا السؤال وكذلك أبو بكر لو بلغه الحديث لَما التجأ إلى قياس الزكاة على الصلاة، بقوله: واللـه لأقاتلنَّ من فرَّقَ بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال.. كما قال ابن حجر في "الفتح" (

والمسلمونَ إلاَّ أبا بكرٍ". فكانَ هذا أَبْلَغَ مِنْ مجَرَّدِ العهدِ، فإنَّ النبيَّ ε دَلَّ المسلمين على استخلافِ أبي بكرٍ، وأرشدهم إليه بأمورٍ متعدِّدةٍ، مِنْ أقوالِه وأَفْعالِه، وأَخبرَ بخلافَتِه إخبارَ راضٍ بذلك، حامِدٍ له، وعَزمَ على أنْ يكتبَ بذلك عَهداً، ثمَّ عَلِمَ أنَّ المسلمينَ يجتمعونَ عليه، فتركَ الكِتابَ اكتفاءً بذلك.

فلو كان التعيينُ مِمَّا يَشْتَبِهُ على الأمَّةِ، لبيَّنه بياناً قاطعاً للعُذرِ، لكن لما دلَّهم دلالاتٍ متعدِّدَةً على أنَّ أبا بكرٍ المتعَيَّنُ، وفهموا ذلك، حصلَ المقصودُ، ولهذا قال عمرُ في خطبتهِ التي خطبها بمحضَرٍ منَ المهاجرينَ والأنصار: أنتَ خَيْرُنا وسيِّدُنا وأحبُّنا إلى رسولِ الله ε. ولم ينكر ذلك منهم أَحَدٌ، ولا قالَ أحَدٌ مِنَ الصَّحابةِ: إنَّ غير أبي بكر من المهاجرين أحقُّ بالخلافةِ منه، ولم يقلْ أحَدٌ منهم قَطُّ: إنَّ النبيَّ ε نصَّ على غير أبي بكر، لا عليٌّ، ولا العباسُ، ولا غيرهما، كما قَدْ قالَ أَهْلُ البدَعِ[1].

-ما حَصَلَ في سَقيفَةِ بني ساعِدَة-

عَن عائشةَ رضي الله عنها: أَنَّ رسولَ الله ε مات وأَبو بكر بالسُّنْحِ[2]-فذَكرَتِ الحديثَ- إلى أَنْ قالَتْ: واجتمعَ الأنصارُ إلى سَعْدِ بن

محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت، قال الله تعالى: **[وما محمد إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن ماتَ أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يَضُرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين]**. قال عمر: "والله ما هو إلاَّ أن سمعت أبا بكر تلاها فعرقت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض" وكأنه τ لم يسمعها من قبل.

والشاهد: أن قول عمر الآنف الذكر، لا يمكن أن نرد به أحاديث النبيِّ ε الدالة على استخلاف أبي بكر، والله تعالى أعلم.

(1) إشارة إلى الشيعة الروافض، حيث أوَّلوا النصوص، وحملوها ما لا تحتمل، من ذلك تأويلهم لقوله تعالى: **[إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل]**. قال الخميني في كتابه "الحكومة الإسلامية" ص

عُبادةَ، في سَقيفَةِ بني ساعِدَة، فقالوا: مِنَّا أَميرٌ، ومِنكُم أَميرٌ، فَذَهبَ إليهم أبو بكرٍ، وعمرُ بن الخطاب، وأبو عبيدَةَ بنُ الجَرَّاح، فذهب عُمَرُ يتكلم، فأسكتهُ أبو بكرٍ، وكانَ عمرُ يقول: واللـه ما أَرَدتُ بذلك إلاَّ أنِّي هيَّأتُ في نفسي كلاماً قد أعجبني، خَشِيتُ أَنْ لا يَبْلُغَهُ أبو بكر، ثمَّ تكلَّمَ أبو بكر، فتكلَّمَ أبلغَ الناسِ، فقال في كلامِه: نحنُ الأُمراءُ، وأنتمُ الوزراءُ، فقالَ حبابُ بنُ المنذر: لا واللـه لا نَفْعَل، مِنَّا أَميرٌ ومنكم أميرٌ[1]، فقالَ أبو بكرٍ: لا ولكِنَّا الأُمراءُ، وأَنتمُ الوزراءُ، هم أَوسطُ العرب، وأَعَزُّهم أحساباً، فبايعوا عُمرَ أو أبا عبيدَةَ بن الجرَّاح، فقال عمر: بل نبايعُكَ، فأَنْتَ سَيِّدُنا، وخيْرُنا، وأَحبُّنا إلى رسولِ اللـه ε، فأخذَ عُمَرُ بيده فبايَعَهُ، وبايَعَهُ النَّاسُ، فقالَ قائلٌ: قتلتم سعداً، فقالَ عُمَرُ: قتلَهُ اللـهُ[2].

قولُه: "ثمَّ لِعُمَرَ بنِ الخطَّابِ τ ".

ش: أي ونُثْبِتُ الخلافَةَ بعد أبي بكرٍ، لعمرَ رضي اللـه عنهما. وذلك بتفويضِ أبي بكر الخلافةَ إليه، واتِّفاقِ الأُمَّةِ بعدَه عليه.

-من فضائل عمر τ-

عن محمد بن الحنفية أَنَّه قال: قلتُ لأبي: يا أبتِ، مَن خَيْرُ النَّاسِ بعدَ رسولِ اللـه ε؟

فقال: يا بُنَيَّ، أوَ ما تَعْرِف؟ فقلتُ: لا، قال: أبو بكرٍ، قلتُ: ثمَّ مَنْ؟ قالَ: عمرُ، وخَشيتُ أنْ يقولَ: ثمَّ عثمان فقلتُ: ثمَّ أنتَ؟ فقالَ: ما أَنا إلاَّ رجُلٌ من المسلمين[3].

وتقدَّمَ قَوْله ε: "اقتَدُوا باللَّذينَ مِنْ بعدِي: أبي بكرٍ وعُمرَ".

---

[1] فيه أنَّ الصحابي يمكن أن يفوته بعض العلم، فلو كان ممن اعترض من الأنصار بادئ ذي بدء على أن تكون الإمامة في قريش، يعلمون بأحاديث النبي ε المتواترة الدالة على أنَّ "الأئمة من قريش ما بقي منهم اثنان"، لما حصل منهم ذلك الاعتراض، ولما قالوا مقولتهم تلك، وكذلك أبو بكر τ لو كان يعلم بقول النبي ε "الأئمة من قريش"، لما استبدله بكلام آخر، لما في كلام النبيِّ ε من الحجة المُلزمة ما ليس في كلام غيره من البشر. ويحتمل أنَّ أبا بكر τ كان يعلم بقول النبيِّ ε، لكنه صاغه باسلوبه من دون أن يرفعه إلى النبيِّ ε، واللـه تعالى أعلم.

[2] صحيح، أخرجه البخاري وغيره.

[3] صحيح، أخرجه البخاري وغيره.

وفي "صحيح مسلم" عن ابن عباس، قال: وُضِعَ عُمرُ على سريرِهِ، فتكنفَهُ النَّاسُ يدعون ويُثنُونَ، ويُصَلُّونَ عليه قبل أَن يُرْفَعَ، وأنا فيهم، فَلم يَرُعْني إلاَّ برَجُلٍ قد أَخذَ بمنكبي من ورائي، فالتفَتُّ إليهِ، فإذا هو عَليٌّ، فترَحَّمَ على عُمرَ، وقال: ما خَلَّفتَ أحداً اَحَبَّ إليّ أَن أَلقى اللـهَ بمثلِ عَمَلِه مِنْكَ، وايْمُ اللـهِ، إنْ كُنتُ لأظنُّ أن يَجْعَلَكَ اللـهُ مع صاحبيكَ، وذلك أَنّي كُنتُ كثيراً ما أَسْمعُ رسولَ اللـه ع يقول: "جئتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، ودخلتُ أنا وأَبو بكر وعمرُ، وخرجتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، فإنْ كنتُ لأرجو، أو لأظنُّ ان يجعلكَ اللـهُ معَهُما".

وفي "الصحيحين"، من حديث سَعْدِ بنِ أَبي وقاصٍ: قال: استأذَنَ عمرُ بنُ الخطاب على رسولِ اللـه ع، وعِنده نِساءٌ مِنْ قُرَيشٍ، يُكلمْنَهُ عاليةً أصواتُهنَّ... وفيه، فقال النبيُّ ع: "إيْهاً يا ابنَ الخَطَّاب! والَّذي نَفْسِي بيدِهِ، ما لَقِيَكَ الشَّيطانُ سالِكاً فجَّاً[1]إلاَّ سلكَ فجَّاً غيْرَ فجِّكَ".

وقالَ ع: "قَدْ كانَ في الأُممِ قَبلَكُم مُحَدَّثُونَ، فإنْ يَكُنْ في أُمَّتي منهم أحَدٌ، فإنَّ عُمرَ بن الخطَّابِ منهم"[2].

قال ابنُ وهب: تفسيرُ مُحَدَّثون: مُلْهَمُونَ.

قولُه: "ثمَّ لِعُثمانَ τ ".

ش: أي ونُثْبتُ الخلافَةَ بعد عمر لعثمانَ رضي اللـه عنهما.

-قصَّةُ مَقتل عمر، ومُبايعة عثمان-

عن عمرو بنِ ميمون، قال: رَأيتُ عُمَرَ τ قبلَ أَنْ يُصابَ بأيامٍ بالمدينةِ.. قال: إني لقائِمٌ ما بيني وبينَهُ إلاَّ عبدُ اللـه بنُ عباس غداةَ أُصيبَ، وكان إذا مرَّ بينَ الصَّفَّينِ قال: استووا، حتى إذا لم يرَ فيهنَّ خَلَلاً تقدَّمَ فكبَّرَ، وربَّما قَرَأ سورَةَ يوسف، أو النحل أو نحو ذلك في الرِّكعةِ الأولى، حتَّى يَجتمِعَ النَّاسُ، فما هو إلاَّ أَن كَبَّرَ، فسمعتُه يَقولُ: قتلني أو أكلني الكلبُ، حينَ طعَنَهُ، فطارَ العِلْجُ بسكينٍ ذاتِ طرَفين، لا يمُرُّ على أَحَدٍ يَميناً ولا شِمالاً إلاَّ طعَنَهُ، حتى طعَنَ ثلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، ماتَ منهم سبعةٌ، فلمَّا رأى ذلك رَجُلٌ مِنَ المسلمينَ، طَرَحَ عليه بُرْنُساً، فلمَّا ظنَّ أنَّه مأخوذٌ نَحَرَ نَفسَهُ، وتناولَ عُمرُ

---

[1] أي: طريقاً.

[2] متفق عليه.

يدَ عبد الرَّحمن بن عوف، فقَدَّمَهُ[1]، فمن يلي عمرَ فقد رأى الذي أرى، وأمَّا نواحي المسجد، فإنَّهم لا يدرونَ غيرَ أنَّهم قد فقدوا صوتَ عمرَ، وهُم يقولون: سُبْحانَ الله، سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفةً، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظرْ مَن قتَلَني؟ فجالَ ساعَةً ثمَّ جاءَ، فقال: غُلامُ[2]المغيرَةِ، قال: الصَّنَعُ[3]؟ قال: نَعَم، قال: قاتله اللهُ، فلَقد أَمَرْتُ به معروفاً! الحمدُ الله الذي لم يجعَلْ مَنيَّتي على يدِ رَجُلٍ يَدَّعي الإسلامَ، قَدْ كُنتَ أَنتَ وأَبوكَ تُحِبَّانِ أَن تكثُرَ العُلُوجُ[4]بالمدينةِ، وكانَ العباسُ أكثرَهُم رَقيقاً، فقال: إنْ شِئْتَ فعَلْتُ، أي: إنْ شِئْتَ قَتَلْنا، فقال: كذَبتَ[5]، بعد ما تكلَّموا بلسانِكُم، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكم، وحَجُّوا حَجَّكُم[6]! فا حتُمِلَ إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأَنَّ النَّاسَ لم تُصِبْهُم مُصيبةٌ قَبْلُ يومئذٍ، فقائلٌ يقولُ: لا بَأسَ عليه، وقائلٌ يقولُ: أخافُ عليه، فأُتِيَ بنبيذٍ[7]فشرِبَهُ، فخرجَ مِنْ جَوْفِه، ثمَّ أُتيَ بلبنٍ فَشَرِبَه، فخرَجَ مِن جَوفِه، فَعرفُوا أَنَّهُ ميت[8]. فدَخَلْنا عليه، وجاءَ النَّاسُ يُثْنُونَ عليه، وجاء رجلٌ شابٌّ، فقال: أبشِرْ يا أميرَ المؤمنين ببُشرَى الله

---

[1] أي: قدمه إلى إمامَة النَّاس في الصلاة، وهذا يكون في حال تعسر عودة الإمام ثانية إلى الإمامة..

[2] وهو أبو لؤلؤة المجوسي لعنه الله.

[3] الصنع: صاحب الصنعة الذي يعمل بيده.

[4] العلوج: هم العبيد الخدم.

[5] أَهْلُ الحجاز يقولون: "كذبت" في موضع "أخطأت". (هامش نسخة مؤسسة الرسالة).

[6] فيه بيان لمدى انصاف عمر وعظمة عدله، وأنَّ أحكامه لم تكن تصدر عن هوى وردة فعل، علماً أن الذي حصل له لو حصل لكثير من الولاة غيره، لوجد لنفسه مبرراً أن يبيد جميع أقارب الجاني، والبلدة التي ينتمي إليها!!

[7] هو ماءٌ يُنقع فيه تمر.

[8] ومن رواية عبد الرزاق في مصنفه (

لكَ، مِنْ صُحْبَةِ رسول اللـهِ، وقَدَمٍ[1]في الإسلام ما قَدْ علِمْتَ، ثمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثمَّ شهادَة، قال: وَدِدْتُ أنَّ ذلك كان كِفافاً، لا عَلَيَّ ولا ليَ[2]، فلمَّا أَدبَرَ إذا إزارُه يَمَسُّ الأرض، قال: رُدُّوا عَلَيَّ الغلامَ، قالَ: يا ابن أَخي، ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فإنَّه أَنقى لِثوبِكَ، وأَتقى لِرَبِّكَ[3]، يا عبدَ اللـه بنَ عمر، انظر ما عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فحَسَبُوهُ، فوجدوهُ سِتَّةً وثمانينَ أَلفاً أو نحوَه، قال: إنْ وَفَى له مالُ آلِ عمر، فأَدِّهِ مِنْ أموالِهم، وإلاَّ فَسَلْ في بني عدي بنِ كعب، فإنْ لم تَفِ أَموالُهم، فَسَلْ في قريشٍ، ولا تعْدُهُم إلى غيرِهم، فأَدِّ عني هذا المالَ. انطلِقْ إلى عائشة أمِّ المؤمنينَ فقل: يقرأ عليكِ عمرُ السَّلامَ، ولا تقلْ: أمير المؤمنين، **فإني لَسْتُ اليومَ للمؤمنينَ أميراً**، وقل: يستأذِنُ عمرُ بنُ الخطابِ أَنْ يُدفَنَ مع صاحبيهِ، فَسَلَّمَ واستأذَنَ، ثمَّ دخلَ عليها، فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يَقرأُ عليكِ عمرُ بنُ الخطابِ السلامَ، ويَستأذِنُ أن يُدْفَنَ مع صاحبيه، قالت: كُنتُ أُريدُه لنفسي، ولأُوثِرَنَّ به اليومَ على نفسي، فلَمَّا أَقبلَ، قيل: هذا عَبدُ اللـهِ قدْ جاءَ، قال: ارفعوني، فأسندَهُ رجلٌ إليه، قال: ما لديك؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين، أَذِنَتْ، قال: الحمدُ لله، ما كانَ شيءٌ أَهمَّ إليَّ مِن ذلك، فإذا أَنا قَضيتُ، فاحملوني، ثُمَّ سَلِّم، فقُلْ: يَسْتَأذِنُ عمرُ بنُ الخطاب، فإنْ أَذِنَتْ لي، فأدخلوني، وإنْ رَدَّتني فردُّوني إلى مقابر المسلمين. وجاءَتْ أُمُّ المؤمنينَ حَفصةُ والنساءُ تسيرُ معها، فلَمَّا رأَيْناها قُمنا، فوَلَجَت عليه،

---

(1) أي: المكانة والفضل.

(2) أقول: إذا كان عمر الفاروق العادل، أفضل النَّاس بعد رسولِ اللـه وأبي بكر، المبشر بالجنة، يرجو أن يكون حسابه يوم القيامة كفافاً لا له ولا عليه، فمن باب أولى من هم دونه شأناً وفضلاً -مما لا يُعلم حالهم عند اللـه- أن لا تغرنهم الأماني، وأن لا يُزكوا أنفسهم على اللـه، وهو كذلك مدعاة لأن يمسك النَّاس عن التوسل بالصالحين والأولياء، ظنَّاً منهم أنَّ لهم جاهاً عند ربهم، يخولهم التوسط والتشفع..!! وكأنهم قد اضطلعوا على الغيب وعرفوا مكانتهم عند ربهم، وما لهم أو عليهم!!

(3) أقول: رغم مرضه τ وأنه على فراش الموت، وتزاحم النَّاس عليه ليسمعوا منه ما يوصي به.. فكل ذلك لم يمنعه من أن ينهى الرجل عن إطالة ثوبه، هذه المسألة التي تهاون بها كثير من النَّاس بحجة أنها من المسائل الفرعية، ومن القشور التي لا ينبغي الانشغال بها..!!

فبكت عنده ساعةٍ[1]، واستأذَنَ الرِّجالُ، فوَلَجَت داخلاً لهم، فَسمِعنا بُكاءَها من الداخل، فقالوا: أَوصِ يا أميرَ المؤمنين، استخلِفْ، قال: ما أَجِدُ أَحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرَّهط، الذين تُوفِّي رسولُ اللهِ ε وهو عنهم راضٍ، فَسَمَّى عليَّاً، وعثمانَ، والزُّبَيْرَ، وطلحةَ، وسَعْداً، وعبدَ الرَّحمن، وقال: يَشْهَدُكُمْ عبدُ الله بنُ عمر، وليس له مِنَ الأمر شيءٌ، كهيئةِ التعزيةِ له، فإنْ أَصابت سعداً فهو ذاكَ، وإلاَّ فليَسْتَعِنْ به أَيُّكم ما أُمِّر، فإنِّي لم أَعْزِلْهُ من عَجزٍ ولا خيانَةٍ[2].

---

[1] ذكر ابن سعد 3/

وقال: أُوصي الخليفةَ مِنْ بَعْدي بالمهاجرين الأولين: أَن يَعْرفَ لهم حَقَّهم، ويَحفَظَ لهم حُرْمَتَهم، وأُوصيه بالأنصارِ خَيْراً، الذين تبوَّؤوا الدَّارَ والإيمانَ مِن قبلهم، أَنْ يقبلَ مِنْ محسنهم، ويتجاوَزَ عن مُسيئهم[1]، وأُوصيه بأهلِ الأمصارِ خيراً، فإنَّهم رِدءُ الإسلامِ، وجُباةِ الأموالِ، وغيظُ العدو، وأَن لا يُؤخذَ منهم إلاَّ فضلهم عن رِضاهم، وأُوصيه بالأعرابِ خَيراً، فإنَّهم أَصلُ العَرَبَ، ومادَّةُ الإسلامِ، أن يُؤخَذَ من حواشي أَموالهم، وأَن يُرَدَّ على فقرائهم، وأُوصيه بذِمَّة اللهِ وذمَّةِ رسولِهِ أن يوفى لهم بعهدهم، وأنْ يُقاتَل مِن ورائهم، ولا يُكَلَّفوا إلاَّ طاقتهم.

فلما قُبِضَ خَرَجنا به، فانطلقنا نمشي، فسَلَّمَ عبدُ اللهِ بنُ عمر، قال: يَستأذِنُ عمرُ بن الخطاب، قالَت: أَدخلوهُ، فأُدخِلَ، فوضِعَ هناكَ معَ صاحبيه، فلما فُرِغَ مِنْ دَفنه، اجتمعَ هؤلاء الرَّهْطُ، فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمرَكم إِلى ثلاثَةٍ منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إِلى عليٍّ، وقال طلحةُ: قد جعلتُ أَمري إِلى عثمان، وقال سَعْدٌ: قد جعلتُ أمري إِلى عبد الرحمن، فقالَ عبد الرحمن: أَيُّكما تَبَرَّأَ مِنْ هذا الأمرِ فنجعله إليه[2]، واللهُ عليه والإسلام لينظرَنَّ أَفضلَهم في نفسه، فأسكِتَ الشيخان، فقال عبدُ الرحمن: أفتجعلونَه إليَّ؟ واللهُ عليَّ أَنْ لا آلوَ عن أفضلِكم؟ قالا: نعم، فأَخَذَ بيدِ أحدِهما فقال: لكَ قرابةٌ مِن رسولِ اللهِ ε والقِدَمَ في الإسلامُ ما قَدْ علمت، فباللهِ عليكَ، لئن أَمَّرتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، ولئن أَمَّرتُ عليكَ لتسمعَنَّ ولتُطيعَنَّ، ثمَّ خَلا بالآخرِ، فقال له مثلَ ذلك، فلَمَّا أَخَذَ الميثاقَ، قال: ارفع يدَك يا عُثمانُ، فبايَعَه، وبايَعَ له عليٌّ، وولَجَ أَهْل الدَّارِ فبايعوه[3].

---

[1] فيه أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن تُقال عثرات مَن كان له سابقة إسلام وجهاد، وأن يُتأوَّل له عند وقوعه في الشبهات..

[2] أي: نجعل إليه مهمة تعيين الخليفة، وأن يُطاع فيما يشير إليه.

[3] صَحَّ عن النبيِّ ε عدة أحاديث تشير إلى استخلاف عثمان بن عفان τ، وما حصل له يومَ حوصِر في داره، منها: عن عائشة، قالت: قال رسولُ اللهِ ε: "يا عثمانُ! إن وَلاَّكَ اللهُ هذا الأمرَ يوماً، فأرادَكَ المنافقون أن تخلَعَ قَميصَكَ الذي قَمَّصَكَ اللهُ، فلا تخلَعْهُ" يقولُ ذلك ثلاث مَرَّاتٍ. قال النعمان: فقلت لعائشة: ما منعكِ أن تُعلمي الناسَ بهذا؟ قالت: أُنْسِيتُهُ. صحيح سنن ابن ماجة: (

-من فضائل عثمان بن عفان τ-

عن عائِشةَ، قالت: كانَ رسولُ اللهِ ε مُضطجعاً في بيتِه، كاشِفاً عن فخِذَيْهِ أو ساقيه، فاستأذَنَ أبو بكرٍ، فأَذِنَ له وهو على تلكَ الحالةِ، فتحَدَّثَ، ثمَّ استأذَنَ عمرُ، فأذنَ له وهو على تلك الحالة، فتحدَّثَ، ثمَّ استأذَنَ عُثمانُ، فجلسَ رسولُ اللهِ وسَوَّى ثِيابَه، فدخَلَ فتحدَّثَ، فلمَّا خَرجَ، قالت عائِشَةُ: دخَلَ أَبو بكرٍ، فلم تَهَشَّ[1]له ولم تُبَالِه، ثمَّ دَخَلَ عمرُ، فلم تَهشَّ له ولم تُبالِه، ثمَّ دخَلَ عثمانُ فجلست وسوَّيْتَ ثيابَك؟ فقال: "ألا أَسْتَحِي مِنْ رجُلٍ تستحِي منه الملائِكَةُ"[2].

وفي "الصحيح": لَمَّا كانَ يومُ بيعَةِ الرِّضوان، وأنَّ عثمانَ τ كانَ قد بعثَهُ النبيُّ ε إلى مكَّة، وكانت بيعَةُ الرَّضوان بعدَما ذهب عثمانُ إلى مكة، فقالَ رسولُ اللهِ ε بيدِه اليُمنى: "هذِهِ يَدُ عُثمانَ"، فضرَبَ بها على يدِه، فقال: "هذه لعثمان"[3].

قولُه: "ثُمَّ لِعَلِيِّ بن أَبي طالِبٍ τ ".

ش: أي: ونُثبتُ الخلافةَ بعدَ عثمانَ لعليِّ رضي الله عنهما. وهو الخليفَةُ في زمانِه خِلافَةَ نبوَّةٍ، لِقولِه ε: "خلافَةُ النُّبوَّةِ ثلاثُونَ سنَةً، ثمَّ يؤتي اللهُ مُلكَهُ مَنْ يَشاءُ"[4].

فالخلافَةُ ثَبتَتْ لأميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب τ بعدَ عثمانَ τ، بمبايَعَةِ الصحابةِ، سوى معاوية معَ أَهْلِ الشامِ[1].

أبي موسى أَنَّه كان مع النبي ε في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل يستفتح، فقال النبيُّ ε: "افتح له وبشره بالجنة" ففتحت، فإذا أبوبكر، فبشرته بالجنة، ثمَّ استفتح رجل آخر، فقال: "افتح له وبشره بالجنة" فإذا عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثمَّ استفتح رجلٌ آخر وكان متكئاً فجلس فقال: "افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون" فإذا عثمان ففتحت له وبشرته بالجنة، فأخبرته بالذي قال: فقال: الله المُستعان.

[1] تَهشّ: من الهشاشة، وهي طلاقة الوجه، وحسن اللقاء.

[2] أخرجه مسلم وغيره.

[3] رواه البخاري من حديث ابن عمر.

[4] حسن، وقد تقدم.

(1) امتناع أَهْل الشام عن مبايعة علي بن أبي طالب τ كان بتأويل واجتهاد منهم، لظنهم أنَّ قتلة عثمان τ هم من أنصار علي، وأنه لا بد مِن القصاص منهم أولاً، ولشعورهم أيضاً بظهور حركات باطنية تدعو إِلى ألوهية علي بن أبي طالب، كان على رأسهم اليهودي عبد الله بن سبأ، وهؤلاء كانوا من جملة مَنْ تظاهروا بنصرة علي بن أبي طالب على مَن سواه..

وخلاصة القول: أنَّ امتناعهم لم يكن خروجاً على عليٍّ وعدم الرضى به إماماً، وإنما كان لشبهة وتأويل، بزواله تزول المعارضة، لِذا عندما أراد عليٌّ قتالهم لإخضاعهم لسلطته، تخلف عن القتال معه عدد من الصحابة منهم ابن عمر وغيره، على اعتبار أَنَّه قتال فتنة يجب اعتزاله، آخذين بنصيحة النبي ε: "كَسِّرُوا قَسيَّكم -يعنى في الفتنة- وقَطِّعوا أوتاركم، والزموا أجوافَ البيوت، وكونوا فيها كالخير من ابني آدم". (السلسلة الصحيحة). وقال ε: "إنه ستكون فرقة واختلاف، فإذا كان كذلك فاكسر سيفك واتخذ سيفاً من خشب، واقعد في بيتك حتى تأتيكَ يد خاطئة أو منية قاضية". (رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع الصغير:

والحقُّ معَ عليٍّ τ[1].

-مِنْ فضائِلِ عَليّ بنِ أَبي طالب τ-

عن سَعْدِ بن أبي وقَّاص، قال: قال رسول اللـه ε لعلي: "أنتَ مِنّي بمنزِلَةِ هارونَ مِنْ موسى، إلاَّ أنَّه لا نبيَّ بَعْدي"[2].

وقال ε يوم خيبر: "لأعطيَنَّ الرايةَ غداً رجُلاً يُحِبُّ اللـهَ ورسولَهُ، ويُحِبُّـهُ اللـهُ ورسولُه" قال: فتَطَاوَلنا لها[3]، فقـال: "ادعُوا لـي عليّـاً، فـأُتِيَ بـه أَرْمَدَ، فبصَقَ في عينَيْهِ، ودفعَ الرَّايةَ إليه، ففتَحَ اللـهُ عليه"[4].

ولـمَّا نزلـت هـذه الآيـة: **[فقُـلْ تعـالوا نَـدْعُ أبناءَنـا وأبنـاءَكُم ونسـاءَنا ونِسـاءَكُم وأنفُسَـنا وأنفُسَـكُم]** آل عمـران:

عن ابن عُمرَ، قال: كنا نقولُ ورسولُ اللـهِ ε حيٌّ: أَفضَلُ أَمَّةِ النبيِّ ε بعدَه: أبو بكرٍ، ثمَّ عُمرُ، ثمَّ عُثمانُ[1].

وفي "صحيح البخاري" قول عبد الرَّحمن بن عوف لعليٍّ رضي اللـه عنهما: إنِّي قد نظرتُ في أمرِ الناسِ فلم أرَهم يَعْدلونَ بعثمان.

قال أيوبُ السَّخْتياني: مَنْ لم يُقَدِّمْ عثمانَ على عليٍّ، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

قولُه: "وأَنَّ العشْرَةَ الذين سَمَّاهم رسولُ اللـهِ ε وبَشَّرَهُم بالجنةِ، نَشْهَدُ لهم بالجنةِ[2]، على ما شَهدَ لهم رسولُ اللـه ε، وقَوْلُهُ الحَقَّ، وهُم: أَبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وطلْحَةُ، والزُّبيرُ، وسَعْدٌ، وسَعيدٌ، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، وأبو عُبيدةَ بنُ الجراحِ، وهو أمينُ هذِهِ الأُمَّةِ، رضي اللـه عنهم أجمعينَ".

ش: عن سعيد بن زيدٍ τ، قال: أشهدُ على رسولِ اللـهِ ε أنِّي سمعتُه يقول: "عشرةٌ في الجنَّة: النبيُّ في الجنَّة، وأبو بكرٍ في الجنَّة، وعمرُ في الجنَّة، وعُثمانُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطَلْحَةُ في الجنَّة، والزبير في الجنَّة، وسَعْدُ بنُ مالك في الجنَّة، وعبدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الجنَّة"، ولو شِئْتُ لسمَّيتُ العاشِرَ، قال: فقالوا: مَنْ هو؟ قال: سعيدُ بنُ زَيدٍ، قال: لـمَشهَدُ رَجلٍ منهم مع رسولِ اللـه ، يَغبَرُّ منه وَجْهُهُ، خيرٌ مِن عَملِ أَحدِكُم ولو عُمِّرَ عُمُرَ نوحٍ[3].

وعن عبد الرحمن بن عوف τ، أَنَّ النبيَّ ε قال: "أبوبكرٍ في الجنَّة، وعمرُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وعثمانُ في الجنَّة، وطلحةُ في الجنَّة، والزبير بن العوام في الجنَّة، وعبدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ في الجنَّة، وسعيدُ بنُ زَيْدِ بن عمرو بن نُفَيلٍ في الجنَّة، وأبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ في الجنَّة"[4].

---

[1] صحيح، أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح عنه، وهو عند البخاري بنحوه.

[2] مقتضى هذا الكلام أننا لا نشهد لغيرهم بالجنة ممن لم يرد فيهم نص، لأن الجزم للمعينين بأسمائهم بالجنة هو من خصوصيات النبي ε وليس لأحدٍ بعده. ولو جاز لغير النبي ε أن يشهد على أحدٍ بالجنة لما كانت لهذه الشهادة ميزة، ولا للصحابة المبشرين بالجنة خاصية تميزهم عن غيرهم..

[3] صحيح، رواه أبو داود، وابن ماجة، والترمذي، وغيرهم.

[4] صحيح، رواه أحمد وغيره.

وعن أبي هريرة، قال: كانَ رسولُ اللـه ε على حِرَاء، هو وأبو بكرٍ وعُمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبير، فتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فقال رسولُ اللـهِ ε: "اهْدَأْ، فما عليك إلاَّ نبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيدٌ"[1].

-مِنْ فضائِلِ أَبي عُبيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ-

عن أنسِ بنِ مالك، قال: قالَ رسولُ اللـهِ ε: "إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَميناً، وإنَّ أمينَنَا أيَّتُها الأُمَّةُ: أَبو عُبيدةَ بنَ الـجَرَّاحِ"[2].

وعن حُذَيْفَةَ بن اليمانِ، قال: جاءَ أَهْلُ نجرانَ إِلى النبي ε، فقالوا: يا رسول اللـه، ابعثْ إلينا رجلاً أميناً، فقال: "لأبعَثَنَّ إليكم رَجُلاً أَميناً حقَّ أمين"، قال: فاستشرفَ لها النَّاسُ، قال: فبعثَ أبا عبيدَةَ بن الجرَّاح. متفق عليه.

قولُـه: "ومَـنْ أَحْسَـنَ القـولَ فـي أصحـابِ رسـولِ اللـهِ ε، وأَزواجِـهِ الطـاهراتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وذُرِّيَّاتِـهِ المقَدَّسين مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَد برئَ مِنَ النِّفاقِ[3]".

---

[1] رواه مسلم وغيره.

[2] متفق عليه.

[3] يُشير الشيخ إلى الشيعة الرَّوافض، لأنهم عُرِفوا عن غيرهم بطعنهم وشتمهم للصحابة ولأزواج النبيِّ ε، وبحقدهم الشديد على أَهْل السُّنَّة. وقوله **"برئ من النفاق"**، لأنَّ النصَّ دلَّ -كما تقدم- أنَّ حبهم دين وهو من الإيمان، وبغضهم من النفاق، وبالتالي فإنه لا يجتمع ادعاء حب الدين، وبغض مَن نقل إلينا هذا الدين مباشرة عن النبيِّ ε إلاَّ في منافق زنديق صريح النفاق، فكيف يدعي حُبَّ الشيء ثمَّ يُظهر ضده ونقيضه في آن واحد..؟!

وإلى جانب ذلك فإنَّ الطعن بالصحابة الكرام، وبأزواج النبي ε الطاهرات، فيه طعن بمربيهم ومعلمهم وهو النبي ε، وكأنَّ لسان حالهم يقول: رجل هؤلاء هم أصحابه فهو لا يعدو أن يكون مثلهم، والصاحب يُعرف بصاحبه..

وكذلك فإن طعنهم للصحابة ولأزواج النبيِّ ε، فيه تكذيب لله Y الذي أنزل في كتابه رضاه عنهم، وأمر بحبهم وموالاتهم..

لذا كانَ شتم الصحابة وبغض نساء النبي ε نفاقاً صريحاً لا يعلوه نفاقاً.

قال ابن تيمية في الصارم: من سبَّهم سباً لايقدحُ في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك

ش: في "صحيح مسلم"، عن زيد بنِ أرقم، قال: قام فينا رسولُ اللـه ε خطيباً بماءٍ يُدعى: خُمَّاً[1]بين مكَّةَ والمدينةِ، فقال: "أمَّا بَعْدُ، أَيُّها النَّاسُ، إنما أنـا بشَرٌ يوشِكُ أَنْ يـأتيني رسولُ رَبِّي[2]، فأجيبُ ربي، وإنِّي تـارِكٌ فيكم ثَقَلينِ: أَوَّلُهُما كِتابُ اللـهِ، فيهِ الهدى والنُّورُ، فَخذوا بكتـابِ اللـهِ واستَمْسِكُوا به" فَحَثَّ على كِتابِ اللـهِ ورَغَّبَ فيه، ثمَّ قال: "وأهلُ بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللـهَ في أَهْلِ بيتي، ثلاثاً"[3].

فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أَهْل العلم.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول اللـه عليه الصلاة والسلام إلاَّ نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، **فهذا لا ريب أيضاً في كفره**، لأنـه كذب لما نصـه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسُّنَّة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي **[كنتم خير أمة أخرجت للناس]**، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، **وكفر هذا ممَّا يعلم بالاضطرار من دين الإسلام**. ولهذا تجد عامة من ظهر عليهم شيء من هذه الأقوال، **فإنه يتبين أَنَّه زنديق** ا-هـ.

وقال القاضي عياض في الشفا (2/

وخَرَّجَ البُخاريُّ عن أبي بكرٍ الصديق τ، قال: ارقُبوا محمَّداً في أَهْل بيتهِ[1].

قولُه: "وعُلماءُ السَّلفِ مِنَ السَّابقين، ومَنْ بَعْدَهُم مِنَ التابعينَ -أهْلِ الخَيْرِ والأثرِ، وأهْلِ الفِقْهِ والنَّظَرِ- لا يُذْكَرونَ إلاَّ بالجميل، ومَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ، فهو على غيرِ السَّبيلِ[2]".

ش: قال تعالى: **[ومَنْ يُشاقِقِ الرسولَ مِنْ بعدِ ما تَبيَّنَ له الهُدى ويتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين نُوَلِّهِ ما تَولَّى ونُصْلِهِ جَهنَّمَ وساءتْ مصيراً]**[3] النساء:

جَعَلَهُم اللـهُ بمنزلَةِ النُّجومِ، يُهدَى بهم في ظلمـاتِ البَرِّ والبحـرِ، فـإنَّهم خلفاءُ الرسولِ من أُمَّتهِ، والمحيونَ لِما ماتَ من سنتهِ[1].

فلهم الفَضْلُ علينـا والمنَّـةُ بالسَّبقِ، وتبليـغِ مـا أُرْسِلَ بـه الرسـولُ ε إلينـا، وإيضاحِ ما كان منه يَخْفى علينا، فَرضيَ اللـه عنهم وأرضـاهم. [**رَبَّنـا اغْفِرْ لنا ولإخوانِنا الذين سَبقونا بالإيمـانِ ولا تَجْعَلْ في قلوبِنـا غِلاًّ للذينَ آمنـوا ربنا إنكَ رَؤوفٌ رَّحيمٌ**] الحشر:

ومنهم مَنْ يظن أَنَّه قد صار أَفضل من الأنبياءِ!! ومنهم من يقول: إنَّ الأنبياءَ والرسلَ إنما يأخذون العلْمَ بالله من مِشكاةِ خاتَمِ الأولياء!! ويدَّعي لنفسهِ أنَّه خاتمُ الأولياءِ!!

كما قال ابن عربي[1]:

مقام النبوة في بَرزخٍ فُوَيْقَ الرَّسولِ ودونَ الوَلي!!

قال أبو عثمان النيسابوري: مَنْ أَمَّرَ السُّنَّة على نفسهِ قولاً وفِعلاً، نطقَ بالحِكمةِ، ومَن أَمَّرَ الهوى على نفسِهِ، نَطَقَ بالبدعَةِ.

بأسره، وإن رسولَ الله ε صيَّر ذلك كله عند أَمير المؤمنين υ. فقال له رجلٌ: يا ابن رسول الله فأمير المؤمنينَ أعلم أَم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر υ: اسمعوا ما يقول؟! إنَّ الله يفتح مسامعَ ما يشاء، إني حدثته أَنَّ اللهَ جمعَ لمحمدٍ ε علم النبيين وأنَّه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين υ، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين؟!

وقال أبو عبد الله υ (1/

قولُه: "ونؤمِنُ بما جاءَ مِن كراماتهم، وصَحَّ عن الثِّقاتِ مِنْ رواياتِهم".

ش: المعجزةُ في اللُّغةِ تَعُمُّ كُلَّ خارِقٍ للعادةِ، وكذلك الكرامةُ في عُرْفِ أئمَّةِ أَهْل العلمِ المتقدمينَ، ولكن كثيرٌ مِنَ المتأخرين يُفَرِّقُون في اللَّفظِ بينهما، فيجعلونَ المعجزة للنبيِّ والكرامَةَ للولي، وجماعهما الأمرُ الخارِقُ للعادةِ.

-مَرَدُّ الإعجازِ إلى اللهِ وَحْدَه-

صِفاتُ الكمالِ ترجِعُ إلى ثلاثةٍ: العلمُ، والقدرةُ، والغنى، وهذه الثلاثةُ لا تَصْلُحُ على وَجْهِ الكمال إلاَّ لله وحدَهُ، فإنَّه الذي أَحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو على كُلِّ شيءٍ قدير، وهو غنيٌّ عن العالمين، ولهذا أمرَ النبيَّ ε أنْ يبرأَ مِنْ دَعْوى هذه الثلاثة بقوله: **[قُلْ لا أقولُ لكم عِندي خزائنُ اللـه ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكم إني مَلَكٌ إن أتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحى إليَّ]** الأنعام:

-إذا صَحَّ الدينُ، حَصَلَت الكرامةُ-

إنَّ الدينَ إذا صَحَّ عِلماً وعملاً، فلا بدَّ أنْ يوجبَ خَرْق العادَةِ، إذا احتاجَ إلى ذلك صاحِبه، قال تعالى: **[ومَنْ يَتَّقِ اللـهَ يجعل له مَخْرَجاً، ويَرْزُقْهُ مِنْ حيثُ لا يحتسِبُ]** الطلاق: 2-3. **[إنْ تتَّقوا اللـهَ يَجْعلْ لكم فُرْقاناً]** الأنفال:

وفراسةٌ رِيَّاضِية: وهي التي تحصل بالجوعِ والسَّهر والتخلِّي، وهذه فِراسَةٌ مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدُلُّ على إيمانٍ ولا على ولايَةٍ، وهي مِنْ جِنسِ فِراسَةِ الولاةِ، وأصحابِ عبارَة الرُّؤيا ونحوهم.

وفراسةٌ خَلْقيَّةٌ: وهي التي صَنَّفَ فيها الأطباءُ وغيرُهم، واستدلُّوا بالخَلْقِ على الخُلُق، لِما بينهما مِنَ الارتباط.

قولُه: "ونؤمِنُ بأشْراطِ السَّاعةِ: مِنْ خروجِ الدَّجالِ، ونزولِ عيسى ابنِ مَريمَ عليهِ السَّلامُ مِن السماءِ، ونؤمنُ بطلوعِ الشمس مِن مغربِها، وخروج دابَّةِ الأرضِ مِنْ موْضِعها".

ش: عن عَوفِ بن مالكٍ الأشْجَعيِّ، قال: أتيتُ النبيَّ ε في غَزوَةِ تَبوكٍ، وهو في قُبَّةٍ من أَدَمٍ[1]. فقال: "اعْدُدْ سِتَّاً بينَ يدي السَّاعَةِ: موْتي، ثمَّ فَتْحُ بيت المقدس، ثمَّ مُوْتانٌ[2]يأخذُ فيكم كقُعاص[3]الغنمِ، ثمَّ استِفاضَةُ المالِ حتَّى يُعْطى الرَّجلُ مِئَةَ دينارٍ فيَظلُّ ساخِطاً، ثمَّ فتنة لا يَبْقى بيتٌ مِنَ العربِ إلاَّ دَخَلَتْهُ، ثمَّ هُدنَةٌ تكونُ بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرونَ فيأتونَكُم تَحْتَ ثمانينَ غايَةً، تحت كلِّ غايةٍ اثنا عَشَرَ ألفاً"[4].

وعن حُذَيفةَ بن أَسيدٍ، قال: اطَّلعَ النبيُّ ε علينا ونحن نتذاكرُ السَّاعة، فقال: "إنَّها لَنْ تقومَ حتى ترون قبلها عَشْرَ آياتٍ: الدُّخانُ[5]، والدَّجالُ،

وعن أبي سعيد مرفوعاً قال: قال رسول الله ε: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" ثمَّ قرأ النبي ε: **[إن في ذلك لآيات للمتوسمين]**. وقال ε: "احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وبتوفيق الله". وعن أنس بن مالك قال: قال النبي ε: "إن لله عباداً يعرفون النَّاس بالتوسم". (عن تفسير ابن كثير).

(1) الأدم: الجلد المدبوغ المنزوع عنه لحمه وشحمه.

(2) بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت. وقال غيره الموت الكثير الوقوع. انظر "فتح الباري": 32/6.

(3) القعص: أن يُضْرَب الإنسان فيموت مكانه. يُقال قعصْتُه وأقعصتُه إذا قَتَلْته سريعاً. وقعاص الغنم: داء يأخذ الغنم لا يُلبثُها أن تموت. "النهاية لابن كثير".

(4) أخرجه البخاري.

(5) عن أبي مالك الأشعري τ، قال: قال رسول الله ε: "إنَّ ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال". رواه الطبراني، قال ابن كثير: إسناده جيد. ومثل هذا قال عدد من الصحابة كعلي، وعبد الله بن عمر، وأبي سعيد الخدري

والدَّابَّةُ، وطُلوعُ الشَّمسِ مِنْ مغربها، ونُزول عيسى ابن مريمَ، ويأجوجُ ومأجوجُ، وثلاثةُ خُسوفٍ(1): خَسْفٌ بالمشرقِ، وخَسْفٌ بالمغربِ، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، وآخِرُ ذلك نارٌ تَخْرجُ مِنَ اليمن تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم(2)" مسلم.

وعن ابن عمرَ قال: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النبيِّ ε، فقال: "إنَّ اللهَ لا يَخفَى عليكم، وإنَّ اللهَ ليسَ بأَعْوَرَ، وأشارَ بيدِهِ إلى عَيْنِهِ، وإنَّ المسيحَ الدَّجالَ أَعْورُ عَيْنِ اليُمْنى، كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافيةٌ(3)"(4).

وعن أنسِ بن مالِكٍ، قال: قال رسول الله ε: "ما مِنْ نبيٍّ إلاَّ أنذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الدَّجَّال، ألا إنَّه أعْورُ، وإنَّ رَبَّكُم ليسَ بأَعْورَ، ومكتوبٌ بينَ عينيه كَ فَ رَ"(5)، فَسَّرَهُ في رواية: "أي: كافِر(6)".

وغيرهم. انظر تفسير ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: **[فارتقب يوم تأتي السماءُ بدخان مبين. يَغْشى النَّاسَ هذا عذابٌ أليم]** الدخان: 10-11.

(1) خسَفَت الأرض، خَسْفاً وخُسُوفاً: غارت بما عليها. ويقال: خَسَفَ اللهُ الأرضَ: غيَّبهُم فيها. وفي التنزيل العزيز: **[فخَسَفْنا بهِ وبداره الأرضَ]**. (المعجم الوسيط).

(2) والمحشر يكون يومئذٍ في الشام، كما في قوله ε: "الشام أرض المحشر والمنشر". وعن معاوية القشيري قال: قلت يارسول الله أين تأمرني؟ فقال: "ها هنا" وأومأ بيده نحو الشام. قال: "إنكم محشورون رجالاً وركباناً ومُجْرَون على وجوهكم". أخرجه أحمد وغيره، وكلا الحديثين صَحَّحهما الشيخ ناصر في تحقيقة لأحاديث فضائل الشام للربعي، فانظره.

(3) طافية: أي بارزةٌ.

(4) متفق عليه.

(5) متفق عليه.

(6) هذه الكلمة المكتوبة بين عينيه، يقرأها مَن يحسن القراءة ومن لا يقرأ من المسلمين، ولعل الحكمة من ذلك، حتى لا يخفى كفره على أحد، وحتى لا يختلف على كفره اثنان، وحتى لا ينبري وقتها مشايخ الإرجاء فيتأوَّلون كفره إلى الكفر العملي أو الكفر الأصغر، كما يفعلون ذلك -في زماننا- مع طواغيت لا يقل كفرهم عن كفر المسيح الدجال!!

وقد جاءت أحاديث صحيحة عدة في الدجال، منها ما رواه مسلم في كتاب الفتن، عن أبي سعيد الخدري τ قال: قال رسول الله ε: "يخرج الدجال،

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول اللـه ε: "والذي نفسي بيدهِ لَيُوشِكَنَّ أن يَنْزِلَ فيكم ابنُ مريمَ حكَماً عَدْلاً، فيكْسِرُ الصَّليبَ، يَقْتُلُ الخنزيرَ، ويضَعُ الجِزْيَةَ[1]، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتَّى تكونَ السَّجْدَةُ خيْراً منَ الدنيا وما فيها"[2]. ثمَّ يقولُ أبو هريرة: اقرؤوا إنْ شِئْتُمْ: **[وإنْ مِنْ أَهْل الكِتابِ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ به قبلَ موتهِ ويوم القيامَةِ يكونُ عليهم شَهيداً]** النساء:

وأمَّا خروج الدابَّةِ وطلوعُ الشمسِ مِنَ المغْربِ، فقال تعالى: **[وإذا وقَعَ القولُ عليهم أخْرَجنا لهم دَابَّةً مِنَ الأرضِ تُكلِّمُهم أَنَّ النَّاسَ كانوا بآياتِنا لا يوقنونَ]** النمل:

-الكهانُ والمنَجّمونَ لَيْسوا بشيءٍ-

عَنْ عائشةَ، قالت: سُئِلَ رسول اللـه ε عن الكُهّان؟ فقال: "لَيْسوا بشيءٍ"، فقالوا: يارسول اللـهِ، إنَّهُم يُحدِّثونَ أحياناً بالشيءِ فيكون حقّاً؟ فقالَ رسول اللـه ε: "تلك الكَلمةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُها الجِنّيُّ فيُقَرْقِرُها[1]في أُذُنِ وَلِيّهِ، فَيَخْلِطُونَ معها أَكثرَ مِنْ مائَةِ كَذْبَةٍ"[2].

-كَسْبُ الكاهِنِ[3]حَرَامٌ-

قالَ رسولُ اللـهِ ε: "ثَمَنُ الكَلْبِ خَبيثٌ، ومَهْرُ البَغِيِّ خَبيثٌ، وحُلْوانُ الكاهِنِ خبيثٌ"[4].

ويدخلُ في هذا المعنى ما يُعطاهُ المنجِّمُ، وصاحبُ الأَزلامِ التي يُستَقْسَمُ بها، مثل الخشبَةِ المكتوبة عليها "ا ب ج د"، والضَّارب بالحصى، والذي

---

[1] أي: يُرَدِّدُها.

[2] متفق عليه.

[3] الكاهِنْ: هو الذي يتكهن ويُخبر عن أمورٍ غيبية، من غير طريق شرعي.

ولا شك أن من يدعي لنفسه خاصية علم الغيب أنَّه كافر لادعائه خاصية من خصوصيات اللـه تعالى وحده.

قال تعالى: **[وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلاَّ هو]** الأنعام: 59. وقال: **[فقل إنما الغيب لله]** يونس: 20. وقال: **[قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيبَ إلاَّ اللـه]** النمل: 65.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة، منهم: الذي يدعي علم الغيب من دون اللـه، والدليل قوله تعالى: **[عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا]** ا-هـ.

ومما يدخل في مسمى الكهانة والكاهن، ضارب الفنجان والكف، والرمل، وكذلك علم الأبراج والكواكب الذي تُصدَّر به الصحف، ووسائل الإعلام المرئية وغيرها، فكل ذلك من الطغيان والكهانة الذي يعتبر ضرب في الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ اللـه.

[4] صحيح، أخرجه مسلم. وقوله: "مهر البغي"، هو ما تأخذه الزَّانية على الزنى. وقوله: "حلوان الكاهن"، هو ما يأخذه كأجرٍ على تكهنه وشعوذته. وهو حرام بالإجماع لما فيه من أخذ العوض على أمر باطل، والحلوان أيضاً الرشوة، وهو أيضاً أخذ الرجل مهر ابنته لنفسه. انظر "الفتح": 4/498.

يخطُّ في الرَّملِ، وما يُعطاهُ هؤلاء حَرَامٌ، وقد حَكى الإجماعَ على تحريمه غيرُ واحدٍ مِنَ العلماء.

وعن عائِشةَ رضي الله عنها قالَتْ: كانَ لأبي بكر غُلامٌ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجه، فجاءَ يوماً بشيءٍ، فأكَلَ منه أبو بكرٍ، فقال له الغُلامُ: تَدْري مِمَّ هذا؟ قال: وما هو؟ قال: كُنتُ تَكَهَّنْتُ لإنسانٍ في الجاهلية وما أُحْسِنُ الكِهانَةَ، إلاَّ أَنِّي خَدَعْتُه، فَلَقِيَني، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أَكَلْتَ منه، فأدْخلَ أبو بكرٍ يَدَهُ، فقاءَ كُلَّ شيءٍ في بَطْنِهِ"[1].

-التنجيمُ وادِّعاء أَنَّ للنِّجومِ أَثَراً!!-

صناعَةُ التنجيم -التي مضمونها الإحكامُ والتأثيرُ، وهو الاستدلالُ على الحوادِثِ الأرضية بالأحوال الفلكية، أو التمزيجُ بينَ القوى الفلكية والغوائل الأرضية-: صِناعةٌ مُحَرَّمَةٌ بالكتابِ والسُّنَّة.

قال تعالى: **[ولا يُفلِحُ الساحِرُ حيثُ أتى]** طه:

جمهورُ العلماء يُوجِبونَ قَتْلَ السَّاحرِ، كما هو مذهبُ أَبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثورُ عن الصَّحابةِ، كعمر وابنه، وعثمان وغيرهم ψ. ثمَّ اختلفَ هؤلاء: هل يُستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسِّحرِ؟ أم يُقتل لِسَعيه في الأرض الفسادِ؟

قالت طائفةٌ: إنْ قَتَلَ بالسحر قُتِلَ، وإلاَّ عوقب بدون القتل، إذا لم يكن في قولِه وعملِه كفرٌ، وهذا هو المنقولُ عن الشافعي، وهو قولٌ في مذهب أحمد رحمهما الله[1].

---

[1] قال ابن تيمية في الفتاوى (

واتَّفقوا كُلُّهم على أَنَّ ما كانَ مِنْ جنسِ دَعْوة الكواكبِ السَّبعةِ، أو غيرها أو خِطابِها، أو السُّجودِ لها، والتَّقَرُّبِ إليها بما يُناسبُها مِنَ اللباسِ والخواتمِ والبخُّورِ ونحو ذلك، فإنَّه كُفْرٌ، وهو مِنْ أَعْظمِ أبوابِ الشركِ، يجبُ غَلقُه وسَدُّه.

واتَّفقوا كُلُّهم أيضاً على أَنَّ كُلَّ رُقْيَةٍ، أو قَسَمٍ فيه شِرْكٌ باللهِ، فإنَّه لا يجوز التكلم به، وإن أَطاعَتهُ به الجِنُّ أو غيرهم، وكذلك كُلُّ كلامٍ فيه كفر لا يجوزُ التكلم به، وكذلك الكلامُ الذي لا يُعرَفُ معناهُ لا يُتكَلَّمُ به، لإمكانِ أَن يكونَ فيه شِركٌ لا يُعرَفُ. ولهذا قال النبي ε: "لا بأسَ بالرُّقى ما لَمْ تَكُنْ شِرْكاً"(1).

ولا يجوزُ الاستعاذَةُ بالجنّ، فقَدْ ذمَّ اللهُ الكافرين على ذلك، فقال تعالى: **[وأَنَّه كانَ رجالٌ من الإنسِ يَعوذونَ برجالٍ من الجنِّ فزادوهم رَهَقاً]** الجن: 6. قالوا: كان الإنسيُّ إذا نَزَلَ بالوادي يقول: أعوذُ بعظيمِ هذا الوادي مِنْ سُفَهائِه، فيبيتُ في أَمْنٍ وجوارٍ حتى يُصبح، **[فزادوهم رَهَقاً]** يعني: الإنسَ للجنِّ، باستعاذَتِهم بهم، رهقاً أي إثماً وطغياناً وجَرَاءَةً وشَرّاً، وذلك، أنهم قالوا: قَد سُدْنا الجنَّ والإنسَ! فالجنُّ تُعاظِمُ في أَنْفُسِها، وتزداد كُفراً إذا

الثاني، أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر فقال: **[وما كفر سليمان]** بقول السحر، **[ولكن الشياطين كفروا]** به وبتعليمه. وهاروت وماروت يقولان: **[إنما نحن فتنة فلا تكفر]** وهذا تأكيد للبيان اـهـ.

قلت: لا يتأتى السحر إلاَّ بالشرك والكفر، من استغاثة بشياطين الجن وتعظيمهم ورجائهم، وزعم التأثير بالأشياء، والإتيان بما يعتبر من خوارق العادة وغير ذلك، ومن فعل السحرة المعهود عليهم الاستهانة بكلام الله تعالى استرضاءً لشياطينهم، قال ابن تيمية فيهم في الفتاوى (

عاملتها الإنسُ بهذه المعاملة: **[ويومَ نَحْشُرُهُم جميعاً ثُمَّ نقولُ للملائكةِ أَهؤلاءِ إياكُم كانوا يَعبدونَ. قالوا سُبحانَكَ أَنتَ وليُّنا مِنْ دونهم بل كانوا يعبدون الجنَّ أكثرُهم بهم مؤمنونَ]** سبأ:

ش: قال تعالى: [**واعتصموا بحبلِ اللـهِ**[1]**جميعاً ولا تفرَّقوا**] آل عمران:

"أعوذ بوجهكَ" **[أو يَلبِسَكُم شيعاً ويُذيقَ بعضَكُم بأسَ بعضٍ]** قال: "هاتانِ أهوَنُ"[1]. فدلَّ على أنَّه لابدَّ أن يَلبِسَهُمْ شيَعَاً، ويُذيقَ بعضهم بَأسَ بعضٍ.

-وجوبُ رَدُّ النِّزاع إلى اللهِ ورسوله-

الأمور التي تتنازَعُ فيها الأمَّةُ، في الأصولِ والفروع، إذا لم تُردّ إلى اللهِ والرسولِ لم يتبيَّن فيها الحقُّ، بَلْ يَصيرُ فيها المتنازعونَ على غيرِ بينَةٍ مِنْ أَمْرِهم، فيقعُ بينهم الاختلافُ المذموم، ويبغي بَعضُهم على بعضٍ، إمَّا بالقولِ مثل تكفيرِه وتفسيقِه، وإمَّا بالفعلِ مثل حَبْسِه وضَرْبِه وقَتْلِه[2]!

قال الحافظ العراقي: وذكر الجنَّة إنما هو للتنبيه به على الأمور العظام لا للتخصيص، فلا يُسأل بوجهه في الأمور الدنيئة، بخلاف الأمور العظام تحصيلاً أو دفعاً، كما يشير إليه استعاذة النبي ε به ا-هـ.

[1] أخرجه البخاري. قالت: رغم تضافر الأدلة من الكتاب والسُّنَّة التي تحض على وجوب الاجتماع والاتحاد، ونبذ الفرقة والخلاف، فإنه ينبري من المسلمين من يقول: إن الإسلام يُقر بتعدد الأحزاب السياسية، بل ويأمر بها!!، وبعضهم من قيدها بقيد الإسلام، وبعضهم من تركها دعوة مفتوحة -لجميع الأحزاب على اختلاف عقائدها ومشاربها وانتماءاتها -من دون أي قيد أو شرط..!!.

[2] عدم رد التنازع إلى الله والرسول؛ أي الكتاب والسُّنَّة، يترتب عليه المزالق والمخاطر التالية:

1- فقدان الحكَم والمرجعية التي يحتكم إليها النَّاس في منازعاتهم ومشاكلهم، والكفيلة بايجاد الحلول لجميع المنازعات الدينية والدنيوية، وهذا مؤداه إلى استمرار الفرقة والمنازعات من دون حلٍّ أو معالجة.

2- عدم رد المنازعات إلى الله والرسول يستلزم بالضرورة ردها إلى الطاغوت، وهو كل حكم غير حكم الله ورسوله.. إذ لا بد للناس من حكَم.

3- إن عدم رد التنازع إلى الله والرسول، يستلزم انتفاء الإيمان والخروج من الملة، كما قال تعالى: **[فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثمَّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مِمَّا قضيت ويُسلموا تسليماً]** النساء: 65.

وقال تعالى: **[يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر]** النساء: 59.

-اختلافُ التنوّعِ لا يستدعي التنازع والشَّحناء-

اختلافُ التنوّعِ على وجوهٍ، منه ما يكونُ كُلُّ واحدٍ مِنَ القَوْلين أو الفعلين حَقَّاً مشروعاً، كما في القراءات التي اختلفَت فيها الصَّحابة ψ، حتى زَجَرَهُم النبي ε، وقال: "كلاكُما مُحْسِنٌ"[1].

ومثلُهُ اختلافُ الأنواعِ في صفةِ الأذانِ، والإقامةِ، والاستفتاحِ، ومَحلِّ سجود السَّهو، والتَّشهُّدِ، وصلاة الخَوفِ، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، مِمَّا قَدْ شُرِعَ جَميعُهُ، وإنْ كانَ بَعْضُ أنواعِه أرْجَحُ أو أفْضَلَ.

ثمَّ تَجِدُ لِكثيرٍ مِنَ الأُمَّةِ في ذلك مِنَ الاختلافِ ما أَوجبَ اقتتالَ طوائفَ منهم على شَفْعِ الإقامةِ وإيتارها ونحو ذلك!! وهذا عينُ المحرَّمِ[2].

ومنه ما يكون كُلُّ من القَوْلَين هو في معنى القول الآخر، لكن العبارتانِ مُختلِفَتان. ثمَّ الجهلُ أو الظُّلمُ يحمِلُ على حَمْدِ إحْدى المَقَالتين، وذَمِّ الأُخرى والاعتداءِ على قائِلها!

بَلْ أَكثَرُ الاختلافِ الذي يَؤولُ إلى الأهواءِ بينَ الأُمَّةِ، هو من هذا النوعِ، وكذلك إلى سفكِ الدِّماء، واستباحةِ الأَموالِ والعداوَةِ والبغضاءِ، لأنَّ إحدى الطائفتينِ لا تَعْتَرفُ للأخرى بما معها مِنَ الحقِّ، ولا تُنْصِفُها، بل تزيدُ على ما مع نَفْسِها مَنَ الحقِّ زياداتٍ مِنَ الباطلِ، والأُخرى كذلك. ولذلك جَعَلَ اللهُ مَصْدَرَهُ البغيَ، في قَوْله: [**وما اختَلَفَ فيه إلاَّ الذينَ أوتوهُ مِنْ بعدِ ما جاءَتْهُمُ البيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهم**] والبغي مجاوزَةُ الحدِّ.

قال ابن القيم في الأعلام (50/1): جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء الآخر ا-هـ.

4- عدم رد التنازع والخلافات إلى الله وإلى الرسول، يستلزم حصول الظلم والبغي، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات، وضياع الحقوق.. وهذا هو المشاهَد في زمن غياب حكم الشريعة، وتحكيم شريعة الغاب بدلاً عنها.

[1] أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود.

[2] لأن اجتماع الكلمة ووحدة الصف مقصد عظيم من مقاصد الشريعة، لا يُهدر أو يُفَرَّطُ به من أجل اختلافات حول مسائل هي دونه في الأهمية، ولا أرى مقصداً يعلو مقصد الاجتماع ووحدة الصف سوى مقصد التوحيد غاية الغايات، فإن تعارض مقصد الاجتماع والوحدة مع مقصد التوحيد، قُدم مقصد التوحيد الذي لا يعلوه مقصد، ويهون في سبيله كل مقصد.

وقالَ رسول اللـه ε: "ذَروني ما تَركْتكُم، فإنَّما هَلَكَ مَنْ كـانَ قَبْلكُم بكَثـرَةِ سُؤالِهِم واختلافهم على أَنبيائهم، فإذا نهيتكُم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتُكُم بأمرٍ، فأْتوا منه ما استطعتُم"[1]. فأمَرَهم بالإمساكِ عَمَّا لم يُؤْمَرُوا به، مُعَلِّلاً بـأنَّ سَبَبَ هلاكِ الأوَّلينَ إنَّمـا كـان كثـرة السُّؤالِ ثمَّ الاختلافَ علـى الرُّسُلِ بالمعصية.

-ثناءُ الشَّارِع خيراً على المختلفينَ اختلافَ تنوُّعٍ، إذا لم يَحْصَلْ بَغْيٌ-

قال تعالى: **[ما قَطعْتُم منْ لِينَةٍ[2]أو تركتموها قائِمةً على أُصولِها فبـإذنِ اللـه]**[3] الحشر: 5. وقد كانوا اختلفوا في قَطْعِ الأشجارِ، فقَطَـعَ قَوْمٌ، وتَـرَكَ آخَرونَ.

وكمـا فـي إقرار النبي ε يومَ بنـي قُرَيظَـةَ لمن صلَّـى العَصْرَ فـي وقتهـا، ولِمَن أَخَّرَها إلى أنْ وصلَ إلى بني قريظةَ[4].

-اختلافُ التَّضادِّ لا يَمْنعْ مِنْ إنصافِ المخالِفين-

أمَّـا اختلافُ التضـادّ: فهو القَوْلانِ المتنافيـان، إمَّـا فـي الأصـولِ وإمَّـا فـي الفروعِ، والمصيبُ واحدٌ، والخطْبُ في هذا أشدُّ، لأنَّ القولين يتنافيـان، لكن نَجِدُ كثيراً مِنْ هؤلاء قد يكونُ القوْلُ الباطلُ الذي معَ منازِعه فيه حقٌّ مـا، أو معه دليلٌ يقتضـي حَقَّاً ما، فَيَرُدُّ الحقَّ مَعَ الباطِـلِ، حتـى يَبقـى هذا مُبطلاً فـي البَعْضِ، كما كانَ الأوَّلُ مبطلاً في الأَصلِ، وهذا يجري كثيراً لأَهْلِ السُّنَّةِ.

-في هذا الاختلاف، يُمْدَحُ فيه أَهْلُ الحَقِّ فقط-

---

[1] متفق عليه.

[2] قال ابن كثير: اللين نوع من التمـر، وهو جيد. قال أَبو عبيد: وهو مـا خـالف العَجْوَة، والبرني مِنَ التمر، وقال ابن جرير: هو جميع النخل، ونقلـه عن مجاهد ا-هـ.

[3] قال ابن عباس: أمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم فقال المسلمون: قطعنـا بَعْضـاً وتركنـا بَعْضـاً فلنسألنَّ رسولَ اللـه ε هل لنا فيما قطعنـا من أجر؟ وهل علينـا فيمـا تركنـا مِن وزر؟ فأنزل اللـه **[مـا قطعتم من لينـة]**. والآيـة نزلـت فـي يهود بني النضير. انظر تفسير ابن كثير.

[4] متفق عليـه. أقول: مِنَ الأخطـاء الشـائعة بين النَّاس استشـهادهم بهذا الحـديث على جواز اختلاف التضاد!!

قال تعالى: **[ولو شاءَ اللـه ما اقْتَتَلَ الذينَ مِنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْدِ مـا جـاءَتْهُمُ البينـاتُ ولكن اختلَفوا فمِنْهُم مَّن آمَنَ ومِنْهُم مَـنْ كَفَـرَ]** البقرة:

الغُلُـوِّ والتَّقْصِـيرِ، وبَـيْنَ التَّشـبيهِ والتَّعطيـلِ، وبَـيْنَ الجَبْـرِ والقَـدَر، وبَيْنَ الأَمْنِ والإياسِ".

ش: ثَبَتَ عن النبي ε أَنَّه قال: "إنَّا مَعَاشِرَ الأنبياءِ دينُنا واحِدٌ"[1]. وقولُـه تعالى: **[ومَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الإسلام ديناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْه]** آل عمران:

قالَ تعـالى: **[يـا أَهْلَ الكتـابِ لا تَغلُوا فـي ديـنكُم ولا تَقولـوا علـى اللــهِ إلاَّ الحـقَّ]** النسـاء:

تعالى أنْ يُثَبِّتَنا على الإيمانِ، ويَخْتِمَ لَنَا بـهِ، ويَعْصمَنا مِنَ الأَهواءِ المخْتَلفـةِ، والآراءِ المتَفرِّقَـةِ، والمـذاهبِ الرَّديَّـةِ، مِثْـلُ المشَـبِّهَةِ، والمعتَزلـةِ، والجهميـةِ، والجَبْرِيَّـةِ، والقَدَرِيَّـةِ، وغيرهم، مِـنَ الـذينَ خـالَفوا الجماعَـةَ، وحـالَفُوا الضَّـلالَةَ، ونحـنُ مِـنْهُم بَـراءٌ[1]، وهـم عندنا ضُلاَّلٌ وأَرديِاءُ، وباللـهِ العِصْمَةُ والتَّوفِيقُ".

ش: الإشارَةُ بقوله: "فهذا" إلى كُلِّ ما تَقَدَّم من أَوَّلِ الكتابِ إلى هنا.

-تعريف ببعض الفرق الضالَّة-

الـمُشَبِّهَةُ: هم الذين شَبَّهوا الخالِقَ بالمخلوقِ، كداود الجواربي وأشباهه.

الـمُعتزلة: نسبةً إلى عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، سُمُّوا بالمعتزلـةِ لاعتزالهِم مَجالِس المسلمين في المسجد. يقوم مذهبهم على خمسة أصول لَبَّسُوا فيها الحقَّ بالباطل:

1- **العدْلُ:** ستَروا تحته نفي القَدَر، وقالوا: كيفَ يخلقُ اللـهُ الشرَّ ثمَّ يُعذِّب عليه؟ فمن لوازِم العَدْلِ عِنْدَهم نفي خلق اللـهِ للشَّرِّ!!

2- **التوحيد:** ستروا تحتـه القولَ بخلـق القرآن، إذْ لـو كـان غيْرَ مَخْلـوقٍ، لَزِمَ تَعدُّدُ القدماء!!

3- **الوعيد:** قالوا مَن وعَدَه اللـهُ بالنـار، فلا بُدَّ أن ينفذ فيه وعيدَه، فلا يَغفِرُ لمن يريدُ، ولا يعفو عَمَّن يشاءُ!!

4- **المنزِلَـةُ بـين المنـزلتين:** فعنـدهم أَنَّ مَـن ارتكـبَ كبيـرَةً يَخـرجُ مـن الإيمان، ولا يدخُلُ الكفرَ، وهو بينَ المنزلتين!!

---

[1] من لوازم وشروط متابعة الحق التبرؤ من الباطل وأهله، إذ لا يجتمع متابعة الحق مع الرضى أو السكوت على ضده من الباطل، كما قال تعالى: [**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون اللـه كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا باللـه وحده**] الممتحنة: 4. وقال تعالى: [**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مِمَّا تعبدون. إلاَّ الذي فطرني فإنه سيهدين**] الزخرف: 26، 27.
هذه هي الأسوة الحسنة التي أمرنا بالاقتداء بها، وهذه هي ملة إبراهيم التي لا يرغب عنها إلاَّ من سفه نفسه: [**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاَّ من سفه نفسه**] البقرة: 130.

5- **الأمر بالمعروف:** وهو الدعوة إلى باطلهم ومعتقداتهم. والنهي عن المنكر، ضَمَّنوه الخروج على أئمة المسلمين بالقتال إذا جَاروا!!

وهم يُقدِّمونَ العَقْلَ على النَّقل، والكتاب والسُّنَّة عندهم بمنزلةِ الشُّهودِ الزائِدينَ علا النِّصابِ[1]!! وإذا استدلُّوا بأدِلَّةٍ سَمعيَّةٍ، إنَّما يذكرونها للاعتضادِ بها[2]، لا للاعتماد عليها، ومنهم مَنْ يَذْكُرُهَا ليبيِّن مُوافقَةَ السَّمعِ للعقْلِ، ولإيناسِ الناسِ بها..!!

الجهميَّة: نسبَةً إلى جهْمِ بنِ صفوان، أظهرَ نفيَ الصِّفات والتعطيل. وقال بنفي الجنَّة والنار، وأنَّ الإيمانَ هو المعرفةُ فقط، والكفر هو الجهلُ فقط، وأنه لا فِعْلَ لأحدٍ في الحقيقة إلاَّ لله وحده، وأنَّ النَّاس إنما تُنْسَبُ إليهم أَفعالُهم على سبيل المجاز!!

الجبرية: أَصْل قولِهم من جهم بن صفوان، وقالوا: إنَّ العَبْدَ مُسَيَّرٌ، وفعله بمنزلةِ طُولِه ولونِه، وهم عكسُ القدريَّة نُفاةُ القدر. فالجبرية غالوا في إثبات القدر، والقَدَريَّةُ غالُوا في نَفي القدر!!

وقد تقدَّمَ الردُّ على مبادئ هذه الفِرقِ الضالَّةِ كُلِّها.

-سَبَبُ الضَّلالِ العُدولُ عَن صِراطِ اللـه المستقيم-

سببُ ضلالِ هذه الفِرقِ وأَمثالهم، عُدولهم عن الصِّراطِ المستقيمِ، الذي أمرَنا اللهُ باتِّباعِه، فقال تعالى: **[وأنَّ هذا صِراطي مُستقيماً فاتَّبِعوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فتَفَرَّقَ بِكُمْ عن سبيلِهِ]** الأنعام:

لهذا شرعَ اللـه تعالى في الصلاة قِراءَةَ أُمِّ القُرآن في كُلِّ ركعةٍ، المشتملة على أَشرَفِ المطالبِ وأجلِّها، فقد أمَرَنا اللـهُ تعالى أن نقول: **[اهدنا الصراط المستقيمَ. صِراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرَ المغضوبِ عليهم ولا الضالين]** [1]. وقد ثبت عن النبي ε أَنَّه قال:
"اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضالُّون"[2].

سبحان ربِّك رَبِّ العِزَّة عما يَصِفُون. وسلامٌ على المرسَلِينَ. والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ[3]

---

[1] قال ابن جرير في التفسير: (6/2): إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أَهْل غلوّ فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقِيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أَهْل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب اللـه، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أَهْل توسط واعتدال فيه، فوصفهم اللـه بذلك إذ كان أحب الأمور إلى اللـه أوسطها ا-هـ.
وفي معنى الاستقامة:
قال عمر بن الخطاب τ: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب.
وقال الحسن: استقاموا على أمر اللـه، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معاصيه.
وقال ابن تيمية: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنةً ولا يسرة.
وقال ابن القيم في مدارج السالكين (104/2-105): فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي اللـه على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: **وقوعها لله، وباللـه، وعلى أمر اللـه.**
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة ا-هـ.
وقال ابن كثير في التفسير (29/1): اختلفت عبارات المفسرين من السَّلَف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، **وهو المتابعة لله ولرسوله** ا-هـ.

[2] صحيح، رواه الترمذي وغيره.

[3] **انتهيت من تهذيبه والتعليق عليه -بفضل اللـه تعالى ومِنَّته- صبيحة يومِ الجمعةِ، في التاسعِ عشرَ من شهر رمضان المبارك، لِسَنَةِ 1413 من هجرة النبي المصطفى ε. الموافق للثاني عشرَ من آذار، لِسَنَةِ 1993 ميلادي.**

وصلَّى اللـه على محمدٍ النبي الأُمي، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبها
عبد المنعم مصطفى عبد القادر حليمة
أَبو بصير الطرطوسي
عفا اللـه عنه وعن أَهْلِ بيته ووالديه بمنِّهِ ورحمته

وقد انتهيت من مراجعته، وإجراء بعض التعديلات عليه -حذفاً وإضافةً- قبل إحالتـه للطبـع عصرَ يـومِ الخمـيس، فـي الثالـثِ مـن شـهر ذي الحجـة، لِسَـنَـةِ 1417 من هجرة النبي المصطفى ε.

راجياً من اللـه تعالى القبولَ، إنَّه سميعٌ قريب مجيب.

ـ هذا ملحقٌ يتضمن ذكر بعض الأسئلة التي تمكن طالب العلم أو القارئ من تقييم نفسه، ومعرفة مدى استيعابه وفَهمه لمادة الكتاب، كما وتساعد مدرس المادة في تحديد الأسئلة عند إجراء الاختبارات للطلاب..
وتسهيلاً على الطالب في الرجوع إلى الجواب، نشير بجانب كل سؤال إلى الصفحة التي يكمن فيها الجواب.

السؤال: ماهو أشرفُ العلومِ وأقدسها؟ ولماذا؟

الجواب: "

س8: ما هو سبب ضلال الناس عن الحقِّ والهدى؟ واذكر دليلاً على ذلك.

الجواب: "

الجواب: "

س

س

س

س

س

الجواب: "

س

الجـــــــواب: "

س

الجـــــــواب: "

س

س

س

س

الجواب: "

س

س

س

س

س

س

الجواب: "

س

الجواب: "

س

س

س

3- الإسلام بين الجبر والقدَر.
4- الإسلام بين الأمن والإياس.

الجواب: "

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	7
- مقدمة ابن أبي العز الحنفي	12
- أشرف علوم الدين	12
- مهمة الرسل	12
- الطريق الموصل إلى الله	13
- تعريف السالكين ما لهم من النعيم	13
- أعرف الناس بالله عز وجل	13
- ما أنزله الله تعالى على رسوله، فهو روح وشفاء	13
- يجب على العامة أن يؤمنوا إيماناً مجملاً بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم	14
- ما يجب على الأعيان يتنوع بتنوع قُدرهم	14
- أصل الضلال التفريط بما جاء به الرسول	15
- شروط صحة العبادة وقبولها	15
- وصف الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به الرسل	16
- مذاهب الناس في التأويل	16
- مراتب الانحراف	17
- الواجب اتباع الرسل	17
- اكتمال الدين	18

- من قرائن النفاق الأكبر، إرادة التحاكم إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم 18
- الحكم على الأشياء بالحسن أو القبح من خصوصيات الله تعالى وحده 18
- غاية المسلم أن يظهر الحق ويعلو، وإن جاء ذلك عن غير طريقه .. 19-20
- العجز يرفع التكليف .. 20
- الأمة الوسط .. 20
- علم الكلام هو الجهل، وهو سبب للزندقة .. 21
- الفرق بين المنافق والزنديق .. 21
- حكم الزنديق .. 21
- حكم الشافعي في أَهْل الكلام .. 22
- الرد على من يقول الخلف أفقه من السَّلَف .. 23
- التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل طريق طلب العلم .. 24
- الحكمة من تقديم جانب النفي والبراء على جانب الإثبات في شهادة التوحيد .. 24
- معنى الطاغوت وما يدخل في معناه .. 25
- الدعوة إلى التوحيد والكفر بالطاغوت، وهي دعوة الأنبياء والرسل. 26
- ما يصير المرء به مسلماً .. 26
- أنواع التوحيد.. 27
- توحيد الربوبية لم يذهب إلى نقيضه طائفة من بني آدم .. 28
- المشركون كانوا يقرون ببعض معاني الربوبية، وليس جميعها .. 28
- توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية .. 28
- التحذير من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد .. 29
- الأمر بتسوية القبور، وطمس التماثيل .. 30
- كل مولود يولد على فطرة الإسلام .. 31
- توحيدُ الربوبية يستلزم توحيد الألوهية .. 32
- توحيد الإلهية يتضمن توحيدَ الربوبية .. 35
- معنى قوله تعالى:)**إذاً لابتغوا إلى ذي العرشِ سبيلاً**(..

- التوحيد الذي دعت إليه الرسل ..

- قوله: "ولا شيء يعجزه".

- قولُه: "حي لا يموت، قيوم لا ينام".

- حكم من يجحد شيئاً من خصائص اللـه تعالى، أو يدعيها لنفسه.

- الفرق بين النبي والرسول ..

- حكم من أنكر أن القرآن كلام اللـه ..

- حكم أَهْل العلم في أَهْل الكلام ..

ـ الشفاعة عند اللـه ليست كالشفاعة عند البشر..

- أيهما خُلق أولاً القلم أم العرش ..

- عند التعارض يرد المتشابه إِلى المحكم ..

- صفة الجماعة التي يتعين تكثير سوادها ..

- كفر عملي أصغر، أو كفر دون كفر ..

- قوله: "والأمن والإياس ينقلان عن الملة .. ".

- قاعدة من قواعد التكفير: "كل شيء فعله من شروط التوحيد فتركه من نواقض الإيمان، والعكس كذلك .. ".

- شبهة ورد ..

- حرمة المسلم على المسلم ..

- الروح بعد مفارقتها للجسد لا تموت ..

- الاستطاعة القدرية الكونية ..

- قوله: "ومن استغنى عن اللـه طرفة عين فقد كفر .. ".

- وجوب اتباع السَّلَف ..

- من لوازم وشروط متابعة الحق التبرؤ من الباطل وأهله ..